الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط

# التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ / 10 و13م

إعداد الطالب :

قاسمي بختاوي

إشـراف

أ.د/بلعربي خالد

## أعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| أ.د/ إبراهيم لونيسي | أستاذ التعليم العالي جامعة سيدي بلعباس | رئيسـا |
| أ.د/ خالد بلعربي | أستاذ التعليم العالي جامعة سيدي بلعباس | مشرفا و مقررا |
| أ.د/ عبيد بوداود | أستاذ التعليم العالي جامعة معسكر | مناقشا |
| د/ نصر الدين بن داود | أستاذ محاضر–أ– جامعة تلمسان | مناقشا |
| د/غازي جاسم الشمري | أستاذ محاضر–أ– جامعة وهران | مناقشا |
| د/سعدي شخوم | أستاذ محاضر–أ– جامعة سيدي بلعباس | مناقشا |

السنة الجامعية:1436 – 1437هـ / 2015 – 2016م.

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق
١٤ ١٢٩

# الإهداء

إلى أمي و أبي، إلى زوجتي و أبنائي، إلى

إخوتي، إلى أصهاري، إلى أساتذتي في مختلف

الأطوار، إلى جميع أحبتي، إلى المرابطين على الثغور

في فلسطين الجريحة، إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل

المتواضع، سائلا المولى عز وجل التوفيق والسداد.

## *شكر وعرفان*

الحمد لله الذي أنعم علي بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأرشدني إلى نوره الذي به تطمئن القلوب، وهداني إلى صراطه القويم الخالي من النقائص والعيوب، وأمدني بالصحة لخوض غمار العلم رغم الصعاب والخطوب.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور خالد بلعربي، على قبوله الإشراف على العمل، وعلى مساعداته القيمة، وتوجيهاته السديدة، فله مني جزير الشكر والتقدير والاحترام.

كما أتقدم بالشكر إلى السادة الدكاترة أعضاء اللجنة الموقرة، على قبولهم مناقشة العمل، وتحملهم عناء قراءته وتصويبه، سائلا العلي القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وأشكر كذلك كل من ساعدني من قريب أو بعيد في هذا العمل، وأعتذر للوالدين الكريمين، وللزوجة والأبناء، على تقصيري في حقهم خلال فترة البحث.

المقدمة

لقد كان المغرب الأوسط عبر التاريخ ميدانا لقيام العديد من الدول الإسلامية التي عمرت أزمنة متفاوتة، مخلفة وراءها منجزات حضارية في مختلف المجالات، بالخصوص الثقافي منها. وقد تفاوت حجم اسهاماتها باختلاف أعمارها، وتباين سياساتها وتوجهاتها المذهبية، فأفرزت تراثا متنوعا.

يعتبر الموضوع الذي أتناوله في هذه الرسالة، والموسوم بـ "**التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ/ 10 و13م**"، من المواضيع التي تكتسي أهمية في حقل الدراسات التاريخية؛ إذ أنه يؤرخ لفترة طويلة من تاريخ المغرب الأوسط تمتد لأربعة قرون، شهدت خلالها المنطقة صراعات سياسية ومذهبية، أرخت بظلالها على الحياة التعليمية.

لقد حظي التعليم في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة باهتمام ورعاية الحكام باختلاف مشاربهم، حيث شيدوا المؤسسات والمراكز التعليمية المختلفة، من مساجد وكتاتيب وزوايا، وقربوا إليهم العلماء وأغدقوا عليهم وعلى طلبة العلم، بل فتح الكثير منهم القصور لأهل العلم.

وعلى الرغم من الأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع، إلا أنه لم يحظ بدراسة مستقلة ومعمقة من قبل الباحثين في حقل التاريخ، وإنما عولج في إطار التاريخ العام للمغرب الإسلامي، باستثناء بعض الدراسات التي خصت فترة محدودة، لا تتعدى المجال الزمني لواحدة من الدول التي حكمت المنطقة.

لهذا ارتأيت أن أخوض فيه، محاولا تسليط الضوء على مختلف التطورات التي عرفها هذا القطاع الهام، وإماطة اللثام عن الظروف التي أثرت فيه إيجابا أو سلبا. ومن أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:

- توسيع البحث في هذا الموضوع إلى مجال زمني أوسع، استكمالا لموضوع الماجستير.
- الوضع المتدني الذي آل إليه مستوى التعليم في البلاد الإسلامية عامة، والجزائر خاصة.

– الرغبة في تسليط الضوء على تطور الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط، ومدى تأثرها بالاختلافات المذهبية للدول المتعاقبة.

– المساهمة في كتابة تاريخ المغرب الأوسط، الذي ما يزال حقلا بكرا في الكثير من المجالات.

– إبراز خطورة إقحام المؤسسات التعليمية في الصراعات السياسية أو المذهبية.

– إبراز مساهمة المغرب الأوسط في تنمية الحضارة الإنسانية بما أنجبته مؤسساته التعليمية من علماء تجاوزت شهرتهم الآفاق.

ولمعالجة هذا الموضوع انطلقت من الإشكالية التالية: ألم يكن للتباين المذهبي لدول المغرب الأوسط تأثير على حركة التعليم؟ لم كان الاهتمام بالعلوم الدينية أكثر من غيرها؟ ما هي الأنظمة التعليمية التي اعتمدت في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة؟ ألم يكن للصراعات السياسية في المنطقة تأثير على الرحلة العلمية التي كانت آنذاك من أهم وسائل الاستزادة في العلم؟

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث اعتمدت على ما تيسر لي الوصول إليه من مصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع، وحاولت استخدام مقومات البحث العلمي من بحث وتحليل واستنباط ونقد ومقارنة وتوثيق.

تضمنت خطة البحث مقدمة وفصلا تمهيديا وأربعة فصول وخاتمة. أفردت الفصل التمهيدي لدراسة الأوضاع السياسية التي سادت المغرب الأوسط، من العهد العبيدي إلى بداية العهد الزياني، لما لذلك من تأثير على مختلف مناحي الحياة. أما الفصل الأول المعنون بـ "عوامل تطور حركة التعليم بالمغرب الأوسط من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري"، فأبرزت فيه مظاهر اهتمام الحكام بالتعليم من خلال إقامة مراكز التعليم، والتنافس لاستقطاب العلماء، وتشجيع حركة التأليف، وإنشاء المكتبات. الفصل الثاني سميته "نظام التعليم والعلوم السائدة

بالمغرب الأوسط"، بينت فيه تباين الأنظمة التعليمية المعتمدة كنظام العزابة عند الإباضية، ومدارس الدعوة عند الشيعة، والأنظمة الأخرى المعمول بها في المساجد والكتاتيب والزوايا عند أهل السنة، واختلاف العلوم السائدة بين عهد وآخر، مبرزا دواعي التركيز على العلوم الدينية. جاء الفصل الثالث بعنوان "المراكز والمؤسسات العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط"، فعرفت فيه بتاريخ ظهور هذه المؤسسات وانتشارها بالمغرب الأوسط، والدور الذي لعبته في تطوير الحركة الفكرية. خصصت الفصل الرابع للحواضر العلمية الكبرى بالمغرب الأوسط، فتطرقت إلى تواريخ إنشائها، وإلى الأدوار التي لعبتها في أوج تألقها، مع التعريف ببعض أعلامها البارزين.

أما الخاتمة، فشملت جملة من الاستنتاجات التي توصلت إليها بعد هذا الجهد المتواضع، لعلها تفتح آفاقا لدراسات مستقبلية.

**نقد المصادر**: اعتمدت في هذا البحث على قائمة من المصادر والمراجع التي تيسر لي الحصول عليها، وفيما يلي تحليل ونقد لأبرزها:

**كتب الرحالة والجغرافيين:**

اضطرني موضوع البحث إلى استعمال مصادر جغرافية متنوعة، مغربية ومشرقية، مكنتني من التعريف بمختلف الحواضر الإسلامية، التي ذاع صيتها خلال فترة الدراسة، لما احتوته من وصف دقيق لأحوالها العامة، خاصة ما يتعلق بالحياة الثقافية. ومن المصادر التي كان لها حضور بارز في بحثي:

**1/ البكري**: أبو عبيد بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ)

**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، اعتمد صاحبه في جمع مادته على الأندلسيين الذين تيسر لهم زيارة المغرب، وعلى المغاربة الوافدين إلى الأندلس، إضافة إلى الاستعانة بمن سبقه في الكتابة عن هذه المناطق. وقد

أفادني في التعريف بالواقع الثقافي لأهم الحواضر الإسلامية بالمغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري.

**2/ الإدريسي:** محمد أبو عبد الله السبتي (ت558هـ)

**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** الذي ألف في القرن السادس الهجري، وتميز بدقة وصفه للأرض وسكانها ومللهم ومذاهبهم ولباسهم وطعامهم ومختلف نشاطاتهم؛ حيث كان هذا الكتاب عبارة عن تقرير مفصل قدم لملك صقلية روجار الثاني، كثمرة لمشاهدات المؤلف أثناء تنقلاته الشخصية، وبالإعتماد على مؤلفات الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه.

**3/ القلصادي:** أبو الحسن علي الأندلسي (ت891هـ)

**رحلة القلصادي،** الذي كان تأليفه في القرن التاسع الهجري، وتضمن العديد من التراجم لمعاصري المؤلف. لكن ما أفادني به هذا الكتاب، هو وصفه الدقيق للمحطات التي مر بها في رحلته الحجازية ذهابا وإيابا، خصوصا بالمغرب الأوسط الذي يعد المجال الجغرافي لهذا البحث.

**4/ ابن حوقل:** أبو القاسم محمد النصيبي (ت380هـ)

**صورة الأرض،** الذي تناول ذكر الأقاليم والبلدان، على مر الدهور والأزمان، وأشار إلى البحار والأنهار، والمدن والأمصار، والمسافات التي تفصل بينها، خدمة للباحثين وهواة الأسفار، وما توصل إليه الرحالة من أخبار، ووقف عليه من نوادر وآثار. وهو ملخص لرحلته الطويلة التي بدأها من بغداد سنة 331هـ، زار خلالها ديار الإسلام شرقا وغربا، وبهذا يسر لي التعريف بالأماكن، التي يتطلب البحث ذكرها.

**ثانيا: كتب التاريخ العام**

تتمثل في مجموعة من المصنفات التاريخية التي تتحدث عن التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي انطلاقا من الفتح. وعلى الرغم من تركيز هذه المصادر على الجوانب السياسية والعسكرية، إلا أننا نجد في ثناياها إشارات إلى واقع الحياة الثقافية والفكرية والعوامل المؤثرة فيها، كالتنافس لاستقطاب العلماء، أو هجرة أهل العلم تحت وطأة الاضطهاد نتيجة انتماءاتهم المذهبية المخالفة، أو مواقفهم السياسية، ومن هذه المصادر:

**1 – ابن عذاري المراكشي (ت ق7هـ):**

**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** هو من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، يؤرخ لفترة تمتد من الفتح الإسلامي إلى غاية بداية القرن الثامن الهجري وهو عصر المؤلف. يتعلق الجزء الثالث منه بتاريخ المنطقة من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، متضمنا عهدي العبيديين والحماديين من بعدهم؛ في حين يعطينا الجزء الرابع معلومات دقيقة ومفصلة عن حضارة المرابطين. وتكمن أسرار هذه الدقة وتنوع المعلومة في مجموعة المصادر المتعددة والمهمة التي اعتمد عليها المؤلف في تصنيفه. والكتاب بالإضافة إلى الاعتماد عليه في الجوانب السياسية، فإنه لا يخلو من إشارات تتعلق بالجوانب الثقافية خاصة فيما يتعلق بالسياسات المنتهجة لتطوير الحياة الفكرية، والتي أثمرت في كثير من الأحيان، على الرغم من صبغتها المذهبية.

**2 – القاضي النعمان(ت363هـ/974م):**

**كتاب افتتاح الدعوة:** يؤرخ هذا الكتاب للدولة العبيدية في المراحل الأولى من نشأتها ببلاد المغرب، مركزا على مدارس الدعوة التي أنشئت لترسيخ الفكر الشيعي.

**3 – يحي بن خلدون(780هـ/1378م):**

**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد:** ألف هذا الكتاب لتخليد أمجاد ملوك بني عبد الواد، من عهد مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان إلى عهد أبي حمو موسى الثاني الذي

عاصره المؤلف. وقد تضمن هذا المصدر تاريخ تلمسان من جميع النواحي، بما فيها الحياة الفكرية، وذلك بالإشارة إلى أبرز العلماء الذين ولدوا أو استقروا بهذه الحاضرة، وإسهاماتهم بالإقراء أو التأليف.

**شهاب الدين النويري(ت733هـ/1333م):**

**نهاية الأرب في فنون الأدب:** تعد أهم موسوعات القرن الثامن الهجري. تقع في ثلاثة وثلاثين سفرا، أفادني السفر الثامن والعشرون في تناول أخبار الدولة العبيدية، والسفر الرابع والعشرون في الاطلاع على تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية.

**أبو العباس الغبريني(ت704هـ/1304م):**

**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:** يعد كتابا نفيسا كشف لنا عن الازدهار العلمي ببجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة. كما مكنني من الوقوف على النشاط التعليمي وطرق التدريس المعتمدة بالمنطقة خلال هذه الفترة.

**عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ/1406م):**

**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:** هو كتاب هام، اعتمد صاحبه في تأليفه على من سبقوه، فضمنه أخبارا في مختلف الميادين، منذ مبدأ الخليقة إلى عهده، وبذلك أفادني في الكثير من محطات البحث، سواء للتعريف بالأعلام أو الأماكن أو القبائل.

**كتب التراجم والسير**

هي كثيرة، تضمنت التعريف بأهم الشخصيات التي لمعت في الحقل الفكري خلال فترة الدراسة، حيث أفادتني هذه المصادر في التعريف ببعض الأعلام الذين لهم صلة بموضوع البحث، وإبراز إنتاجاتهم الفكرية، ومدى إسهامهم في تطوير الحضارة الإنسانية، ومن هذه

الكتب: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد بن محمد مخلوف (ت1360هـ/1941م)، **والتشوف إلى رجال التصوف** لابن الزيات(ت627هـ/1229م)، **والحلة السيراء** لابن الأبار(ت658هـ/1260م)، **وطبقات المشايخ بالمغرب** للدرجيني (ت ق7هـ/13م)، **وسير أعلام النبلاء** للذهبي(ت748هـ/1348م)، **والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** لابن فرحون(ت799هـ/1396م)، **وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** للسيوطي(ت911هـ/1505م)، **وعيون الأنباء في طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة(ت668هـ/1269م)، **ونيل الابتهاج بتطريز الديباج** للتنبكتي(ت1036هـ/1627م)، **والمطرب بمشاهير أولياء المغرب** لعبد الله بن عبد القادر التليدي(ت1347هـ/1928م)، **وأعلام المغرب العربي** لعبد الوهاب بن منصور(ت1429هـ/2008م).

واجهتني كأي باحث صعوبات أثناء فترة إنجاز هذا العمل أهمها، كثرة الانشغالات وعدم التفرغ للبحث.

# الفصل التمهيدي

## الفصل التمهيدي

# الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط من العهد العبيدي إلى بداية العهد الزياني

المبحث الأول: المغرب الأوسط أيام العبيديين(296-362هـ/909-973م).

المبحث الثاني: المغرب الأوسط في ظل حكم صنهاجة( 361 - 405هـ/972 - 1014م).

المبحث الثالث: المغرب الأوسط في العهد المرابطي(472-539هـ/1079-1145م).

المبحث الرابع: المغرب الأوسط في العهد الموحدي(539-633هـ/1145-1235م).

المبحث الخامس: المغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1235-1555م).

عرف المغرب الأوسط عبر العصور الكثير من التطورات السياسية. فبعد أن كان جزءا من الدولة الإسلامية منذ أن وصل إليه الإسلام، مطلع النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، شهد قيام العديد من الدويلات التي وجدت فيه المناخ المناسب لإقامة كيانات مستقلة، بعيدة عن المخاطر التي كانت تهدد وجودها، خاصة من الدول التي انفصلت عنها في المشرق، ثم في المغرب بعد ذلك. ومن هذه الدول، الدولة العبيدية التي يبدأ عندها موضوع الدراسة، مرورا بالدولة الزيرية والحمادية، فالمرابطية والموحدية اللتان كانت المنطقة جزءا من مجاليهما الجغرافي، وصولا إلى دولة بني عبد الواد التي عمرت ما يفوق الثلاثة قرون.

**المبحث الأول: المغرب الأوسط أيام العبيديين(296-362هـ/909-973م).**

استطاع العبيديون[1] إقامة دولة خاصة بهم في المغرب الإسلامي(**الملحق رقم 01**)، بعد أن تعذر عليهم تحقيق ذلك بموطن دعوتهم بالمشرق، بسبب وجود مقر الخلافة العباسية هناك. ويعود نجاحهم في مسعاهم هذا، إلى دعاتهم الوافدين من المشرق الإسلامي، وفي مقدمتهم

[1]- العبيديون: هم أول من أسس دولة شيعية بالمغرب الإسلامي. عرفوا بعدة تسميات منها الفاطميون نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن هذا النسب ما يزال محل اختلاف بين المؤرخين إلى يومنا هذا. كما سموا بالعبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي، الذي تزعم الدولة بعد نجاح أبي عبد الله الشيعي في إقناع قبيلة كتامة البربرية بدعوتهم. ينظر: ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج3، ص82. ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الموصلي الشيباني)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج6، ص446. المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996، ج1، ص ص 22 – 54. النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج28، ص ص 38 – 39.

أبو عبد الله الشيعي[1]، حيث مهدوا لنشر دعوتهم بالاتصال بأهل كتامة[2]بمكة أثناء موسم الحج سنة 279هـ/893م. أعجب الكتاميون بالشيعي الذي نجح في استقطابهم، مستغلا تذمر الناس من سياسة الأغالبة من جهة، وسذاجة البربر وبساطتهم من جهة أخرى، فرافقهم في رحلة العودة إلى بلادهم، واطلع خلالها على الوضع السياسي والاجتماعي السائد في وجهته. كما كشف لهم عن نيته في مزاولة مهنة التعليم في مصر، فغاب عنهم لبعض الوقت، قبل أن يظهر ثانية ويصرح لهم بأنه لم يجد مراده، فأصروا على صحبته لهم[3]. استأنفت القافلة العائدة من الحج رحلتها إلى أن وصلت بلاد كتامة في ربيع الأول سنة 280هـ/ جوان 893م، وحطت رحالها بجبل إيكجان الحصين[4].

---

[1]– أبو عبد الله الشيعي: هو الحسن بن أحمد بن محمد، عرف بالمحتسب لقيامه بهذه الوظيفة في سوق الغزل بالبصرة. كما عرف بالصوفي لارتدائه الثياب الخشنة، والصنعاني نسبة إلى مسقط رأسه صنعاء باليمن، والمعلم لقيامه بتعليم مذهب الإمامية الباطنية. خرج مع قافلة الحجاج اليمنيين إلى مكة سنة 279هـ/893م، قبل أن يكلف بالتوجه إلى المغرب لنشر الدعوة، تمهيدا للاستيلاء على الحكم بمساعدة قبيلة كتامة. ينظر: ابن عذاري(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط3، 1983، ج1، ص ص 124 – 127.

[2]– كتامة: هم بنو كتامة بن برنس بن بربر، أي أنهم بطن من بطون البرانس البربر. أما الطبري فينفي هذا النسب ويقول أنهم عرب، ينحدرون من حمير اليمنية. سكنوا المناطق الشرقية من المغرب الأوسط. عرفت هذه القبيلة عند الرومان باسم أوكتامنوروم، وعند البيزنطيين باسم أوكتوماني. كان لهذه القبيلة في العصور الوسطى دور حاسم في تاريخ العالم الإسلامي، حيث ساعدت عبيد الله الشيعي على نشر دعوته بالمغرب الإسلامي، وتأسيس الدولة العبيدية. ينظر: القلقشندي(أبو العباس أحمد)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980، ص405.

[3]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص125.

[4]– إيكجان: جبل حصين منيع، يقع بين سطيف و بجاية، به قبائل كتامة، وهو المكان الأول الذي نزل به أبو عبد الله الشيعي . ينظر: القاضي النعمان(أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن

أخفى حامل الدعوة الشيعية مذهبه في بداية الأمر، وتظاهر بأنه مجرد معلم للقرآن الكريم، قبل أن يختلي بأحد كبار أعيان قبيلة سكتان[1] ويخبره بحقيقة أمره بقوله:"لست بمعلم صبيان، وإنما نحن أنصار أهل البيت. وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة بأنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا، وأن الله سيظهر بكم دينه ويعز بكم أهل البيت، وأنه سيكون إمام منهم وأنتم أنصاره والباذلون مهجتهم دونه، وأن الله سيفتح بكم الدنيا كلها، ويكون لكم أجركم مضاعفا فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة"[2]. اقتنع الشيخ الكتامي بهذه الدعوة، وصار يدعو أقاربه إليها، وبهذا استطاع الشيعي استمالة قلوب الكتاميين إليه، حيث راح يشيد بفج الأخيار وأهله، فالتفوا حوله، وأقبلوا على دعوته، بل تعهدوا بالإخلاص للمذهب الشيعي والدفاع عنه، وانتشرت دعوته في مختلف أرجاء أرض كتامة، حيث لم يبق فيها إلا من يدخل دعوته إما راغبا أو راهبا أو مخدولا[3].

اختار الشيعي الإستقرار بإيكجان ذات الموقع الجبلي الحصين الذي يعلو على المناطق المجاورة، حيث يمكنه ذلك من مراقبة الأعداء على مسافات بعيدة، ثم شرع بعد ذلك في تكوين المجتمع الذي سيتخذه منطلقا لدعوته، بالجلوس لتعليم الكبار والصغار عقيدة الشيعة، حيث قضى سبع سنوات في ذلك؛ الأمر الذي مكنه من استقطاب زعماء العديد من القبائل

---

حيون التميمي)، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986، ص48.

[1]- قبيلة سكتان: هي إحدى أكبر بطون قبيلة زناتة، ينحدر منها حريث الجميلي وموسى بن مكارم اللذين اعتنقا المذهب الشيعي، تأثرا بأبي سفيان الحلواني، الذي مهد لانتشار الفكر الشيعي الفاطمي في بلاد المغرب قبل أن يخلفه أبو عبد الله الشيعي. ينظر: محمد سهيل طقوس، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص ص 64-67.

[2]- محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص41.

[3]- أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1325هـ، ج2، ص65.

الكتامية[1]. كما اعتمد التدرج في تثبيت مذهبه، إذ بدأ بالدعوة إلى ترك صلاة التراويح التي سنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولعل هذا الأمر كان بداية للخلاف بين الكتاميين[2]. كما سن لأنصاره قواعد وألزمهم بتطبيقها، وعمل على تغذية روع الفرقة والعداء بينهم وبين معارضيه[3]. وقد نجح في سياسته واستطاع مواجهة المخاطر التي واجهته في البداية، حيث صمد أمام خصومه الكتاميين المناوئين لدعوته، وتصدى للأغالبة الموالين للعباسيين، وذلك بفضل طبيعة مكان الإستقرار الذي وفر له الحماية، واستغلال عنصر الجوسسة داخل بلاد كتامة وخارجها، فضلا عن اعتماده أسلوب الكر والفر عند مواجهة الأعداء الذين يفوقونه عددا وعدة، واللجوء إلى الحرب النفسية أحيانا لبث الذعر والإضطراب في صفوفهم[4]. وبعد عشرين سنة قضاها بين الكتاميين وهو يهيء الأجواء للدعوة العبيدية، استقدم عبيد الله المهدي إلى المنطقة، فبويع في رقادة بتاريخ 21 ربيع الأول من سنة 297هـ، ولقب بأمير المؤمنين[5]. وقد تم ذلك بعد القضاء على الحكومات الإسلامية التي كانت قائمة في المغربين الأدنى والأوسط، والتي تعتبر في نظر الشيعة مغتصبة للخلافة الإسلامية؛ حيث اغتيل اليقضان بن أبي اليقضان، آخر الأئمة الرستميين سنة 296هـ/909م، فانهارت بذلك الدولة الرستمية، قبل أن يتم القضاء على الأغالبة في نفس السنة[6].

---

[1]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص74.

[2]- نفسه، ص ص96-97.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص133. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 243-244.

[4]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص158-159.

[5]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1997، ص35.

[6]- نفسه، ص34.

قسم المغرب الأوسط أيام الحكم العبيدي إلى أربع ولايات هي: المسيلة التي اشتملت على زناتة والحضنة وسطيف، وباغاية التي ضمت ضواحي عنابة، وقالمة وسطيف، وأشير التي اشتملت على أراضي صنهاجة وما جاورها من زواوة وزناتة، وتيهرت التي ضمت مواطن مغراوة ما بين مليانة ومازونة[1]. وقد عاشت المنطقة التي انطلقت منها الدعوة العبيدية صراعات طويلة الأمد بين أنصار الشيعي ومناوئيه من جهة، وبين العبيديين والخوارج من جهة ثانية؛ لينتهي الأمر لصالح الشيعة الذين قضوا على الرستميين والأغالبة سنة 296هـ، والأدارسة سنة 313هـ، قبل أن يشتد الصراع بينهم وبين الأمويين في الأندلس. لكن هذه الإنتصارات لم تحل دون عودة العبيديين إلى المشرق، حيث كانت نيتهم منذ البداية تأسيس كيان خاص بهم بعيدا عن مقر الخلافة العباسية، ثم الزحف نحوها والقضاء عليها؛ فكانت محطتهم الأولى مصر بعد أن أسسوا القاهرة واتخذوها عاصمة لهم، حيث دخلها الخليفة العبيدي المعز لدين الله في 05 رمضان 362هـ، ثم توجهوا إلى الشام والحجاز[2].

**المبحث الثاني: المغرب الأوسط في ظل حكم صنهاجة(361-405هـ/972-1014م).**

استعان العبيديون بالصنهاجيين للقضاء على نفوذ حكام الأندلس الأمويين. ورغبة من المعز لدين الله الفاطمي في مكافأة صنهاجة على صنيعها، عين زعيمها بلكين بن زيري أميرا على المغرب وأطلق عليه سيف الدولة، وزوده بمجموعة من النصائح أبرزها أربع، حيث قال له:"إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنسى أربعة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن البربر، ولا تولي أحدا من إخوتك و بني دمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا"[3].

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ص285.

[2]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 35-36.

[3]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص324.

حكم بلكين بن زيري المغرب الأوسط باسم العبيديين، ووسع ملكه إلى غاية فاس، قبل أن توافيه المنية سنة 373هـ. خلفه ابنه المنصور بن بلكين، الذي أصبحت الدولة الصنهاجية قوية في عهده، حيث تغلبت على كتامة سنة 380هـ، وانتزعت منها سطيف وميلة. وبعد أن توفي سنة 386هـ، تولى زمام الحكم ابنه باديس الذي سماه العبيديون نصير الدولة[1].

تميزت الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط في عهد باديس بكثرة الصراعات وعدم الإستقرار. فقد شعر هذا القائد بازدياد خطر قبيلة زناتة المدعومة من بني أمية في الأندلس، وبأن الرعية سئمت من الدعوة للعبيديين، الذين كانوا فيما يبدو يحرضون الكتاميين عليهم؛ الأمر الذي أرغمه على مخالفة وصية المعز لدين الله الفاطمي لجده بلكين بعدم تولية أقاربه، إذ قرر الاستعانة بعمه حماد للقضاء على خطر دولة زناتة، مقابل توليه المغرب الأوسط وخضوع كل المناطق التي يسيطر عليها لسلطته. وقد استطاع حماد أن يقضي على زناتة سنة 395هـ/ 1005م، ثم بنى القلعة سنة 398هـ/1007م، قبل أن يعلن عن تأسيس دولته الحمادية سنة 405هـ/1014م، ويعترف بالعباسيين بدل العبيديين؛ لتنقسم بذلك الدولة الصنهاجية إلى شرقية وغربية[2]. وبعد صراع في البيت الصنهاجي بين باديس وعمه حماد، وإثر وفاة باديس الذي خلفه إبنه المعز، اتفق الطرفان على إقامة بني باديس في القيروان، وبني حماد في القلعة قرب بجاية. وبتوقف المعز عن الدعوة للعبيديين وبداية الدعوة للعباسيين سنة 440هـ/ 1048م، أوعز العبيديون لبني هلال[3] باجتياح المنطقة سنة

---

[1]– عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائرين، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص ص40-42.

[2]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 37-38.

[3]– – ينتسب بنو هلال إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن نضر. هاجروا من موطنهم الأصلي بالطائف في القرن الخامس للهجرة، ليستقروا بمصر، قبل أن يتوغلوا في بلاد المغرب بإيعاز من العبيديين. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، ط1، 1994، القاهرة، ج4، ص ص 146-

442هـ/1050م، فقضوا على الزيريين بالقيروان، ثم شددوا الخناق على دولة بني حماد إلى أن سقطت سنة 547هـ/1253م، بعد اقتحام الموحدين للقلعة بمساعدة الوزير ميمون بن حمدون[1]، الذي يبدو أنه كان يرغب أن يكون وزيرا لدى عبد المؤمن بن علي[2].

**المبحث الثالث: المغرب الأوسط في العهد المرابطي(472-539هـ/1079-1145م).**

إن أهم ما ميز الساحة السياسية بإفريقية مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، هو انقسام دولة صنهاجة إلى إمارتين هما: الإمارة الزيرية بالجهة الشرقية، ونظيرتها الحمادية في الغرب. كما تواصل الصراع الزناتي الصنهاجي الذي لم تقل حدته إلا بظهور خطر الهلاليين، الذين بعث بهم العبيديون لردع الزيريين بعد أن أوقفوا تبعيتهم لهم. في هذه الأثناء، بدأت غارات المرابطين بجنوب المغرب الأقصى، ليصل نفوذهم فيما بعد إلى المغرب الأوسط والأندلس(**الملحق رقم 01**).

ينتمي المرابطون إلى قبائل بربرية أشهرها صنهاجة التي كانت مستقرة بأعماق الصحراء في موريتانيا. وكانت تتفرع عن صنهاجة قبائل عديدة أطلق عليها اسم الملثمين، أشهرها لمتونة ومسوفة وجدالة. وقد ارتدت هذه القبائل اللثام إما اقتداء بأسلافهم الذين تلثموا لشدة الحر، أو

147. عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1956، ص62.

[1]- ميمون بن حمدون كان وزيرا في عهد الأمير يحي بن العزيز الحمادي، آخر أمراء بني حماد. ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص38.

[2]- هو عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي المغربي، خليفة محمد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية. ولد بتاجرا سنة 487هـ. يعتبره البعض المؤسس الحقيقي للرئيسي للدولة. ينظر: الذهبي(أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ج1، ص ص2557-2559.

تمويها من أهل الكفر لكونهم كانوا قلة آمنت بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولارتداء نسائهن ملابس الرجال ووضع اللثام في غياب أزواجهن عن المعسكر، إيهاما للعدو بأنهن رجال[1].

تأسست دولة المرابطين على يد عبد الله بن ياسين[2]، ليتولى أمرها بعده يوسف بن تاشفين[3]، الذي انتقلت الدولة في عهده من طور النشأة إلى طور التوسع والازدهار. لقد كان المغرب الأوسط في عهده خاضعا لسلطة الأمير المغراوي العباس بن بختي، الذي كان يتخذ من تلمسان مقرا لإمارته. رأى ابن تاشفين أن هذه الإمارة الزناتية تحول دون توسعة ملكه، مما دفعه إلى غزوها سنة 472هـ/1080م، ثم معاودة الكرة سنة 473هـ/1081م، منطلقا من مراكش؛ فاستولى على وجدة وبلاد بني يزناسن، وأخضع تلمسان إلى سلطانه بعد قتل أميرها العباس بن بختي. قام الأمير المرابطي بعد ذلك بإقامة معسكر لجيشه غرب تلمسان سمي بتاجرارت، وترك به حامية عسكرية بقيادة محمد بن تنيعمر المسوفي. واصل بن تاشفين زحفه شرقا فاستولى على وهران وتنس وشلف، إلى أن وصل إلى مدينة الجزائر سنة 474هـ/1082م، فأصبحت له حدود مشتركة مع مملكة بني حماد، كما أضحى المغرب الأوسط كله خاضعا لسيطرته. عاد بعد ذلك إلى عاصمته مراكش سنة 485هـ/1085م،

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص365. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، ط1، 1985، ص13.

[2]- هو عبد الله بن ياسين الجزولي، أحد طلبة الشيخ وهاج بن زلوا، تولى تعليم القرآن والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بين قبائل صنهاجة ببلاد المغرب. ينظر: ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1286هـ، ص ص101-102.

[3]- هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، ينتمي إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص ص21-25.

وصب جهوده لإنقاذ الأندلس من النصارى الذين هزمهم في معركة الزلاقة سنة 479هـ/ 1086م[1].

ظل المغرب الأوسط طيلة العهد المرابطي حاجزا يفصل المغرب الأقصى عن مملكة بني حماد، يصد الغارات القادمة من الشرق، تحت ضغط هجرة القبائل الهلالية على الحماديين والزيريين. وكثيرا ما تنافس العرب الوافدون على امتلاك الأراضي، مما اضطرهم إلى تعزيز قواهم بالتحالف مع بعض القبائل البربرية، فتعرضت بلاد الزاب لعدة غارات شنها بنو توجين ومغراوة من زناتة المغرب الأوسط، المتحالفين مع بعض القبائل العربية. ويبدو أن هذا الوضع كان في صالح المرابطين، إذ من شأنه أن يشغل الحماديين بالدفاع عن مملكتهم بدل التفكير في التوسع غربا. وعلى الرغم من هذا كله، يمكن القول أن المغرب الأوسط عرف استقرارا نسبيا زمن المرابطين، إذا استثنينا تحركات الهلاليين نحو الزاب واصطدامهم بالقبائل الزناتية المقيمة هناك؛ إذ اضطر المرابطون للتحالف معها قصد الاستعانة بها في الدفاع عن حدودهم الشرقية، وهذا نتيجة ضعف سلطانهم في مناطق كثيرة من المغرب الأوسط، بعد أن استنفذوا قواهم في مواجهة النصارى، دفاعا عن الأراضي الإسلامية بالأندلس[2]. ومن مظاهر ضعف المرابطين، نجاح غارة المنصور الحمادي على تلمسان سنة 496هـ/1103م، قبل عقد صلح بين الدولتين في السنة الموالية، عين بموجبه يوسف بن تاشفين، القائد مزدلي واليا على تلمسان مكان تاشفين بن تنيعمر، إرضاء للحماديين. ولما

[1]- عبد الحميد حاجيات، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج3، ص ص293-296.

[2]- نفسه، ص ص297-298.

تعرضت دولة المرابطين لهجوم الموحدين، استنجدوا بالحماديين الذين أرسلوا جيشا لإغاثتهم، لكن جيش عبد المؤمن بن علي كان الأقوى، حيث هزمهم في الصخرتين سنة 539هـ[1].

**المبحث الرابع: المغرب الأوسط في العهد الموحدي(539-633هـ/1145-1235م).**

تأسست الدولة الموحدية على يد محمد بن عبد الله بن تومرت[2]، الذي ينحدر من هرغة إحدى فروع قبيلة مصمودة في السوس الأقصى. بدأ مشواره الدراسي بمسقط رأسه، قبل أن يقوم برحلات لطلب العلم بالأندلس ثم المشرق أين التقى بالكثير من العلماء منهم أبي حامد الغزالي[3]. كما كان له اتصال بالمدارس الفكرية بالمشرق كالأشاعرة والشيعة والمعتزلة، فضلا عن اطلاعه على الأحوال التي كانت تميز العالم الإسلامي آنذاك، والتي كانت تنذر بقرب انهيار بعض الإمارات كالحمادية بالمغرب الأوسط، والمرابطية بالمغرب الأقصى، مما شجعه على التفكير في مشروع إقامة دولة إسلامية قوية[4].

كانت انطلاقة مشروع الموحدين من المغرب الأوسط، حيث حل المهدي بن تومرت بقسنطينة؛ ليتجه بعد ذلك إلى بجاية، فنزل بمسجد الريحانة آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، قبل أن يبني مسجدا في ملالة[5] جنوب بجاية، فكان لقاؤه هناك بعبد المؤمن بن

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص298.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص201. المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص245. الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص539.

[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص46.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط1، 2004، ص ص 206-207.

[5]- ملالة هي قرية في جنوب بجاية تدعى تملالت بالبربرية. ينظر: البيدق(أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص13.

علي، الذي كان في طريقه إلى المشرق رفقة عمه، فأقنعه بأن يرافقه في مسيره نحو المغرب الأقصى، حيث مروا بمتيجة ومليانة والونشريس، ثم الشلف فتلمسان وصولا إلى وجدة[1].

بعد وفاة المهدي، انتظر عبد المؤمن بن علي ما يقارب العشر سنوات، قضاها في الإستعداد وتعزيز الصفوف والدعاية لعقيدة الموحدين. ولم يوجه اهتمامه شرقا باتجاه المغرب الأوسط إلا بحلول سنة 533هـ/1139م، وهذا بعدما رأى ما آلت إليه الأوضاع هناك من تدهور نتيجة نزوح القبائل العربية الهلالية من جهة، والغزو النورماندي من جهة ثانية[2]. ولما أدرك أن القدرات المتوفرة لديه بالمغرب الأقصى غير كافية للتغلب على المرابطين، قرر الإستعانة بأبناء عشيرته، فتوجه إلى كومية إحدى بطون قبيلة زناتة المقيمة بندرومة القريبة من تلمسان، فلقيت دعوته قبولا منها، وحصل على دعم وتأييد من أهلها، الأمر الذي شجعه على التوغل أكثر في المغرب الأوسط، ففاجأ لمتونة بوهران بهجوم مباغت، وما زال يحاصرها حتى انصاع أهلها[3].

اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين، خاصة بعد أن أعلن بعض شيوخ مسوفة وزناتة عن ولائهم لقوات عبد المؤمن بن علي، مما دفع بالأمير المرابطي تاشفين بن علي إلى طلب إمدادات عسكرية من مختلف أرجاء دولته، فوصلته تعزيزات من سجلماسة وبجاية وكذا من الأندلس[4].

تمكن خليفة المهدي من الإنتصار على القوات المرابطية سنة 539هـ/1144م، بتواطؤ من قبيلة جزولة، ثم أقام مخيما بجبل الصخرتين المطل على تلمسان من جهة الجنوب قصد

---

[1]- البيدق، المصدر السابق، ص ص 12 – 20.

[2]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص211.

[3]- الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، دت، ص 8.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص19.

إحكام الحصار عليها، في حين عسكر تاشفين في حصن الصفصيف إلى الشمال من تلمسان، قبل أن يظطر إلى تركه ويتجه إلى حصن وهران أمام الضربات المتتالية للموحدين. ومما زاد من معاناة المرابطين، ظهور انشقاقات في صفوف جيشهم، وتأييد مغراوة وبني مرين لخصومهم، الأمر الذي شجع القوات الموحدية على محاصرة حصن تاشفين، وإشعال النار فيه، ليهلك بذلك تاشفين وحاشيته[1].

بعد إخضاع وهران لسلطان الموحدين، توجهت أنظارهم صوب تلمسان، فاستولوا على تاكرارت المقر الرئيس للسلطة المرابطية بالمغرب الأوسط دون مقاومة تذكر، ثم حاصروا أقادير ما يقارب السنة، فأخضعوها بالقوة سنة 540هـ/1145م، وتلقوا البيعة من عاملها، وهذا بالموازاة مع ملاحقة الفارين من وهران وتاكرارت صوب فاس، حيث أشار ابن عذاري في بيانه أن قوات عبد المؤمن قتلت الكثير من اللمتونيين سواء في تلمسان أو فاس، على الرغم من توسلهم طالبين العفو منه[2].

عزم عبد المؤمن بن علي على إخضاع كامل المغرب الإسلامي إلى سلطانه. فقبل استيلائه على فاس ومراكش، وصلته بيعة أهل سجلماسة؛ ليقوم بعد ذلك في سنة 544هـ/1149م بتأسيس مدينة رباط الفتح، ثم يعود من جديد إلى المغرب الأوسط قاصدا إفريقية، فاستولى في طريقه على مليانة، وبعدها الجزائر والمدية سنة 546هـ/ 1151م، قبل أن يباغت الأمير الحمادي يحي بن عبد العزيز بن المنصور ويفتك منه بجاية، مرغما إياه على الفرار[3]. ويبدو أن الإنتصارات التي كان يحققها الخليفة الموحدي ناتجة عن التكتيك الحربي الذي كان

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ص20. البيدق، المصدر السابق، ص59.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، ص22.

[3]– الإيلاني(أبو علي صالح بن عبد الكريم)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط2، 2008، ص 164.

يعتمده كتجهيز جنده في سرية تامة، إذ يشير البيدق أن عساكر عبد المؤمن كانوا يتأهبون للقتال دون معرفة الوجهة أو زمن الإنطلاق[1].

واصل عبد المؤمن طريقة نحو الشرق، فعبر الأجزاء الغربية من المغرب الأوسط، ثم أخضع الجزائر لسلطانه دون قتال سنة 546هـ/1151م وأمن أهلها؛ ففر صاحبها القائم بن يحي بن العزيز إلى والده ببجاية[2].

في السنة الموالية، تحركت الجيوش الموحدية نحو مملكة بجاية في غفلة من أميرها يحي بن عبد العزيز بن المنصور، فدارت معركة شديدة بين الطرفين، كانت الغلبة فيها للموحدين؛ وبذلك دخل عبد المؤمن إلى بجاية التي كانت له مراسلات من قبل مع ميمون بن حمدون وزير صاحبها، حيث فتح له أبواب المدينة بعد أن فر صاحبها إلى قسنطينة، وتحصن بها[3].

استطاع الخليفة الموحدي إقناع أهل قسنطينة بالاستسلام مقابل إلغاء الضرائب المفروضة عليهم، فدخلها سنة 547هـ/1152م، وتم اعتقال يحي بن عبد العزيز، فقبل دعوة الموحدين، ليعود الجميع إلى بجاية أين أقام بن علي شهرين، وعين ابنه عبد الله واليا عليها[4]. أما دخول الموحدين إلى قلعة بني حماد فكان دمويا، حيث أسفر عن مقتل ثمانية عشر ألفا من أهلها من قبل القوات الموحدية بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن[5]. وكانت القبائل الهلالية كالأثبج

---

[1]- البيدق، المصدر السابق، ص 105.

[2]- الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص ص 107-108.

[3]- ابن السماك العاملي(أبو القاسم محمد بن أبي العلاء)، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص226.

[4]- ابن صاحب الصلاة(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي)، المن بالإمامة – تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص 113.

[5]- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد) ، المرجع السابق، ج2، ص 108.

ورياح وزغبة من أكثر المتضررين من سقوط القلعة، إذ تم طردها من الأراضي التي امتلكتها في ظل حكم الحماديين، فثارت ضد الموحدين، لكنها هزمت وقتل أبرز زعمائها، مما دفعها إلى الإستسلام والدخول في طاعة الموحدين سنة 548هـ/1153م[1].

نجح عبد المؤمن بن علي في حملته على المغرب الأوسط، فعاد بعدها إلى العاصمة مراكش بصحبة يحي بن عبد العزيز الذي أحسن إليه، حيث يقول صاحب الحلل الموشية في هذا الصدد:"وصار مع الخليفة عبد المؤمن إلى حضرة مراكش، فأعمره الديار، وأقطعه الضياع، وأقام هو وبنوه تحت إكرام ومبرة إلى أن انقرضوا"[2].

واصل عبد الله بن عبد المؤمن العمل بالمغرب الأوسط على نهج أبيه، فضم بونة إلى سلطان الدولة سنة 551هـ/1156م، بعد أن قتل عاملها الحارث الذي كان قد استنجد بالنورمانديين، وبذلك خضع المغرب الأوسط كله للدولة الموحدية، وظل الأمر كذلك إلى قيام الدولة الزيانية[3].

**المبحث الخامس: المغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1235-1555م).**

عرف المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي، وضعا سياسيا جديدا، تمثل في قيام دولة بني عبد الواد، التي استقلت عن الدولة الموحدية على غرار جيرانها بنو حفص بالمغرب الأدنى وبنو مرين بالمغرب الأقصى. وقد نتج هذا التغير في الخريطة السياسية للمنطقة عن الضعف الذي آلت إليه دولة الموحدين، بعد أن خضع إلى سلطانها المغرب والأندلس(**الملحق رقم 01**).

---

[1]- الناصري، المرجع السابق، ص 108.

[2]- ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص 226.

[3]- علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين "دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية"، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 42.

لقد كانت هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م[1]، بمثابة ضربة قاضية أنذرت بقرب نهاية هذه الدولة، حيث توالت النكسات، وازدادت هجمات الممالك النصرانية من كل الجهات؛ فقشتالة من الشمال، وأراغون من من الشرق، والبرتغال من الغرب[2]. ومما زاد من معاناة الدولة الموحدية، انكار بني غانية ولاءهم لها وإعلان الثورة ضدها، ناهيك عن الصراع حول الخلافة منذ وفاة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1164م، مما أفقد الدولة هيبتها، وجعلها عرضة للانقسامات، ليبدأ المغرب الأوسط عهدا جديدا مع ظهور بني عبد الواد[3].

بعد أن كان بنو عبد الواد من أشد المعارضين للموحدين، تغيرت العلاقة بين الطرفين، إذ وجد عامل الموحدين بتلمسان في هؤلاء خير معين له في مواجهة خطر ابن غانية المهدد لتلمسان؛ فكان رد الجميل بإقطاعهم أراضي بإقليم وهران وضواحي تلمسان إلى وادي ملوية غربا، فاستقروا هناك حيث السهول الخصبة والمراعي الواسعة[4]. ونظير الخدمات والولاء الدائم للموحدين، قام الخليفة المأمون الموحدي بتعيين جابر بن يوسف حاكما على إقليمي تلمسان وبني راشد سنة 627هـ/1230م، وهذا قبل أن يتطلع بنو عبد الواد إلى بسط

---

[1]- ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 138-140.

[2]- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية، المكتبة الوطنية، ط1، 2005، ص 40.

[3]- بنو عبد الواد هم زعماء قبائل رحل كانت منتشرة بصحراء المغرب الأوسط وتمارس الرعي، قبل أن تزحف في عهد المرابطين نحو سواحله. عارضت هذه القبائل قيام الدولة الموحدية، لكنها سرعان ما أصبحت موالية لها، لتنال بذلك حظوة عند حكامها، وتحصل على أراضي بتلمسان وضواحيها. ينظر: خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 43.

[4]- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1، ص 198.

سلطانهم على المغرب برمته، كورثة للموحدين الذين أضحى ضعفهم جليا[1]. وقد مرت الدولة الزيانية منذ ظهورها وإلى غاية أفول نجمها بأربع مراحل رئيسية، تعاقبت على مدار ثلاثة قرون هي: مرحلة النشأة(633-706هـ/1235-1306م)، وهي المجال الذي يدخل في إطار دراستنا هذه، ومرحلة التوسع(706-737هـ/1306-1337م)، ومرحلة النهضة(759-791هـ/1350-1389م)، ومرحلة الضعف والسقوط (791-962هـ/ 1389-1554م)[2].

بحلول سنة 633هـ/1235م، أقدم يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م)[3] على تأسيس دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط، متخذا من تلمسان عاصمة له، وكان ذلك على عهد الخليفة الموحدي الرشيد عبد الواحد بن إدريس(630-640هـ/1232-1242م). عرفت هذه الدولة الناشئة بالدولة الزيانية نسبة إلى مؤسسها، حيث أبقى هذا الأخير على علاقات الود والصداقة مع الموحدين، من خلال تبادل الهدايا والسفارات. ولما اعتلى الخليفة السعيد أبو الحسن عرش الموحدين(640-646هـ/1242-1248م)، حرص على إبقاء العلاقة

---

[1]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص 44-45.

[2]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني(633-962/1235-1554)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص 64.

[3]- هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ينتمي إلى بني عبد الواد أحد بطون قبيلة زناتة البربرية. ولد سنة 603هـ/1206م. ظهر على ساحة الأحداث كزعيم سياسي لبني عبد الواد سنة 633هـ/1235م، حيث أعلن عن قيام الدولة الزيانية. تميزت علاقته بالعداء مع المرينيين والحفصيين، حيث كان كل طرف يعتبر نفسه الوريث الشرعي للدولة الموحدية التي دخلت مرحلة الإحتضار. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 72. التنسي(محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، الجزائر، 2011، ص ص 115-128. ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل)، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 2003، ص 55.

الطيبة مع الأمير الزياني، فبعث إليه خيولا، ووعده بقتال العدو المشترك المتمثل في بني مرين، الذين وسعوا نفوذهم بالمغرب الأقصى. وقد فسر البعض هذا التقرب الموحدي من بني زيان، برغبة الخليفة الموحدي في إبعاد الخطر المريني عن المغرب الأوسط، ليستعيد بعد ذلك سلطانه على تلمسان، ثم التوجه إلى إفريقية لاسترجاعها من بني حفص[1]. وما يؤكد هذا، ما أورده ابن أبي الزرع في ذخيرته، حيث ذكر أن السعيد الموحدي غادر مراكش في جيش عظيم باتجاه الأماكن التي يرابط بها المرينيون؛ وما أن وصلت قواته حتى سارع الأمير المريني أبو بكر بن عبد الحق بإرسال بيعته إلى السعيد طالبا منه العفو على قبائل بني مرين، ومتعهدا بجعلها في خدمته، والتكفل بالقضاء على يغمراسن، حيث خاطبه قائلا:"يا أمير المؤمنين، لا تتعب نفسك في أمر يغمراسن، أنا أكفيك أمره، فارجع إلى حضرتك. وقوني بالمال والعدة، وأنا أبيد جميع عبد الوادي وغيرهم ممن ثار بتلك البلاد من قبائل زناتة، وأفتح لك البلاد وأمهدها"[2].

نجح الخليفة السعيد الموحدي في إزالة الخطر المريني، لكنه رغم ذلك استشار كبار قومه في العرض الذي قدمه أبو بكر المريني، فنصحوه بألا يأمن شره بقولهم:"يا أمير المؤمنين، إن الزناتي أخ الزناتي، لا يخذله ولا يسلمه، فتخاف أن يصطلحا ويجتمعا على حربك، فتكون المشقة بهم أعظم، والمقاساة في حربهم أشد". عمل الخليفة بالنصيحة، فطلب من أبي بكر أن يبقى بقلاع الريف، ويبعث إليه بفرقة من الفرسان، ففعل[3].

---

[1]– خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55–633هـ/675–1235م)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011، ص ص 239–240.

[2]– ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 71.

[3]– نفسه، ص ص 71–72.

توجه الأمير الموحدي إلى تلمسان سنة 646هـ/1248م، مستعينا بالإمدادات المرينية المتمثلة في خمسمائة فارس. لكنه وجد يغمراسن قد غادر مدينته في أهله وولده وخاصته، ولجأ إلى حصن تامزيزديت جنوب وجدة وتحصن بها[1]، فلاحقه إلى هناك وهو لا يدري أنه سينال حتفه، حيث تمكن بنوا عبد الواد من القضاء عليه، ثم نهبوا محلته وأمواله وعادوا بها إلى تلمسان[2]. بذلك انكسرت شوكة الموحدين، واهتزت سمعتهم أمام قبائل المغرب الأقصى بالخصوص، فزادت أطماع بني مرين، لينتهي الأمر بسقوط الدولة الموحدية سنة 668هـ/1269م[3].

تميزت العلاقات الزيانية المرينية بالسوء منذ دخول الموحدين إلى المغرب الأوسط سنة 539هـ/1145م، نظرا لتحالف بني عبد الواد مع الدولة الموحدية. وزاد الأمر سوءا وتطور إلى مواجهات عسكرية، كان الإنتصار في معظمها للمرينيين، مثل معركة وادي إيسلي قرب وجدة سنة 647هـ/1249م التي انهزم فيها يغمراسن[4]، واستعاد بموجبها الأمير المريني أبو يحي بن عبد الحق(644-658هـ/1244-1258م) نفوذه على فاس التي كانت قد خرجت عليه، مما دفع بيغمراسن إلى نصح ولده أبو سعيد عثمان قبل وفاته، بأن يكف عن محاربة

---

[1]- اختلف المؤرخون في كيفية هذه الكلمة"تامزيزديت، أو تامززدكت، أو تمزكزت". فهناك من قال أنها قلعة بقبلة وجدة، وذكر آخر أنها جبل بمجاورة جنوب وجدة، في حين قال ثالث أنها حصن بين صحراء أنكاد وناحية تلمسان. ينظر البكري(أبو عبيد)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، ص 87. حسن الوزان(الحسن بن محمد الوزان الزياتي)، وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص11. عبد الرحمن بن خلدون(أبو زيد)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1999، ج13، ص 169. يحي بن خلدون(أبو زكرياء)، المصدر السابق، ج1، ص 169.

[2]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية...، المصدر السابق، ص 72.

[3]- خالد بلعربي، تلمسان من الفتح...، المرجع السابق، ص 243.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص 172.

المرينيين لأنهم أشد بأسا وقوة، وأن يوسع ملكه بانتزاع ما كان بيد الحفصيين بالجهات الشرقية من المغرب الأوسط، حيث قال له:"يا بني، إن بني مرين، بعد استفحال ملكهم، واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش؛ لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم...، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت في الإستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم..، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك"[1].

يبدو أن عثمان بن يغمراسن طبق وصية والده، وجنح إلى السلم مع بني مرين، حيث أوفد أخاه محمد بن يغمراسن إلى يعقوب بن عبد الحق(657-686هـ/1259-1286م) الذي كان في إجازة بالعدوة الأندلسية، فلقيه وعقد له من السلم ما أحب، فطابت نفسه بهذا اللقاء؛ وبذلك تفرغ خليفة يغمراسن لتوسيع مملكته شرقا.

استطاع عثمان بن يغمراسن توسيع نفوذه بالجهات الشرقية، حيث تمكن من إخضاع جميع المناطق التي كانت خاضعة لبني توجين ومغراوة؛ فدانت له أقاليم بني توجين سنة 687هـ/1287م إما سلما أو حربا، في حين لم يبسط سيطرته على أراضي مغراوة إلا بحلول سنة 693هـ/1293م بعد صراع طويل، وبذلك خضع كل المغرب الأوسط لسلطانه[2].

بعد هلاك السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 686هـ/1286م، على السلم المنعقدة بينه وبين بني زيان، تولى أمر بني مرين من بعده ابنه يوسف بن يعقوب(686-703هـ/1286-1306م)، الذي لم يرق له تقارب السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن مع بني الأحمر، فتنازل بدوره لهؤلاء عن ثغور الأندلس التي كانت خاضعة له، ليتفرغ لمواجهة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص ص 189-190.

[2]- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1903، ج1، ص 118.

الزيانيين؛ إذ هاجم عاصمتهم تلمسان وحاصرها عدة مرات، كان أولها سنة 689هـ/1289م بمساعدة مغراوة، لكنها استعصت عليه. قام باعتداء آخر استهدف ندرومة سنة 695هـ/1295م، ثم عاد بعدها إلى المغرب. غزا تلمسان مرة ثالثة سنة 696هـ/1296م، قبل غزوته الرابعة لها في السنة الموالية، بدعم من بني توجين هذه المرة، والتي توجت بحصار طويل عمر أكثر من ثماني سنوات، تم خلاله إحاطة عاصمة بني زيان بالأسوار، واختط إلى جنبها مدينة جديدة سماها المنصورة[1]. ولم ينته هذا الحصار إلا بوفاة يوسف بن يعقوب سنة 703هـ/1306م، حيث عرفت تلمسان خلاله أسوأ مجاعة. يقول ابن خلدون عن آثار هذا الحصار:"واستمر حصاره إياهم إلى تمام ثماني سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله، نالهم فيها من الجهد والجوع مالم ينل أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفيران، حتى لزعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسي، وخربوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق، بما تجاوز حدود العوائد"[2].

تلكم هي الأوضاع السياسية التي ميزت المغرب الأوسط منذ العهد العبيدي وإلى غاية مطلع العهد الزياني. هذه الفترة التي عرفت السلم والإستقرار أحيانا، والحروب والصراعات أحيانا أخرى، كان لها تأثيرها الواضح في مختلف الميادين، خصوصا الميدان التعليمي الذي هو موضوع الدراسة. فالاختلاف المذهبي للدول التي تعاقبت على إدارة شؤون المنطقة أرخى بظلاله على الحياة التعليمية بالخصوص، إذ بدا ذلك واضحا على السياسات المتباينة

---

[1]– المنصورة هي المدينة التي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني عند بداية حصاره لتلمسان سنة 697هـ/1297م. خربها أهل تلمسان بعد فك الحصار عنها سنة 703هـ/1306م. أعاد بناءها السلطان أبو الحسن المريني أثناء الحصار الثاني لعاصمة الزيانيين بين سنتي 735 و737هـ/ 1335 و1337م. ما تزال بعض آثارها قائمة على بعد كيلومترين غرب تلمسان. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص 130–131. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص ص 197–198.

المنتهجة في هذا المجال، حيث كيفت برامج الدراسة بما يخدم مذهب الدولة القائمة، وضيق على علماء المذاهب الأخرى.

# الفصل الأول

# الفصل الأول

# عوامل تطور حركة التعليم في المغرب الأوسط من العهد العبيدي إلى العهد الزياني

**المبحث الأول: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط قبيل العهد العبيدي.**

**المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تطوير التعليم بالمغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ.**

**المطلب الأول: استقطاب العلماء.**

**المطلب الثاني: إقامة مراكز التعليم.**

**المطلب الثالث: إنشاء المكتبات.**

**المطلب الرابع: الرحلة في طلب العلم.**

**أولا: نماذج من رحالة العلم من المغرب الأوسط خلال الحكم الموحدي.**

**ثانيا: نماذج من رحالة العلم الوافدين على المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي.**

**المطلب الخامس: تشجيع حركة التأليف.**

الأمة الإسلامية هي أمة اقرأ، ومن ثم فلا عجب أن نجدها قد اهتمت اهتماما كبيرا بالتربية والتعليم منذ ظهور الإسلام. فقد دعا هذا الدين الحنيف إلى طلب العلم، حيث قال تعالى:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[1]. وجاء في سورة طه قوله عز وجل: "**وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**"[2]. **وقال جل جلاله في سورة الزمر:" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**"[3]. وقال عز من قائل:"**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**"[4]. **وقال جل شأنه:"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**"[5]. كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة على طلب العلم، منها: عَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَقُولُ"مَن سَلَكَ طَرِيْقَاَ يَبْتَغِي فِيْهِ عِلْماَ، سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقَاً إلى الجَنَّة، وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضَاً بِما يَصْنَعُ، وَإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لهُ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ حَتَّى الحِيْتَانُ في المَاءِ، وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ، كَفَضلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإنَّ العُلَماءِ وَرَثَةُ الأنبِيْاءِ، وإنَّ الأنبِيْاءَ لمْ يُوَرِّثُوا دِيْناراً ولا دِرْهَماً، وَإنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ"[6]. وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ يَقُول"مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ، فهو في سَبِيْلِ اللهِ حتى يَرْجِعَ"[7]. وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ قالَ: قالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ"إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ

---

[1]– سوة العلق، الآيات: 1-2-3-4-5.

[2]– سورة طه، الآية 114.

[3]– سورة الزمر، الآية 9.

[4]– سورة المجادلة، الآية 11.

[5]– سورة فاطر، الآية 28.

[6]– النووي(يحي بن شرف)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ضبط وإخراج الأحاديث أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص223..

[7]– نفسه، ص224.

عمَلُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أووَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[1]. لهذا أولى المسلمون عبر الأزمنة والعصور، العناية اللازمة للحياة التعليمية، حيث بذلوا جهدا جبارا في سبيل تطويرها.

**المبحث الأول: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط قبيل العهد العبيدي.**

قبيل ظهور العبيديين بالمغرب الإسلامي، كان المغرب الأوسط خاضعا للدولة الرستمية التي أقامها عبد الرحمن بن رستم الإباضي الخارجي، متخذا من تيهرت عاصمة لملكه. ومن أولى المنشآت العمرانية التي أقيمت بالعاصمة الرستمية، المسجد على عادة المسلمين، باعتباره منارة لبث العلم، واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. ومن مظاهر إسهام الأئمة الرستميين في النهضة العلمية ودعم حركة التعليم بالمغرب الأوسط، تشجيعهم للعلماء، بل كان بعضهم من رجالات العلم، وفي مقدمتهم مؤسس الدولة الذي له كتاب في تفسير القرآن الكريم، يحتمل أنه أتلف أثناء الصراع المذهبي عقب سقوط الدولة[2]. كما خصص هؤلاء أموالا معتبرة لشراء الكتب من البصرة، خصوصا الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن[3]، الذي أشارت أشارت بعض المصادر التاريخية أنه ترك تيهرت، وأقام بجبل نفوسة مدة سبع سنوات قضاها في تدريس العلوم الدينية[4]. وكان إبنه أفلح عالما في الفلك والحساب، ومولعا بحضور

[1]– النووي، المصدر السابق، ص223..

[2]– محمد حسن العبدوس، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص 519.

[3]– الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، 1975، ج2، ص 57.

[4]– نفسه، ج1، ص ص 66–67.

الحلقات المسجدية، ومشجعا على طلب العلم، إضافة إلى نظمه للشعر[1]. ومن أشعاره التي يحث فيها على طلب العلم الأبيات التالية:

العلم أبقى لأهل العلم آثـــــارا يريك أشخاصهم روحا وأبكـــــارا

حي وإن مات ذو علـم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياج على جهل ومنقصـــة كميت قد ثوى في الرمس إعصـارا

واجعله لله لا تجعله مفخـــــرة ولا ترائي به بدوا وأحضـــــــارا[2].

وقد أحصت المصادر الإباضية عددا هائلا من العلماء الذين قادوا الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط أيام حكم الرستميين؛ حيث أشار الدرجيني إلى هلاك حوالي أربعمائة من علماء الإباضية في موقعة مانو، التي خاضها الإباضية ضد الأغالبة قرب طرابلس سنة 283هـ[3]. ومن أسماء العلماء التي أوردتها كتب الطبقات والتراجم: الشيخ المهدي النفوسي، وأبو الربيع بن هارون، وأبو حسان الفرسطائي، وعمروس بن فتح، وأبو عبيدة الأعرج[4]. ولم تتخلف المرأة خلال العهد الرستمي عن المشاركة في ازدهار الحياة العلمية، حيث برزت أخت الإمام أفلح في علوم الفلك والحساب والتنجيم.[5]

[1]– الوسياني(أبو الربيع عبد السلام)، سيرة أبي الربيع بن عبد السلام الوسياني، طبعة حجرية، دت، ص 161.

[2]– محمد حسن العبدوس، المرجع السابق، ص 519.

[3]– الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 89.

[4]– بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري–العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص ص 92–93.

[5]– محمد حسن العبدوس، المرجع السابق، ص ص 519–520.

كان التعليم بالمغرب الأوسط في المرحلة الأولى من انتشار الإسلام بهذه الربوع دينيا محضا، وهذا بهدف ترسيخ عقيدة الإسلام في نفوس البربر، وإقناعهم بالتخلي عن دياناتهم السابقة من نصرانية ويهودية. كانت هذه العملية تتم في المؤسسة الجديدة التي ظهرت تزامنا مع ظهور الإسلام وهي المسجد، ثم في الكتاتيب التي خصصت لتعليم الصبيان، وذلك باعتماد أسلوب التلقين في البداية باعتبار هذا الدين جديد. وبظهور الفرق والمذاهب، اعتمد نظام الحلقة الذي كان يهدف إلى الدعوة وكسب الأتباع، كما كان الحال مع دعاة الإباضية والصفرية[1] وغيرهم خلال القرن الثاني للهجرة، ثم مع المذاهب السنية كالمالكية والحنفية بعد ذلك[2]، لتبرز بعدها الدعوة الشيعية من إقليم كتامة بالمغرب الأوسط أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتهيمن على معظم أرجاء المغرب الإسلامي[3]. وإذا كان التعليم في المغرب الأوسط قد اقتصر في البداية على تحفيظ القرآن الكريم لأداء الشعائر الدينية، فإنه أضاف تلقين اللغة العربية لاكتساب لسان فصيح، وهذا مع مطلع القرن الثالث الهجري. كما اشتهرت تيهرت بمكتبتها الضخمة التي كان بها أكثر من ثلاثمائة مجلد في مختلف أصناف العلوم والفنون، ضاع معظمها على أيدي العبيديين، وبرزت كمركز لتعليم اللغة العربية الفصيحة، بعد أن كان الأمر مقتصرا على بعض الحواضر المشرقية كالبصرة والكوفة[4].

[1]– الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 11.

[2]– عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للتشر، تونس، 1971، ص 21.

[3]– القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 112. القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوي، دار المنتظر، بيروت، ص 41.

[4]– محمد حسن العبدوس، المرجع السابق، ص 518.

على الرغم من انشغال الرستميين بالدعوة الإباضية، إلا أنه يبدو أن ذلك لم يثنهم عن الإهتمام بالتشجيع على طلب العلم، بإنشاء المساجد والكتاتيب، وجلب الكتب، وإقامة المناظرات العلمية، بل برز بعض أئمتهم في علوم شتى. وبذلك يكونوا قد ساهموا في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

لم يقتصر الإهتمام بالمجال الفكري وحركة التعليم على العهد الرستمي فقط، وإنما كانت للدول الإسلامية التي شهدها المغرب الأوسط بعد ذلك إسهامات في هذا المجال، مما أدى إلى الرقي الثقافي، إلى درجة أن أصبحت العديد من حواضر المنطقة قبلة للعلماء وطلبة العلم على حد سواء.

**المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تطوير التعليم بالمغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ.**

يعود الإزدهار الثقافي والتطور الذي عرفه التعليم بالمغرب الأوسط، في مؤسساته، وطرائقه، وبرامجه، إلى عوامل كثيرة، اختلفت باختلاف السياسات التي انتهجتها الدول التي تعاقبت على حكم هذه الرقعة الجغرافية عبر العصور. ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

**المطلب الأول: استقطاب العلماء.**

لا يمكن للعلم أن يرقى ويتطور، مالم يجد أهله الرعاية اللازمة التي تشجعهم على البذل والعطاء. لهذا نجد المصادر التاريخية وخصوصا كتب الطبقات والتراجم، عند تناولها السير الذاتية لرجال العلم، تذكر الحواضر التي كانت أكثر استقطابا لهؤلاء. فتيهرت على سبيل

المثال لم يكن لها ذكر قبل الرستميين، لتتحول بعد تأسيسها وتعميرها إلى منارة علمية ومقصد للعلماء، نظرا للرعاية التى أولاها أئمة بني رستم لورثة الأنبياء[1].

استمر الإهتمام برجال العلم بالمغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م. وبما أن مذهب الدولة العبيدية لم يكن امتدادا للمذهب الإباضي الذي كان سائدا قبلهم، فإن العبيديين سعوا إلى طمس معالم حضارة من سبقهم، لعدم تماشيها مع مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، وضيقوا على من خالفهم في المذهب، فنتج عن ذلك تعطيل حرية التفكير، وانزواء العلماء المخالفين لمذهب الشيعة[2]. وبالمقابل لقي علماؤهم كل أشكال الدعم، بفتح المدارس والمعاهد لهم، قصد نشر دعوتهم[3]. فقد عرف الخليفة المنصور بالله وابنه المعز لدين الله بشغفهما بالعلوم، وتشجيع الشعراء والأدباء والعلماء على الوفود إلى الحضرة، وجمع الكتب النفيسة في كل فن، حيث كان المعز يقول:"والله ما تلذذت بشيء تلذذي بالعلم والحكمة"[4]. ومن الأعلام الذين برزوا في هذا العهد: القاضي النعمان[5]، وابن

---

[1]– الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 57.

[2]– مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص272.

[3]– نفسه، ص 273.

[4]– القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ج1، ص 91.

[5]– هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي الأصل القيرواني المولد. ولد سنة 292هـ. تولى القضاء في كل من طرابلس والمنصورية والمهدية والقيروان، ليصبح قاضي القضاة في عهد المعز. له العديد من المؤلفات منها: كتاب افتتاح الدعوة، المجالس والمسايرات، المناقب والمثالب، مفاتيح النعمة، التوحيد، دعائم الإسلام في مسائل الحلال والحرام والقضايا والأحكام. توفي سنة 363هـ. ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص 6 وما بعدها. الكندي(أبو عمر محمد بن يوسف)، الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، مطبعة الآبا اليسوعيين، بيروت، 1908، ص ص 494-495.

هانئ الأندلسي[1]، وتميم بن المعز[2]. ورغم سياسة الترغيب والترهيب المنتهجة ضد العلماء من غير الشيعة، إلا أن هؤلاء واصلوا نشاطهم في غالب الأحيان سرا، فحافظوا بذلك على جذوة العلم، التي أضاءت من جديد بعد زوال الحكم العبيدي عن المنطقة.

بأفول نجم العبيديين ببلاد المغرب، تولى البربر زمام الحكم بالمغرب الأوسط، ممثلين في قبيلة صنهاجة، فتشكلت الدولة الزيرية في قسمه الشرقي ثم الحمادية في قسمه الغربي. تميزت هذه الفترة بظاهرة التنافس الثقافي، الذي كان قائما بين حواضر العالم الإسلامي، كبجاية وبغداد والقاهرة وفاس والمهدية. فقد اشتهرت كل واحدة منها بلون من العلوم؛ إذ برزت المهدية في الكيمياء، وصقلية في الترجمة، وبجاية في الرياضيات[3]. ومن عوامل تفوق الحماديين في هذا التنافس، إيثارهم العلماء على غيرهم، والجود عليهم. فقد كانت مجالس

---

[1]– هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي. كان أبوه شاعرا وأديبا. انتقل من المهدية بإفريقية، إلى قرية سكون بإشبيلية، فولد له هناك مترجمنا. نشأ في بيئة أدبية فجرت مواهبه الشعرية، فتقرب في بداية عهده بصاحب إشبيلية ومدحه، فنال بذلك حظوة عنده. لكن غلوه في التشيع، واعتقاده بإمامة الفاطميين، أدى إلى نقمة أهل إشبيلية عليه، إلى درجة أن حاولوا قتله، مما اضطره إلى مغادرة الأندلس والإستقرار بالمغرب. اختلفت الروايات بشأن وفاته، فتقول بعضها أن سكر ونام عاريا فمات من شدة البرد، وتروي أخرى أنه وجد مخنوقا في ساقية. توفي في السادسة والثلاثين من العمر. ينظر: محمد بن هاني الأزدي الأندلسي، ديوان ابن هاني الأندلسي، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشرن بيروت، 1980، ص ص 5–8.. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم مراجعة وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج2، ص ص 761–772. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص،ص 2219–2375.

[2]– هو تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بن المنصور بالله بن القائم بأمر الله. ولد سنة 337هـ بالمهدية بتونس. كان شاعر بيت العبيديين بلا منازع. ينظر: تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، ديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ومحمد كامل حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1957، ص ص 5–10.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 249.

الناصر بن علناس(1062-1088م) تعج بالأدباء والشعراء، وحذا المنصور بن الناصر(1088-1105م) حذوه، بل كان نفسه أديبا وشاعرا، وكان يحي بن عبد العزيز(1121-1152م) فصيح اللسان والقلم[1]. وبهذه السياسة، أضحت حواضر المغرب الأوسط قبلة للعلماء والطلبة. ومن الذين استهوتهم هذه الحواضر خلال هذه الفترة: محمد بن الحسين الأنصاري (ت520هـ/1126م) وهو ميورقي وأقام ببجاية[2]، وأبو عبد الملك البوني(ت439هـ/1047م) الذي ينحدر من الأندلس ورحل إلى القيروان ثم استقر ببونة إلى غاية وفاته[3]، وأبو مدين شعيب بن الحسين الإشبيلي (ت594هـ/1198م) وهو من أقطاب التصوف بالمغرب الإسلامي، وقضى معظم حياته ببجاية[4]، والشاعر ابن حمديس الصقلي (ت527هـ/1133م) الذي ولد بصقلية وهاجر إلى الأندلس ثم بلاد المغرب، فمدح بعض أمراء بني زيري وبني حماد، وتوفي ببجاية[5]، وليوناردو دافينتشي الإيطالي الأصل، الذي حل

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3، ص ص 96-99.

[2]- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، ص 262.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار منشورات الحياة، ط2، بيروت، ج1، ص ص 369-370.

[4]- عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، ط4، 2003، ص64. ابن قنفذ القسنطينيّ، أنس الفقير، تحقيق أبو سهل و نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، ط1، 2002، ص- ص 14-15-48-53. أبو عبد الله محمد التميمي الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2002، ص42. ابن الملقن(سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري)، طبقات الأولياء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2006، ص297.

[5]- - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص ص 244-245.

ببجاية لتعلم الحساب والرياضيات، وألف كتابي العد والهندسة التطبيقية، وساهم في نقل علم الرياضيات إلى أوربا[1].

بعد حكم الصنهاجيين، صار أمر المغرب الأوسط للمرابطين، فلم ينقطع الإهتمام بالعلوم والآداب والفنون كما زعم البعض أمثال دوزي، وإنما اختلفت درجته من فترة إلى أخرى تأثرا بالظروف التي مرت بها الدولة. فعصر يوسف بن تاشفين كان عصر جهاد وكفاح، وبالتالي لم تحظ الحياة الثقافية بالرعاية التي لقيتها في عهد من تولوا حكم البلاد من بعده؛ لكن رغم ذلك كان هذا الأمير محبا للعلماء ومعظما لمكانتهم، حيث يقول ابن القاضي في هذا الشأن: "وكان- يقصد يوسف بن تاشفين- محبا في الفقهاء والصلحاء، مقربا لهم، صادرا عن رأيهم، وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال"[2]. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الحياة الأدبية والعلمية عرفت ازدهارا كبيرا أيام حكم علي بن يوسف بن تاشفين، نتيجة تشجيعه للشعراء والأدباء، فتوافدوا على بلاطه[3]. ومن هؤلاء: الشاعر أبو العباس أحمد بن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التطيلي(485-525هـ/1092-1132م)[4]، والشاعر أبو بكر يحي بن محمد بن يوسف[5]، والشاعر أبو الحسن علي بن عطية بن الزقاق البلنسي(490-

---

[1]- أحمد حماني، عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية، مجلة الأصالة، العدد19، 1974، ص 249. مولود قاسم نايت بلقاسم، بجاية لقنت أوربا الرياضيات بلغة العروبة، مجلة الثقافة، العدد89، 1985، ص 39.

[2]- ابن القاضي(أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 545.

[3]- علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2006، ص 186.

[4]- جاسم زياد طارق، أثر العمى في شعر التطيلي دراسة نفسية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد101، 2012، ص ص 265-287.

[5]- علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص 210.

528هـ/1096-1134م)[1]. وعلى العموم، حظي الشعراء في هذا العصر بمكانة مرموقة لدى أمراء الأسرة الحاكمة وكبار القادة وعمال الدولة على الأقاليم المختلفة[2]. ولم تقتصر العناية على الشعراء والأدباء فقط، بل شملت العلماء في مختلف الميادين، مما أدى إلى بروز نوابغ من أمثال: الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (ت520هـ)[3]، وأبو علي الصدفي (ت514هـ)[4]، وأبو بكر بن العربي(ت543هـ)[5]، والقاضي عياض (ت544هـ)[6]،

---

[1]- هو أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق التجيبي. من مؤلفاته: لامية في الأحكام، ومنظومة في القواعد، وتقييد على مختصر خليل. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350، ج1، ص 274. الزركلي(خير الدين)، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج4، ص 312.

[2]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997ص 384.

[3]- كان قاضيا للجماعة بقرطبة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996، ج19، ص 499.

[4]- هو القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفي الأندلسي السرقسطي. ولد سنة 452هـ، وتوفي في موقعة قتندة من ثغور سرقسطة سنة 514هـ. ينظر: الذهبي، نفسه، ج19، ص ص 376-378. اليافعي(عبد الله بن سعد)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص 160. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق أحمد المحمدي أبو النور، دار التراث والنشر، القاهرة، 1976، ج1، ص ص 330-332.

[5]- هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي. ولي قضاء إشبيلية. من مؤلفاته: أحكام القرآن، وأنوار الفجر، والعواصم من القواصم، أعيان الأعيان، الإنصاف في مسائل الخلاف. ينظر: الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000، ج3، ص ص 265-266.

[6]- هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي السبتي المالكي. ولد سنة 476هـ. تولى القضاء بسبتة لمدة 16 سنة. من تآليفه: الشفا في

والنحوي(ت521هـ)[1]، وابن الصيرفي(ت570هـ)[2]، وابن بسام الشنتريني(ت542هـ)[3]، وابن بشكوال(ت578هـ)[4]، والشريف الإدريسي (ت)[5]، وعبد الملك ابن زهر(ت557هـ)[1].

---

شرف المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، ومشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار، وجامع التاريخ، وشرح حديث أم زرع، والعقيدة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص ص 212-218.

[1]- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي. من مؤلفاته: الإقتضاب في شرح أدب الكتاب، والتنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة. ينظر: علي محمد الصلابي، فقه التمكين...، المرجع السابق، ص 205.

[2]- هو أبو بكر يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي. أخذ عن أبي بكر بن العربي. نبغ في البلاغة والأدب والتاريخ. من مؤلفاته: الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية، وقصص الأنباء وسياسة الرؤساء. ينظر: السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط1، 1965، ج2، ص 343.

[3]- هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني. برز في الأدب والتاريخ. من مؤلفاته: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ينظر: محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1970، ص ص 298-304.

[4]- هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري القرطبي. ولد سنة 494هـ. من مؤلفاته: قضاة قرطبة، والصلة في علماء الأندلس، وأخبار سفيان بن عيينة. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة، تحقيق أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، ص ص 18-21. الذهبي، تذكرة الحفاظ، تصحيح عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1374هـ، ج4، ص ص 1339-1341.

[5]- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن يحي بن علي بن محمود بن ميمون الحمودي. ولد بثغر سبتة سنة 493هـ/1099م. يعد عمدة الجغرافيين المسلمين. من أهم مؤلفاته: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 305-314. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص ص 68-73.

ورث الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس بما في ذلك المغرب الأوسط. ولم يشذوا عن ظاهرة الإهتمام برجال العلم التي كانت سائدة عند من سبقهم، حيث ظل العلماء والفقهاء يتمتعون بمنزلة كريمة في ظل الموحدين، خصوصا المشتغلين منهم بمذهب الدولة. فقد كان عبد المؤمن بن علي ينزل العلماء المنازل اللائقة بهم، ويؤثرهم على غيرهم؛ إذ يؤكد الزركشي هذا الأمر بقوله:"وكان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"[2]. وسار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على نفس الدرب في تكريم العلماء، فكان حريصا على جلبهم إلى عاصمته ومجالستهم. يقول صاحب المعجب في هذا الصدد:"ولم يزل – يقصد يوسف بن عبد المؤمن – يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب"[3]. ومن مظاهر تقديره للعلماء، ترجله عن فرسه ومعانقته للعالم ابن الجد، عند زيارته لإشبيلية سنة 580هـ/1184م[4].

اتبع المنصور الموحدي نهج من سبقه من أمراء الموحدين في تكريمه للعلماء وتعظيم شأنهم، فكان يقربهم منه ويشهد جنائزهم. يقول صاحب الأنيس المطرب:"...محبا في العلماء

---

[1]– هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء المعروف بابن زهر الأندلسي الإشبيلي الإيادي. ولد سنة 464هـ. ورث علم الطب عن والده، ثم ورثه لابنه. من مؤلفاته: التيسير في المداواة والتدبير. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص131. ابن أبي أصيبعة(موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر امرؤ القيس بن الطحان، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995، ج2، ص 66.

[2]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 150.

[3]– نفسه، ص 176.

[4]– حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980، ص 339.

معظما لهم، صادرا عن رأيهم...يشهد جنائز العلماء والصلحاء، ويزورهم ويتبرك بهم...وأكرم الفقهاء وراعى الصلحاء والفضلاء، وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال"[1]. ومن الذين قربهم منه محمد بن أحمد بن محمد اللخمي(ت633هـ/1236م)[2]، الذي استقدمه من تلمسان، فنال منزلة عالية عنده وعند أبنائه من بعده.

هكذا إذن تبوأ العلماء منازل مرموقة عند الموحدين، حيث قربهم هؤلاء وأكثروا الإنفاق عليهم، إلى درجة أن حسدهم بعض الشعراء ونظموا قصائد في هجائهم ونقدهم[3]. فكان عبد المؤمن بن علي إذا وفد عليه أحمد بن أبي عبد الرحمن المعروف بابن أبي صقر، أعطاه في المرة الواحدة خمسمائة دينار[4]. كما نال أبو القاسم السهيلي(ت571هـ/1185م)[5]، وأحمد

---

[1]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص ص 152– 153.

[2]– هو أبو العباس أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي. عرف بابن أبي عرفة. ولد سنة 557هـ. ينحدر من أصل يمني. من مؤلفاته: الدر المنظم في مولد النبي المعظم، ودعامة اليقين في زعامة المتقين، وومنهاج الرسوخ على علم الناسخ والمنسوخ. ينظر: التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشوررات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص ص 77–78. المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني)، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق وتعليق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، الرباط، 1978، ج2، ص ص 374–376. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[3]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 341.

[4]– نفسه، ص 340.

[5]– هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب بن أصبغ بن حبيب بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي. ولد سنة 508هـ في مالقة. من مؤلفاته: حلية النبيل في معارضة ما في السبيل، نتائج الفكر في علل النحو، التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء الأعلام. ينظر: العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، الكتبة الملكية، الرباط، ط2، 2002، ج8، ص ص 60–81. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 144. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 556. الذهبي، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق، ج3، ص ص 1348–1351.

بن عتيق بن الحسن(ت601هـ/ 1204م)[1]، وأبو بكر بن خلف الأنصاري (ت599هـ/ 1202م)[2]، الثراء بعد اتصالهم بالخلفاء. وأشار ابن صاحب الصلاة إلى الهبات التي نالها هو وغيره إثر لقائهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 566هـ/ 1170م[3].

تواصل الإهتمام بالعلماء زمن حكم بني عبد الواد للمغرب الأوسط، وربما بدرجة أشد مما كان عليه الحال في عهد سابقيهم، بسبب التنافس الشديد بين ورثة الموحدين. ومن أول المشجعين للعلماء مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان(633-681هـ)، الذي كان يبحث عن العلماء ويحفزهم على الإقامة في مملكته، ومعاملتهم بما يليق بمقامهم. فقد كان يكاتب التنسي(ت899هـ/1494م)[4] ويرغبه في الإقامة بتلمسان والتدريس بجامعها الأعظم. ولما أتيحت له فرصة لقائه خاطبه قائلا: "ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر العلم، وعلينا جميع ما تحتاج"[5]. وبعد مجيئه إلى تلمسان، أقطعه يغمراسن إقطاعات بأحوازها، وأكرم وفادته، وعظم شأنه، ودأب على حضور مجالسه؛ ليظل الأمر كذلك في عهد ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن(681-703هـ)[6]. كما وفق يغمراسن في استقطاب أبي بكر محمد

---

[1]- هو أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج أبو جعفر المعروف بالذهبي. أصله من ألمرية بالأندلس. توفي بتلمسان وهو في طريقه إلى إفريقية. من مؤلفاته: الإعلام بفوائد مسلم، وحسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 167.

[2]- هو أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق. فقيه قرطبي سكن فاس وولي القضاء فيها. حظي بخدمة السلطان بمراكش فنال دنيا عريضة، وجمع أموالا كثيرة. له تنبيهات ومقالات في المكاييل والأوزان. ينظر: أحمد بن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج1، ص 106.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 427.

[4]- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني. ولد سنة 820هـ/1417م بتنس. اشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف. استقدمه يغمراسن بن زيان إلى تلمسان. من مؤلفاته: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص9 وما بعدها.

[5]- نفسه، ص 126.

[6]- نفسه، ص 127.

بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي(ت686هـ/1287م)[1]. وبفضل إيثار أمراء بني زيان للعلماء، أضحت حواضر المغرب الأوسط بصفة عامة، وعاصمة ملكهم بصفة خاصة، قبلة للعلماء؛ إذ حل بها الأخوان ابنا الإمام في عهد أبي حمو موسى الأول، الذي بنى لهما مدرسة حملت اسميهما[2]. وكانت للأمير أبي حمو موسى الثاني(760-791هـ) عدة محاولات لاستقدام عبد الرحمن بن خلدون، حيث بعث له خطابا هذا نصه:"الحمد لله على ما أنعم، والشكر على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم، لما اختصصتم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة الرفيعة، وهو حكم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا. أعلمناكم بذلك"[3]. لكن أبا زيد امتنع عن ذلك، وبعث بأخيه أبو زكريا يحي لخدمة البلاط الزياني. كما استطاع أبو حمو الثاني أن يكسب أبا عبد الله الشريف التلمساني(710-771هـ/1310-1370م)[4]، الذي كان من أنجب طلبة طلبة الآبلي، فزوجه ابنته، وبنى له المدرسة اليعقوبية، التي تولى التدريس فيها إلى غاية وفاته[5]. ولو لم يكن الإهتمام بأهل العلم، لما أصبحت حواضر المغرب الأوسط محجا للعلماء، يأتونها من كل فج، حيث أحصت المصادر التاريخية أسماء الآلاف من هؤلاء الذين استهوتهم مساجد ومدارس المنطقة، ومن هؤلاء نذكر: محمد بن إبراهيم الآبلي(681-

---

[1]- ابن مريم، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص 397. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.

[2]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980، ص 23.

[3]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 226.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 239-244. التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ج1، ص ص 241-245.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 315.

757هـ/1282-1356م)[1]، وعمران بن موسى المشدالي(670-745هـ/1271-1344م)[2]، وإبراهيم بن محمد المصمودي(ت804هـ/1401م)[3]، وعبد الرحمن بن خلدون(732-808هـ/1332-1406م)[4]، وأخوه يحي بن خلدون(734-786هـ/ 1334-1385م)[5].57

**المطلب الثاني: إقامة مراكز التعليم.**

يعود ظهور مراكز ومؤسسات التعليم بالمغرب الأوسط إلى بداية الفتح الإسلامي لهذه الربوع. ولعل أول ما كان يقوم به الفاتحون هو إنشاء المسجد اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. فبالإضافة إلى كون هذه المؤسسة كانت مكانا للعبادة، فقد كانت تقوم بوظيفة التدريس، حيث يقصدها العلماء والراغبون في طلب العلم. فقبيل القرن الرابع كانت المنطقة موضوع الدراسة تحت حكم الرستميين، الذين أقاموا كثيرا من المساجد؛ إذ يشير صاحب أخبار الأئمة الرستميين إلى ذلك بقوله:"لما ولي عبد الرحمن بن رستم...جلس في مسجده للأرملة والضعيف ...وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين"[6].

بعد الرستميين آل أمر المغرب الأوسط للعبيديين، الذين أدركوا أن انتشار دعوتهم لن يكون سهلا، كون بلاد المغرب لم تكن بكرا؛ إذ كانت تضم مذاهب مختلفة منها: السنية كمذهب

---

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص ص 66-71.

[2]- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص 302. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 130-131.

[3]- الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي)، وفيات الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، دت، ص 74. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 297-298.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 212-223.

[5]- نفسه، ص ص 201-207.

[6]- ابن الصغير، تاريخ الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص 32-36.

أبي حنيفة ومذهب مالك، والخوارج كالصفرية بسجلماسة والإباضية بالمغرب الأوسط. وحتى يكون لهؤلاء دعاة وأنصار، قاموا بإنشاء مدارس الدعوة في القصور والمساجد لتكوين الدعاة، قصد نشر المذهب الإسماعيلي[1].

نجحت استراتيجية مدارس الدعوة في تخريج عدد هائل من الدعاة، ونشرهم مشرقا ومغربا، لتكريس فكرة علوية المهدي، وبالتالي تأكيد النسب الفاطمي الذي كان محل شبهة. وظلت هذه المدارس تؤدي وظيفتها في سرية، ولم تغير استراتيجيتها إلا بتأسيس الدولة، حيث انتقلت عندئذ إلى الظهور، واستمرت في مهمتها حتى بعد الإنتقال إلى مصر. ومن الدعاة الذين تخرجوا من هذه المدارس، وتميزوا بإخلاصهم للدعوة الشيعية، القاضي النعمان، صاحب كتاب افتتاح الدعوة[2].

لم يتوان الحماديون من بعدهم في إقامة المؤسسات التعليمية في الحواضر الكبرى بالمغرب الأوسط. فقد أنشأوا العديد من المساجد التي لعبت دورا بارزا في تنشيط الحركة الفكرية، حيث أن حماد لما اختط القلعة استكثر فيها من المساجد كالجامع الكبير ومسجد المنار؛ ولم يكن ثمة مسجد خاليا من المدرسين. كما انتشرت بالقلعة الزوايا والكتاتيب لتعليم الصبيان؛ علما أن هذه المؤسسات كانت تكمل بعضها بعضا. وقد وصل الاهتمام بالمنشآت التعليمية إلى حد إنشاء المعاهد، كمعهد سيدي التواتي الذي أنشأه الناصر في بجاية[3].

كان الطابع الديني يسود الحياة العامة في البلاد أيام حكم المرابطين، الذين قامت دولتهم على أساس دعوة دينية تزعمها عبد الله بن ياسين. لهذا اهتم أمراؤهم بإنشاء المساجد وتعميرها، باعتبارها مركز إشعاع فكري لدعوتهم. ومن المنشآت الدينية التي خلدت ذكرهم

---

[1]– بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 273–276.

[2]–نفسه، ص 275.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 253–254.

بالمغرب الأوسط، الجامع الأعظم بتلمسان، الذي بني سنة 530هـ في عهد علي بن يوسف، وظل يؤدي وظيفتيه التعبدية والتعليمية، حيث جلس للتدريس فيه علماء أجلاء استقطبهم المرابطون من أصقاع مختلفة[1].

لم تختلف الدولة الموحدية عن نظيرتها المرابطية التي قامت على أنقاضها. فقد كان طابعها دينيا محضا، تجلى في بناء المساجد في حواضرها المختلفة. واختصوا الحواضر الكبرى كبجاية وتلمسان وقسنطينة والجزائر بإقامة الجوامع أو ترميم ما كان موجودا منها، على غرار مافعل عبد المؤمن بن علي بمسقط رأسه بتاجرا[2] وندرومة[3]. وكانت هذه المساجد بالإضافة إلى وظيفتها التعبدية، تحتضن المجالس العلمية المختلفة، خصوصا تلك التي داوم عليها العلماء والطلبة، وهي مجالس الخطبة في صلاة الجمعة، والدرس الذي يسبقها[4]. بجوار المساجد، وجدت مراكز ثقافية اختصت في تعليم الصبيان القرآن الكريم؛ إنها الكتاتيب التي انتشرت في الحواضر الكبرى كبجاية وتلمسان. كما كان لها وجود بالبوادي، باعتبارها المنطلق للحياة التعليمية، حيث لم يخل منها درب من الدروب، أو حي من الأحياء[5]. ولعبت الرباطات أيضا دورها في هذه الفترة، إذ ساهم رباط العباد بتلمسان في تثقيف الجماهير،

---

[1]– علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين...، المرجع السابق، ص 208.

[2]– تاجرا : هي بلدة صغيرة بالمغرب الأوسط في ناحية هنين بسواحل تلمسان، ولد بها عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 5.

[3]– ندرومة : هي مدينة قديمة بناها الرومان بنفس التصميم الذي بنيت به روما، أي أنها مثيلة لروما(ند روما). تقع في سهل بين الجبل والبحر. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 13. يذكر بعض أهل المنطقة أن التسمية جاءت من قبيلة كومية التي كانت تقطن بها قديما، كون ماء البحر يمكن رؤيته من أعاليها (نظروا ماء).

[4]– علي عشي، المرجع السابق، ص 151.

[5]– نفسه، ص 106.

ونشر تعاليم الإسلام، وقواعد اللغة العربية[1]. ولم يكن دور الزوايا أقل أهمية من أصناف المؤسسات التعليمية التي عرفها المغرب الأوسط أيام الموحدين، لأنها زيادة على أنها مكان لتلقي العلم، وفرت المأوى والطعام لطلبة وعابري السبيل. وعرفت هذه المؤسسة بدورها انتشارا كبيرا، نذكر منها زاوية أبي حجلة بتلمسان[2]، وزاوية أبي زكريا ببجاية[3].

لم يتوقف إنشاء مراكز التعليم بسقوط الموحدين، بل استمر بنو عبد الواد الذين آل إليهم حكم المغرب الأوسط في بناء المؤسسات التعليمية باختلاف أنواعها. فمن بين حسنات يغمراسن بن زيان، ترميم مسجد أغادير والجامع الأعظم، حيث أضاف للأول المئذنة، وللثاني المئذنة والقبة والصحن والجزء الشمالي من بيت الصلاة[4]؛ وظلت هاتين المنارتين تستقطب العلماء والطلبة. أما الكتاتيب، فوجدت بكثافة، خاصة بتلمسان، مثل كتاب مرسى الطلبة، الذي كان يتردد عليه مؤسس دولة بني زيان، رغبة منه في لقاء أبي عبد الله بن أبي مرزوق الذي كان يدرس فيه[5]. كما انتشرت الزوايا بالمغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن السابع

---

[1]– عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ط3، 1963، ج1، ص 129.

[2]– محمد الأمين بلغيث، الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987، ص 282.

[3]– الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1979، ص ص 137-138.

[4]– عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1975، ص 138. خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص 229. Marçais (G) , L’architecture musulmane d’occident , Pari 1955 , p 197

[5]– خالد بلعربي، يغمراسن...، المرجع السابق، ص ص 228-229.

الهجري، نتيجة انتشار التصوف، ومن أمثلتها: زاوية أبي عبد الله، وزاوية عبد الله بن أبي مرزوق[1].

يبدو أن إنشاء مراكز التعليم، كان من اهتمامات كل الذين تعاقبوا على إدارة شؤون المغرب الأوسط، بين القرنين الرابع والسابع هجريين. لكن الدوافع اختلفت؛ فمنهم من سعى من خلال ذلك لنشر مذهبه، ومنهم من أراد إحراز تفوق فكري على معاصريه، في حين كان بعضهم من أهل العلم. ونتيجة لكل ذلك تنوعت المؤسسات التعليمية خلال فترة الدراسة، باستثناء المدارس التي لم تظهر بالمنطقة إلا مع مطلع القرن الثامن الهجري.

**المطلب الثالث: إنشاء المكتبات.**

يعد إنشاء المكتبات أحد العوامل التي ساهمت في تطوير الحياة التعليمية بالمغرب الأوسط عبر العصور. ذلك أن كثيرا من الحكام كانوا يسعون إلى جمع الكتب من كل الأصقاع، وجعلها في متناول العلماء والطلبة، إدراكا منهم أن خزائن الكتب، هي إحدى الدعامات المساعدة على نشر الثقافة. فهذا عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني أئمة الرستميين، قد بعث بألف دينار إلى البصرة لشراء الكتب، لكن إخوانه هناك، اجتهدوا، واشتروا ورقا، ونسخوا كما هائلا من الكتب والمجلدات[2]. تقول بعض المصادر في هذا

[1]– خالد بلعربي، يغمراسن...، المرجع السابق، ص 227.

[2] – إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية " دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، ط2، 1993، ص 288.

الشأن: "فنسخوا له أربعين حملا من كتب فبعثوا بها إليه"[1]. بذلك تكونت النواة الأولى لمكتبة تيهرت، التي عرفت بعد ذلك بمكتبة المعصومة، وحيدة زمانها في المغرب الأوسط[2].

حرص العبيديون بدورهم على جمع الكتب، فاستولوا على ما كانت تحتويه دار الحكمة الأغلبية، وخزانة المعصومة التاهرتية؛ كما شجعوا حركة البحث والتأليف ونسخ الكتب. ولعل ما دفعهم إلى الاهتمام باقتناء الكتب النادرة، وملء الخزائن بها، هو منافسة العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس، حيث كان إنشاء هذه المكتبات يتم في المساجد باعتبارها مكانا للمناظرة، قبل أن تنتشر في قصور الخلفاء وبيوت العلماء[3]. فالعناية بالكتب كانت من السمات البارزة عند أتباع عبيد الله المهدي، خاصة كتب الدعوة، التي كانت تنسخ وتحفظ في خزائن القصر، ولا يقربها إلا الأئمة والدعاة؛ علما أن اهتمام العبيديين شمل نوادر الكتب في مختلف العلوم والمعارف والفنون[4].

يبدو أن اهتمام العبيديين بإنشاء المكتبات، كان يهدف بالدرجة الأولى إلى توفير المصادر الضرورية للاستدلال على أفكارهم ومذهبهم أثناء المناظرات التي كانت تجمع دعاتهم بمخالفيهم.

تنافس العلماء أيضا في المغرب الإسلامي في ظل الحكم العبيدي، على التأليف والنسخ وجمع الكتب، فكونوا مكتبات خاصة، ملؤوها بأمهات الكتب، منها: مكتبة ابن الحجام أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي، التي قدرت كتبها من مؤلفاته ومما اقتناه

---

[1] – أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 65. الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد)، المصدر السابق، ج1، ص ص 56–57.

[2] – إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 289.

[3] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 408–409.

[4] – نفسه، ص 409.

بسبعة قناطير، حسب الذهبي نقلا عن الحسن القابسي؛ أخذ معظمها السلطان العبيدي، وحرم الناس من الإستفادة منها[1].

لم يكن ابن الحجام وحيدا في مجال إنشاء المكتبات الخاصة، فلا شك أن نظراءه من معاصريه في المغرب الأوسط، قد أخذوا بدورهم على عاتقهم التأليف في شتى العلوم لمواجهة التشيع من جهة، والاستدلال عند مناظرة أقرانهم من أصحاب المذاهب الأخرى.

يذكر عبد الحليم عويس، أن العهد الحمادي بالمغرب الأوسط، تميز بوجود المكتبات العامة، كمكتبة جامع المنار، التي كانت مليئة بالكتب المجلوبة من مختلف أقطار المغرب، والمنقولة عن تدريس أئمة وفقهاء الجامع[2]. وربما يكون العبيديون قد خلفوا بعضها بعد رحيلهم إلى المشرق. ويؤكد الغبريني وجود هذه المؤسسة الثقافية، في ترجمته لعمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني، إذ يقول أنه رأى كتاب الثعالبي "يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر"، في ثمانية عشر جزءا، بخط يد عائشة بنت مترجمه، من جملة الخزانة السلطانية ببجاية، وأنه رأى هذا الكتاب في سفر واحد بحاضرة قسنطينة، عند إمام جامع قصبتها[3].

أما النوع الثاني من المكتبات، فيتمثل في المكتبات الخاصة التي كانت موجودة في بيوت العلماء والفقهاء، والتي أشار إليها صاحب كتاب المستفاد في مناقب العباد، في عرض ترجمته لابن الرمامة(أبو عبد الله محمد بن علي)، حيث يقول أن مترجمه دخل يوما على الفقيه ابن النحوي في منزله، فوجد في البيت كتبه، وجوانب البيت من جهاتها كلها ممدودة ألواح مرتفعة بعضها فوق بعض وعليها كتب، وبين يديه كرسي عليه أسفار جديدة، فقال له: ما هذه الأسفار التي بين يديك؟ فقال: هذا كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، ولو اقتنيته قبل

---

[1] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج15، ص ص 505–506.

[2] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 254.

[3] – الغبريني، المصدر السابق، ص 79.

هذه الكتب لم أكسب كتابا منها[1]. هذا النص دليل على امتلاك العلماء لخزائن كتب خاصة في بيوتهم، حيث لا يستطيع هؤلاء الإستغناء عنها، لحاجتهم إليها عند التأليف أو الإعتماد على بعضها في التدريس، أو الإستعداد للمناظرة.

في العهد المرابطي، تكاد المصادر التي أمكنني الإطلاع عليها، لا تشير إلى المكتبات بالحواضر التي كانت خاضعة للملثمين بالمغرب الأوسط كتلمسان مثلا. ولعل الإشارة الوحيدة التي دلت على وجودها، هي إقدام المرابطين على إصدار أوامرهم بإحراق كتب أبي حامد الغزالي، خاصة كتاب "إحياء علوم الدين"، بمختلف حواضر البلاد. يقول السلاوي في الموضوع: "فلما أفتوه- يقصد علي بن يوسف- بإحراق كتاب الإحياء، كتب إلى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار، بأن يبحث عن نسخ الإحياء بحثا أكيدا، ويحرق ما عثر عليه منها"[2].

على غرار دولة المرابطين، قامت الدولة الموحدية على العلم، فعملت على نشره وتعميمه، خاصة في عهد مؤسسها عبد المؤمن بن علي، ثم ابنه يوسف، وحفيده يعقوب. ومن مظاهر الإهتمام بالحياة الفكرية بالمغرب الأوسط، إنشاء المؤسسات الثقافية، كالمكتبات التي انتشرت في عهدهم بمختلف الحواضر.

لقد عمل الموحدون اقتداء بأسلافهم الذين حكموا المغرب الأوسط من قبلهم، على تزويد المكتبات بأنفس الكتب التي تؤلف في مختلف أنواع العلوم والفنون. يقول عبد الواحد المراكشي في هذا الشأن، متحدثا عن كتاب "قرضة الذهب في ذكر لئام العرب" لمالك بن وهيب: "فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، رأيته في خزانة بني عبد المؤمن"[3]. كما كشف

---

[1] – التميمي(أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم)، المصدر السابق، ص ص 172-173.

[2] – السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)،المرجع السابق، ص ص 74-76.

[3] – المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المصدر السابق، ص 140.

صاحب المعجب عن ولوع يوسف بن عبد المؤمن بجمع الكتب وتقريب العلماء بقوله:"ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب"[1]. ويقول أبو الوليد بن رشد[2]، أن ما دفعه إلى تلخيص كتب أرسطو طاليس، هو قول يوسف بن عبد المؤمن: "لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا، لقرب مأخذها على الناس"[3]. فهذا النص يبرز حرص هذا الخليفة على جمع الكتب بشتى الوسائل، وجعلها في متناول الناس.

سار الخليفة يعقوب المنصور على نهج أبيه يوسف وجده عبد المؤمن، فشجع على التأليف ونسخ الكتب الجديدة، ووضعها في خزانته[4]. ولم يقتصر هذا الأمر على الخلفاء، بل تعداه إلى ولاة الأمصار، الذين أنشأوا مكتبات في قصورهم، وجعلوا كتبها في متناول الطلبة والعلماء، فساهموا بذلك في تنشيط الحركة العلمية. ومن هؤلاء نذكر، والي إشبيلية، أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن الكومي، الذي وظف مجموعة من النساخ، لنسخ الكتب التي يرغب أن يضيفها إلى خزانته[5].

---

[1] – المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المصدر السابق، ص 176.

[2] – أبو الوليد بن رشد هو أحد تلامذة أبي بكر بن طفيل، ولي قضاء قرطبة، توفي سنة 598هـ. من مؤلفاته : كتاب البداية والنهاية، كتاب مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة، كتاب فصل المقال فيما بين الفلسفة والشريعة من الإتصال. ينظر: النباهي(أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي)، تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983، ص 111.

[3] – المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المصدر السابق، ص 179.

[4] – علي عشي، المرجع السابق، ص 126.

[5] – نفسه، ص 126.

وصل الإهتمام بالكتب إلى حد أخذها من أصحابها مقابل تعويض مادي، وذلك بهدف حفظها من الضياع. ولما أدرك العلماء مدى حرص الخلفاء الموحدين على جمع الكتب وإيداعها في خزائنهم، تنافسوا وتسابقوا لإهداء جديد مؤلفاتهم إليهم. كما ازدهرت في هذا العصر المكتبات الخاصة، منها خزانة عبد الرحمن بن يوسف بن الملجوم الزهراني، التي كانت تحتوي دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، تصدق بها على ابنته، التي باعتها بأربعة آلاف دينار[1]؛ وخزانة العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرني الكومي التلمساني، الذي قال عنه صاحب الذيل والتكملة: "كان جماعة للكتب الجليلة، مغاليا في أثمانها، احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة، وكتب بخطه الكثير"[2]. وأشار ابن فرحون إلى مكتبة أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي البجائي، التي ضمت العديد من مؤلفاته قبل أن تتعرض للنهب[3]. كما تحدث صاحب عنوان الدراية، ومؤلف تذكرة الحفاظ، عن المكتبة الثرية التي خلفها أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن دحية الكلبي، نزيل تلمسان، والتي تعرضت بدورها للسطو في عرض البحر، ونهبت كتبها، التي كان أغلبها من إنتاج صاحبها[4].

---

[1] – ابن القاضي(أحمد بن القاضي المكناسي)، المصدر السابق، ج2، ص 396.

[2] – ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983، ص 310. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تقديم وتحقيق محمد بن شريفه، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ص 318.

[3] – ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ج2، ص ص 59–61.

[4] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص 228–238. الذهبي(أبو عبد الله شمس الدين محمد)، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق، ج4، ص ص 1420–1423.

لم يقتصر اهتمام الموحدين على إنشاء المكتبات فقط، بل عملوا على تنظيمها، بوضع ما أسموه "خطة الخزانة العالية"، وهي من الخطط المهمة التي لا يتولاها إلا أكابر العلماء، من ذوي الخبرة والدراية بالكتب والمكتبات. تذكر المصادر أن أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن استدعى لهذه المهمة، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صقر الأنصاري الخزرجي[1]، الذي كان قاضيا بغرناطة، وكلفه بالإشراف على خطة الخزانة العالية، لما كان له من خبرة في ترتيب الكتب وتنظيمها، إذ كانت له مكتبة خاصة مليئة بأنفس الكتب، التي قام بنفسه باستنساخ بعضها[2].

لم يتوان سلاطين بني عبد الواد في تشجيع الحركة العلمية بالمغرب الأوسط، فقربوا العلماء، وشيدوا مراكز التعليم وجهزوها بمختلف مستلزمات الدراسة كخزائن الكتب، التي يعود إليها العلماء والطلبة. فالمصادر التاريخية التي كتبت عن تاريخ بني زيان، تشير إلى أن مؤسس الدولة "يغمراسن بن زيان" كان مولعا بجمع الكتب، فاشترى المصحف العثماني واحتفظ به في خزانته[3]. واقتدى به من تولوا أمر الدولة من بعده، حيث أنشأ السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني خزانة لحفظ الكتب بالجامع الأعظم بتلمسان[4]، علما أن هذا السلطان كان نساخا، فدعم خزانته بما كتبته أنامله من مصاحف، ما تزال إحدى نسخها

---

[1] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 223 وما بعدها.

[2] – نفسه، ص 228.

[3] – كان المصحف العثماني بحوزة الخليفة الموحدي أبي الحسن علي السعيد بن المأمون(640-646هـ/1242-1248م)، الذي قتل أثناء حصاره لتلمسان، وانتهبت خزانته، فوقع المصحف بيد سمسار، ليشتريه منه يغمراسن بعد أن علم بخبره. ينظر: التنسي(محمد بن عبد الله)، المصدر السابق، ص ص 123-125. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 460-461.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص 211.

بتونس، وأخرى بالمكتبة الوطنية بالرباط[1]. يبدو أن أخذ النسختين من تلمسان كان أثناء الغزو التي تعرضت له هذه الحاضرة لأكثر من مرة من قبل المرينيين والحفصيين.

يعد إنشاء المكتبات مظهرا من مظاهر اهتمام بني زيان بالعلم وأهله. فقد انتشرت هذه المؤسسات الثقافية على نطاق واسع بمملكة بني عبد الواد، بتشجيع من السلاطين والعلماء وأهل الخير بما وفروه لها من أحباس. ولم يقتصر وجودها على المساجد، بل وجدت في قصور السلاطين التي كانت مقصدا للعلماء، تقام فيها المجالس العلمية والمناظرات الفكرية. كما وجدت في مختلف المؤسسات التعليمية الأخرى من مدارس وزوايا. وكانت هذه الخزائن تحتوي على كتب في مختلف العلوم النقلية والعقلية. هذا فضلا عن المكتبات الخاصة التي كان العلماء بالخصوص أشد حرصا على إقامتها في بيوتهم[2]. ولا أدل على أهمية هذه الخزائن الأسرية، من اعتراف أبي عبد الله المقري، بإسهام خزانة الكتب التي ورثها، في تكوينه العلمي، حيث قال:"...فها أنذا لم أدرك من ذلك –يقصد الإرث– إلا أثر نعمة...ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطلب، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة"[3].

تفيد بعض المصادر التاريخية أن إنشاء المكتبات في أوساط الأسر الزيانية، خاصة الأسر العلمية منها، كانت له أهميته حتى بعد وفاة أصحابها؛ إذ كانت تتحول إلى تركة يتنافس الورثة على قسمتها نظرا لولوعهم بالعلم من جهة، ولما تتضمنه من كتب قيمة في علوم

---

[1] – عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص 132.

[2] – نفسه، ص ص 133–136.

[3] – المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1980، ج5، ص 29.

وفنون مختلفة من جهة ثانية. وقد أدت صعوبة قسمة محتوياتها إلى طلب فتاوى العلماء في ذلك، كتلك الفتوى الصادرة عن قاسم العقباني، والتي أوردها الونشريسي في معياره **(الملحق رقم 02)**[1].

على غرار المكتبات الموحدية، كانت مكتبات بني زيان تسير من طرف أشخاص، يتولون ترتيبها وتصنيفها، والسهر على حمايتها، بوضع نظام محكم لإعارتها لمن يرغب في أخذها إلى بيته؛ علما أن نظام الإعارة الخارجية كان يخضع لشروط المحبسين، حيث كان بعضهم يشترط عدم إخراجها من المكتبة[2].

لقد كان لانتشار المكتبات بالمغرب الأوسط عبر العصور دور في ازدهار الحركة العلمية، خاصة في حواضره الكبرى، حيث كانت هذه المؤسسات منبعا فكريا، ينهل منه الطلبة، ويرجع إليه العلماء للاستزادة والارتقاء.

**المطلب الرابع: الرحلة في طلب العلم.**

كانت الرحلة العلمية معروفة عند المسلمين منذ فجر التاريخ، وذلك لما لها من فضل في توسيع المعارف. ولأهمية العلم، كان ينبغي أن تشد إليه الرحال، فالعلم يؤتى ولا يأتي[3]؛ فبقدر المشقة يكون التحصيل. يقول عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد:" لأن البشر

---

[1] – الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981، ج8، ص 130.

[2] – نفسه، ج7، ص ص 227–228.

[3] – العلم يؤتى ولا يأتي: كانت هذه العبارة التي رد بها الإمام مالك رضي الله عنه على الخليفة العباسي هارون الرشيد، لما طلب منه المجيء إلى بيته لتدريس ابنيه الأمين والمأمون. ينظر: زادة طاش كبرى(أحمد بن مصطفى)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج2، ص 197.

يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاتا وتلقينا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[1]. ويضيف قائلا:"... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2]. ويعزز الآبلي هذا الطرح بموقفه المعارض لبناء المدارس وكثرة التآليف، حيث يرى في ذلك بديلا للرحلة، التي لا غنى عنها، فيقول عنه أحمد بن محمد المقري التلمساني نقلا عن جده أنه قال: "إنما أفسد العلم كثرة التواليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس...وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير، وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن..."[3].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المسلمين أدركوا أهمية الرحلة في طلب العلم، وحرصوا عليها عبر العصور. فإذا كانت المحن ومظاهر الاضطهاد قد أرغمت الكثيرين من أهل المغرب الأوسط، خاصة طبقة العلماء على الهجرة هروبا من مضايقات العبيديين لهم، فإن المغاربة عموما قد تعلقوا بالرحلة إلى منابع العلوم المختلفة بالمشرق، وقصدوا كل عالم ذاع صيته، فنهلوا من فيض علمه، ودونوا ما أملاه عليهم، ثم عادوا إلى مواطنهم، فأفادوا غيرهم بما يحملون من جديد في مختلف أصناف العلوم. فبالإضافة إلى رغبة المغاربة في الاطلاع والتحصيل، ساهمت عوامل أخرى في انتقال الثقافة من المشرق إلى المغرب خلال القرن الرابع الهجري، من ذلك حرية التنقل بين أرجاء البلاد الإسلامية. كما كان لقاء المسلمين بالبقاع المقدسة خاصة في موسم الحج فرصة للتبادل الفكري، علما أن رحلة الحجيج كانت

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق وتعليق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، 2005، ص 692.

[2] – نفسه، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد جار، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007، ص 542.

[3] – المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، ج5، ص 275.

تطول في غالب الأحيان، لما يتخللها من توقف بالحواضر الكبرى أثناء الذهاب والإياب، لغرض الاحتكاك بأهل العلم فيها، كما تشير إلى ذلك كتب التراجم[1]. ولم يكن التأثير الثقافي مقتصرا على العلوم الشرعية، بل شمل كل مناحي الحياة من فلاحة وصناعة وغيرها. فما من جديد وصل إلى إفريقية، إلا وانتشر في باقي حواضر المغرب الإسلامي الأخرى. وهذا لا يعني أن التأثير كان في اتجاه واحد، حيث تشير المصادر إلى توافد علماء وطلبة المشرق على بلاد المغرب، التي كانت بدورها تتوفر على مراكز للإشعاع الفكري كالقيروان وتيهرت التي أطلق عليها اسم "بلخ المغرب"[2]. يقول عنها المقدسي، واصفا ما وصلت إليه من ازدهار ثقافي شامل: "...هي بلخ المغرب...انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق، وأخطأوا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا...محكمة الرصف عجيبة الوصف..."[3].

يمكن القول أن السمة الثقافية البارزة في القرن الرابع الهجري بالمغرب الأوسط، هي تعريب لسان أهله، لموقعه الجغرافي المحاط بالثقافة العربية من مختلف الجهات، ناهيك عن التواصل المستمر بين أهل المشرق والمغرب، طلبا للعلم، أو في إطار المبادلات التجارية؛ وكل ذلك في ظل حركة الانتقال المتاحة بين الحواضر الإسلامية[4].

لما تربع الحماديون على عرش المغرب الأوسط خلفا للعبيديين الذين رحلوا إلى المشرق، أولوا بدورهم اهتماما للحياة العلمية، فحرصوا على أخذ العلم من منابعه، عن طريق الرحلة التي كانت ظاهرة عامة في العالم الإسلامي آنذاك؛ إذ تؤكد المصادر التاريخية التي تناولت

---

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 221–228.

[2] – نفسه، ص 211.

[3] – المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المصدر السابق، ص ص 22–24.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 250.

تراجم لعلماء هذه الفترة، على أن حدود الأقاليم لم تكن حاجزا يمنع تنقل أهل العلم، الذين كان تنقلهم واحتكاكهم عاملا أساسيا في توسيع المعارف وإثراء الأفكار، وخلق وحدة فكرية إسلامية[1]. ومن نماذج هؤلاء، أبو الفضل يوسف بن النحوي التوزري (ت513هـ)[2]، الذي بدأت رحلته من قلعة بني حماد، فرحل إلى القيروان، وأخذ هناك عن أبي الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي (ت 478هـ)[3]، وأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت 536هـ)[4]، وأبي زكرياء الشقراطيسي (ت 466هـ)[5]؛ ثم توجه إلى المغرب الأوسط، حيث استقر به المقام بالقلعة مؤلفا ومعلما. ومن الذين تتلمذوا عليه، أبو عبد الله محمد بن علي المكنى بابن الرمامة (ت 567هـ)[6]، وموسى بن حماد الصنهاجي الصنهاجي (ت 535هـ)[7].

ظل أهل المغرب الأوسط يتطلعون إلى طلب العلم بعد أن خضعت المنطقة لسلطان المرابطين، كون مناصب الدولة ووظائفها السامية في هذا العهد أصبحت قاصرة على الطبقة

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 252.

[2] – توجد ترجمته في المصادر التالية : ابن الزيات(أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2، 1997، ص 95. التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص ص 622–623. ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 552–553.

[3] – أبو الحسن اللخمي القيرواني، فتاوى أبي الحسن اللخمي القيرواني، تحقيق حميد بن محمد لحمر، دار المعرفة، الدار البيضاء، دت، ص ص 20–27.

[4] – الذهبي، سير...، المصدر السابق، ج20 ، ص ص 104–105.

[5] – محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 117.

[6] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 152 – 153.

[7] - ابن بشكوال(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي)، صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج3، ص ص 32 – 33

المتعلمة؛ الأمر الذي دفع هؤلاء إلى الارتحال إلى الأندلس أو المشرق طلبا للعلم من منابعه[1].

أورد عادل نويهض تراجم للعديد من الذين استهوتهم الرحلة العلمية من أبناء المنطقة في هذا العصر مثل: أبي الحسن علي الترشكي البوني[2]، والشاعر حماد بن علي الملقب بالبين[3]، والأديب الحسن بن علي بن طريف التاهرتي[4]، والأديب عبد الله بن منصور السلفي التاهرتي[5]، وعلي بن أبي القاسم عبد الرحمن التلمساني المعروف بابن أبي جنون[6].

هذه نماذج من أبناء المغرب الأوسط الذين رحلوا لطلب العلم على عهد المرابطين، ثم عادوا إما إلى مسقط رأسهم أو إلى مراكش عاصمة الدولة، أين تولوا مناصب هامة كالقضاء.

لم يختلف عهد الموحدين بالمغرب الأوسط عن سابقيه في مجال الرحلات العلمية. فقد استمرت التنقلات مشرقا ومغربا، حيث شد طلاب المنطقة الرحال خلال القرنين السادس والسابع هجريين صوب الحواضر الإسلامية الكبرى، إما حبا في طلب العلم، وإما بدعم وتشجيع من السلطة السياسية الحاكمة، التي عمدت إلى إنشاء مدرسة بمراكش في عهد عبد المؤمن بن علي لتكوين إطارات الدولة، وفق مذهبهم الظاهري(**الملحق رقم 05**)[7]. ولم تكن

---

[1] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 446.

[2] – كان حيا سنة 536هـ. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 51.

[3] – كان حيا سنة 561هـ. ينظر نفسه، ص 52.

[4] – تعلم بتيهرت ثم بالأندلس. توفي سنة 501هـ. ينظر: نفسه، ص 59.

[5] – ينسب إلى عمالة الولجة بتيهرت. رحل إلى المشرق لسماع الحديث. توفي سنة 553هـ. ينظر: نفسه، ص 60.

[6] – نشأ وتعلم بتلمسان. ارتحل إلى الأندلس فأخذ عن أبي علي الصدفي وغيره. عاد وتولى القضاء بمراكش وتلمسان. ينظر نفسه، ص 72.

[7] – ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 227 – 228.

هذه الرحلات في اتجاه واحد وإنما في اتجاهين، فيتنقل أهل المغرب الأوسط نحو حواضر العلم المشهورة عبر أرجاء البلاد الإسلامية، كما كانت حواضر المنطقة كتلمسان وبجاية مقصدا للوافدين من العدوة الأندلسية أو المشرق. وصنفت الرحلة إلى داخلية بين مدن المغرب الأوسط، وخارجية باتجاه منارات العلم المختلفة.

إذا كان قد تعذر علينا حصر جميع من رحل من المغرب الأوسط أو وفد عليه طلبا للعلم أيام الحكم الموحدي، فإنه تيسر لنا من خلال المصادر التي أمكننا الحصول عليها الوقوف على سير العديد من هؤلاء كما هو مبين في الجداول التالية:

**أ – نماذج من رحالة العلم من المغرب الأوسط خلال الحكم الموحدي:**

| الرحالة | الوجهة | تاريخ الوفاة | مصدر الترجمة |
|---|---|---|---|
| محمد بن محرز بم محمد الوهراني | المشرق | 575هـ/1179م | ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص 385. |
| ميمون بن جبارة | المشرق | 584هـ/1188م | ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص 396. |
| أبو زكريا يحي بن علي الزواوي | المشرق | 611هـ/1214م | التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف، ص 428. |
| محمد بن إبراهيم الأصولي | المشرق | 660هـ/1261م | المراكشي، الذيل والتكملة، ج8، ص ص 271 – 272. |
| عبد الله بن محمد الفهري | المشرق | 644هـ/1246م | محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ص 421. |
| خطاب بن أحمد بن عدي | المشرق | ق6هـ/12م | محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ص 341. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي | المشرق | 633هـ/1235م | الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص ص 389 – 395. |
| محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر التلمساني | المشرق | 680هـ/1281م | ابن شاكر، فوات الوفيات، ج2، ص ص 256 – 257. |
| عبد الله بن عرجون التلمساني | الأندلس | 534هـ/1139م | ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج2، ص 453. |
| الحسن بن أبي زكون التلمساني | المغرب الأقصى والأندلس | 553هـ/1158م | ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص .25 |
| أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف | المغرب الأقصى | 569هـ/1173م | ابن خلكان، الوفيات، ج1، ص61. |
| يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني | المشرق ثم الأندلس | 570هـ/1174م | عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج5، ص .365 |
| أبو عمر بن علي بن الحسن التلمساني | المغرب الأقصى | 542هـ/1147م | يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص .108 |
| أبو عبدالله محمد بن موفق | الأندلس والمغرب الأقصى | ق6هـ/12م | ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص 25. |
| علي بن أبي قنون التلمساني | الأندلس والمغرب الأقصى | 557هـ/1162م | ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج8، ص .160 |
| محمد بن علي بن رمامة | المغرب الأقصى والأندلس | 567هـ/1171م | ابن الآبار، التكملة...، ج2، ص ص 370 – .371 |

**ب – نماذج من رحالة العلم الوافدين على المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي:**

| الرحالة | الموطن | تاريخ الوفاة | الترجمة |
|---|---|---|---|
| أبو بكر محمد بن أحمد السلمي | الأندلس | / | ابن الآبار، التكملة...، ج2، ص ص 210-211. |
| عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي(ابن الخراط). | الأندلس | 581هـ/1185م | اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،ج3، ص319. |
| أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي | الأندلس | 582هـ/1186م | المراكشي، الذيل والتكملة، ج1، ص 239. |
| أبو بكر بن سعادة الإشبيلي | الأندلس | 600هـ/1203م | ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص ص 251 – 252. |
| أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي | الأندلس | ق7هـ/13م | يحي بن خلدون، بغية الرواد...، ج1ن ص 127. |
| يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي | الأندلس | 604هـ/1207م | ابن الآبار، التكملة...، ج2، ص 737. |
| الضبي | الأندلس | 599هـ/1203م | الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص 18. |
| أبو طاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي | مراكش | 608هـ/1211م | التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف، ص 406. |

شاءت الأقدار أن تتصدع أركان الدولة الموحدية مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ويؤول أمر المغرب الأوسط إلى بني زيان، الذين تميز عهدهم بازدهار ثقافي كبير. ومن عوامل ذلك الرحلة العلمية في الإتجاهين؛ حيث حرص سلاطين بني عبد الواد على استقطاب العلماء وتشجيعهم على الإقامة بالحواضر الكبرى للبلاد، كما يسروا لطلبة العلم الراغبين في الإستزادة سبل التنقل إلى منارات العلم التي ذاع صيتها مشرقا ومغربا.

**المطلب الخامس: تشجيع حركة التأليف.**

بلغت حركة التأليف أوج ازدهارها في القرنين الثالث والرابع هجريين، خصوصا بعد أن عرف المسلمون صناعة الورق انطلاقا من بغداد، قبل أن تتوسع إلى سائر الحواضر الإسلامية في المشرق والمغرب. وقد اهتم العلماء المسلمون بالتأليف في مختلف فروع المعرفة، تماشيا مع تنوع المجالات المعرفية والمواضيع العلمية المتداولة في كل مرحلة من المراحل التي مرت بها الحضارة الإسلامية. فبم تميزت حركة التأليف بالمغرب الأوسط بين القرنين الرابع والسابع هجريين؟

لا شك أن الوصول إلى هدف معين كإشاعة مذهب ما، لا يمكن أن يتحقق باعتماد القوة، وإنما يتطلب وضع استراتيجية شاملة واضحة المعالم، تروض العقول وتوجهها وفق البوصلة المعدة. فالعبيديون الذين شمل حكمهم المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري، لم يدخروا جهدا لنشر مبادئ مذهبهم الإباضي؛ إذ يذكر القاضي النعمان أنه وجد الخليفة المنصور بالله بصدد تأليف كتاب في يوم صائف وحار والعرق يتصبب منه[1]. كما أثر عن ابنه المعز بن المنصور أنه كان يأمر قاضيه النعمان وغيره، بالنظر في القرآن والتأليف في علومه،

[1] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص132.

حيث قال: "يا نعمان، استخرج من كتاب الله ما رفضته العامة وأنكرته"[1]. ولعل حثه على التأليف مرده إلى شغفه بالعلم، لقوله: "والله ما تلذذت بشيء تلذذي بالعلم والحكمة"[2]؛ فدفعه ذلك إلى إنشاء مكتبة بالمنصورية وملئها بأمهات الكتب، وانكبابه على مطالعتها حتى تضلع في علوم شتى، واكتسب قدرة على مناظرة الفقهاء والنحاة. ولعل الهدف الخفي من وراء التشجيع على التأليف الذي كان موجها، هو إيجاد المصادر الضرورية للاستدلال على المذهب أثناء المناظرات مع أصحاب المذاهب المخالفة. وكانت هذه المؤلفات خاصة ما تعلق منها بكتب الأئمة العبيديين، تحفظ في خزائن خاصة داخل القصور، لا يقربها إلا الأئمة والدعاة[3].

لم ييأس الإباضيون بعد القضاء على الدولة الرستمية بتيهرت، فرحلوا بعيدا عن الخطر الشيعي العبيدي، حيث كان مقامهم بالمغرب الأوسط في وارجلان ووادي ريغ. وقد ظل تواصلهم مستمرا مع إباضية المشرق، تصلهم كتب فقهاء المذهب وتصانيفهم بانتظام، ويفد فقهاء المشرق إلى المغرب للتدريس والإفتاء، بالتوازي مع إرسال البعثات العلمية المغربية للأخذ عن أعلام المذهب في المشرق. ومن نتائج تواصل إباضية المغرب الأوسط مع المشرق، بروز أعلام مغاربة في علوم مختلفة، أثروا بمؤلفاتهم ومصنفاتهم الحياة الثقافية بالمنطقة[4]، أمثال: يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي قاضي وارجلان[5]، وأبو الربيع

---

[1] – القاضي النعمان، المصدر السابق، ص135.

[2] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص281.

[3] – نفسه، ص ص408 – 409.

[4] – محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985، ص293.

[5] – الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص331 – 332.

سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م) [1]صاحب كتاب التحف المخزونة والجواهر المصونة، وأبو العباس أحمد بن محمد بن بكر(ت504هـ/1110م)[2] صاحب الجامع في الفروع، وتبيين أفعال العباد، والسيرة في الدماء، والقسمة وأصول الأرضين، والألواح.

استمر التألق الفكري بالمغرب الأوسط بعد أن دان لحكم الصنهاجيين من بني زيري وبني حماد، ذلك أن الحضارة الإسلامية التي وصلت إلى أوجها بالمشرق والأندلس، أرخت بظلالها على قلعة بني حماد، التي شهدت نهضة علمية شاملة، من مظاهرها كثرة التآليف والمصنفات. فلا تكاد تجد ترجمة من تراجم أعلام القرن الخامس والسادس هجريين بالمنطقة خالية من ذكر ما خلفه صاحبها من مؤلفات، تم تحقيق بعضها، وما زال بعض منها مخطوطا، في حين ضاع بعضها الآخر. وتعود كثرة التآليف إلى واقع الحضارة الإسلامية آنذاك، وإلى احتكاك أعلام العالم الإسلامي من خلال الرحلات، إضافة إلى تشجيع الحكام على ذلك، بل كان بعضهم يكتب أمثال: المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد[3]. ومن مؤلفات هذه الفترة: الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي[4]، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي[5]، والرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن

---

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص191 – 195.

[2] – أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق وتعليق وتقديم بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط2، 1997، ص ص24 – 54.

[3] – لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ج3، ص97.

[4] – أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، دت، ص3.

[5] – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص5.

القشيري[1]، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني[2]، وأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لأبي عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي[3]، ولطائف الأنوار في الطب لأبي جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي[4].

أما تآليف العهد المرابطي فقد طغى عليها الإنتاج الأدبي خصوصا الشعر، نظرا لتشجيع الأمراء للشعراء والأدباء، فتوافدوا على قصورهم، وبالغوا في مدحهم، بل وصل مديحهم إلى الفقهاء والعلماء. كما ظهرت ألوان أخرى من الشعر كالهجاء، وشعر الطبيعة الذي يقوم على الوصف. ومن الشعراء الذين خلفوا دواوين شعريه خلال هذه الحقبة: الأعمى التطيلي، وابن خفاجة، وأبو جعفر بن سلام المعافري، وأبو الحسن علي بن عطية بن الزقاق[5].

لم يقتصر اهتمام الأمراء المرابطين على الشعراء فقط، بل نال العلماء والفقهاء حظهم من الرعاية أيضا، مما شجعهم على العطاء كل في مجال تخصصه. ومن أشهر مؤلفات هذا العهد: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لأبي الوليد محمد بن أحمد

---

[1] – أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1979، ص ص13 – 16.

[2] – الحسن بن رشيق القيرواني، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تحقيق الشاذلي بويحي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972، ص5.

[3] – أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، دت، ص ص3 – 7.

[4] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص628 – 630.

[5] – علي محمد الصلابي، فقه التمكين...، المرجع السابق، ص ص186 – 189.

بن رشد الجد (ت520هـ)، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي(ت543هـ)، ومصنفات القاضي عياض الكثيرة (ت544هـ)[1].

جاء الموحدون بمذهب مخالف للمذهب الذي ساد المنطقة في العهد الذي سبقهم، لهذا سعى أمراؤهم للقضاء على مخلفات المذهب المالكي، فأمروا بإحراق كتب الفروع، كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ومدونة سحنون، وكتاب التهذيب للبرادعي، وواضحة ابن حبيب، وشجعوا على التأليف وفق مذهبهم الظاهري. وقد اتضح ذلك بجلاء في عهد يعقوب بن يوسف الذي حمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وتوعد من يشتغل بالفقه المالكي[2]. ومن نتائج ذلك، أن نشطت حركة التأليف عند الظاهريين والمالكيين على حد سواء.

إن أبرز ما ألفه أصحاب المذهب الظاهري، هو المصنف الذي أمر يعقوب بن يوسف من كان عنده من علماء الحديث، بجمع أحاديثه من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدراقطني، وسنن البيهقي. وبعد تأليفه، ألزم الناس في مختلف أرجاء مملكته على حفظه والعمل به[3]. وبقدر ما كان الموحدون حريصين على تثبيت مذهبهم، كان أهل المذهب المالكي بالمغرب أشد حرصا على التصدي للمذهب الدخيل، فألف أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي كتابه المعنون بـ"مناهج التحصيل فيما للأئمة على المدونة من التأويل"، وكان

[1] – علي محمد الصلابي، فقه التمكين...، المرجع السابق، ص ص191 – 204.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 202 – 203.

[3] – نفسه، ص ص203 – 204.

إسحاق بن إبراهيم الغماري السعيدي المجابري فقيها مالكيا، حافظا للرأي، قائما على المدونة، يستظهرها باستمرار[1].

يبدو أن الصراع المذهبي بلغ أشده في العهد الموحدي بكافة الأقاليم الخاضعة للمملكة، حيث انعكس ذلك على الحياة الفكرية التي ميزها اتجاهان، أحدهما رسمي معلن تبنته السلطة الحاكمة، وسعت لتجسيده باعتماد كافة السبل ترهيبا وترغيبا، والثاني خفي مثله فقهاء مذهب مالك، الذين رفضوا بشكل قاطع أن يحيدوا عن مذهبهم الذي ترسخ في حياتهم، وتوارثوه أبا عن جد، فعملوا في السر للإبقاء عليه، بمدارسته ولو على نطاق ضيق.

بضعف الدولة الموحدية مطلع القرن السابع الهجري، وانشطار القسم الإفريقي منها إلى ثلاثة أقسام، كان المغرب الأوسط من نصيب بني زيان. وعلى الرغم من حركة المد والجزر التي عرفتها المنطقة نتيجة الصراع السياسي بين الدويلات الثلاث التي قامت على أنقاض الموحدين، إلا أن الحياة الثقافية في الدولة الزيانية عرفت ازهارا أشادت به الكثير من المصادر التاريخية التي أرخت لهذه الحقبة. ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن سلاطين بني عبد الواد كانوا أهل علم، فشجعوا العلماء، وأكرموهم، وقربوهم من مجالسهم، فجادت قرائحهم، وكثر عطاؤهم، فألفوا في مختلف الفنون والآداب والعلوم. يقول خالد بلعربي متحدثا عن يغمراسن بن زيان: "...بحيث نجده يحب العلم، ويقرب العلماء إلى مجالسه، ويكرم وفادتهم، ويغدق عليهم الأموال والهدايا والجرايات، لأجل تشجيعهم على التدريس والتأليف"[2]. وسأكتفي بذكر بعض مؤلفي ومؤلفات القرن السابع، مراعيا المجال الزمني للبحث.

---

[1] – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977، ص55.

[2] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص223.

– أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي(ت680هـ)[1]: شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهي لأبي محمد عبد الوهاب المالكي[2].

– أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف التلمساني(ت630هـ): ترك أرجوزة في الفرائض[3].

– ابن خميس التلمساني(ت708هـ): له ديوان شعر ضخم ضاع الكثير منه، جمعه بعد وفاته محمد إبراهيم الحضرمي بعنوان الدر النفيس من شعر ابن خميس[4].

يستنتج أن التعليم بالمغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ، قد تأثر بجملة من العوامل ساهمت جميعها في تطويره. فاهتمام الحكام بهذا المجال الهام ترجم ميدانيا بإكرام العلماء وطلبة العلم، وإنشاء مؤسسات ومراكز التعليم على اختلاف أنواعها، وتسهيل التنقل بين الحواضر الثقافية، والتشجيع على التأليف واقتناء الكتب وإقامة المكتبات. لكن يبدو أن النزعة المذهبية كانت حاضرة، إذ عمل الحكام على توجيه الحياة العلمية بما يخدم التوجه المذهبي للدولة القائمة، فهذا يمنع تداول كتاب معين، وذاك يفرض كتابا ما. لهذا عانى العلماء خلال هذه الفترة من الإكراه، حيث نجد في الكثير من تراجمهم، أن فلانا رفض منصبا، ولما أكره عليه اضطر للفرار، وأن آخر مات مقتولا بسبب شبهة أو موقف معارض للتوجه القائم.

---

[1] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها. استوطن تلمسان بطلب يغمراسن بن زيان ومن فقهاء المدينة، فدرس بها وانتفع به خلق كثير. جمع بين علمي الظاهر والباطن. روى عن ابن كحيلا وناصر الدين المشدالي، وأخذ عن الشمس الأصبهاني وعن القرافي. ذكره العبدري في رحلته، مشيرا أنه أسن من أخيه أبي الحسن التنسي، توفي بتلمسان. ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1906، ص ص15 – 16.

[2] – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان...، المرجع السابق، ص ص139 – 140.

[3] – نفسه، ص140.

[4] – الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، مطبعة دحلب، الجزائر، 2007، ص ص169 – 170.

# الفصل
# الثانـي

# الفصل الثاني

# أنظمة التعليم والعلوم السائدة بالمغرب الأوسط

**المبحث الأول: نظام التعليم عند إباضية المغرب الأوسط (نظام العزابة).**

**المطلب الأول: تعريف نظام العزابة.**

**المطلب الثاني: أهداف نظام العزابة.**

**المطلب الثالث: طرق التعليم بنظام العزابة ومؤسساته.**

**أولا: دور القرآن.**

**ثانيا: المجالس السرية.**

**المطلب الرابع: أعضاء الحلقة في نظام العزابة ومهامهم.**

**أولا: شيخ الحلقة واختصاصاته.**

**ثانيا: العرفاء ومهامهم.**

**ثالثا: الطلبة وأصنافهم.**

**المطلب الخامس: الحياة اليومية في حلقة العزابة.**

**المطلب السادس: الموارد المالية لحلقات العزابة.**

**المطلب السابع: التأديب في نظام العزابة.**

**المبحث الثاني: التعليم بالمغرب الأوسط زمن حكم الشيعة العبيديين.**

**المطلب الأول: مدارس الدعوة الشيعية الإسماعيلية.**

**المطلب الثاني: الجهود العلمية للعبيديين.**

## المبحث الثالث: التعليم في المغرب الأوسط من نهاية الحكم العبيدي إلى بداية الحكم الزياني.

### المطلب الأول: التصدي للثقافة العبيدية في العهد الزيري.

### المطلب الثاني: الحياة الأدبية أيام الزيريين.

### المطلب الثالث: الحياة الفكرية في العهد الحمادي.

### المطلب الرابع: العلوم السائدة عند بني حماد.

### المطلب الخامس: المرابطون والعلوم السائدة في عهدهم.

### المطلب السادس: العلوم السائدة عند الموحدين.

### المطلب السابع: الحياة العلمية في الدولة الزيانية.

تباينت أنظمة التعليم المنتهجة في المغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ/10 و16م، نظرا لتباين التوجه المذهبي للدول التي قامت بالمنطقة وتعاقبت على حكمها. فبعد الإباضيين الذين شمل حكمهم مناطق واسعة من المغرب الأوسط، حل مكانهم العبيديون الشيعة، والصنهاجيون السنة؛ ثم آل الأمر إلى دول سنية أخرى، فكان لجميع هؤلاء بصماتهم الخاصة في النظام التعليمي السائد، سعيا من كل طرف لخدمة مقاصد مذهبه.

**المبحث الأول: نظام التعليم عند إباضية المغرب الأوسط (نظام العزابة).**

**المطلب: تعريف نظام العزابة.**

هو نظام طبق في المجتمعات الإباضية ببلاد المغرب، في كل من وارجلان ومنطقة ميزاب وجزيرة جربة وجبل نفوسة، ابتداء من نهاية القرن 4هـ/10م. وضع أسسه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي(345 – 440هـ/956 – 1049م)[1]. وكلمة عزابة مشتقة من العزوب عن الشيء والابتعاد عنه، أي الانعزال والانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة[2]. يقول أبو عمار عبد الكافي وهو أحد أقطاب الإباضية عن معنى العزابة:"أصل العزابة، اشتقاقها من العزبة والعزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال، فذلك العزابة"[3].

يعود ظهور هذا النظام بالمجتمع الإباضي بالمغرب الأوسط، إلى تدهور الأوضاع العامة بالمنطقة عقب سقوط الدولة الرستمية، حيث عجزت الحواضر الإباضية آنذاك عن بسط

---

[1] – هو أحد أعلام الإباضية، وواضع أسس نظام العزابة. تنظر ترجمته في الفصل الرابع ضمن أعلام مدينة وارجلان ص 211.

[2] – إلياس بن عمر حاج عيسى، مدينة وارجلان من ق4هـ/10م إلى 10هـ/16م دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي00، جامعة الجزائر، 2008 – 2009، ص108.

[3] – مجهول، سير أبي عبد الله الكافي، تحقيق مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1996، ص12.

سلطتها على مناطق نفوذها، نتيجة ظهور قوى منافسة لها، ممثلة في دول مخالفة لها في المذهب كالدولة العبيدية الشيعية والدولة الصنهاجية السنية؛ فكان لزاما على أتباع المذهب الإباضي التفكير في إيجاد نظام بديل عن سلطة الإمام التي انكمشت، يحقق الولاء المذهبي للإباضيين، ويقيهم من خطر الزوال[1].

**المطلب الثاني: أهداف نظام العزابة.**

بالإضافة إلى الحرص على حماية المذهب الإباضي من الاندثار، يقول الإباضيون أنهم أوجدوا نظام العزابة للقيام بمهام كثيرة تصب كلها في المصلحة العامة، ومن أبرز هذه المهام ما يلي:

– القيام بالإشراف العام على المجتمع، وهي مهمة يقوم بها شيخ الحلقة، نيابة عن الإمام الذي لم يعد بمقدوره القيام بذلك بعد سقوط الدولة الرستمية.

– القيام بمهمة القضاء، للفصل في النزاعات بين أفراد المجتمع، ورد الحقوق المهضومة إلى أصحابها.

– تفقد أحوال الناس، وتقديم المساعدات المختلفة للمحتاجين.

– الإشراف على التعليم، وتوفير الإمكانيات المادية اللازمة لذلك، والتكفل بالطلبة المعوزين.

– الإشراف على العلاقات الخارجية لإباضية المغرب الأوسط مع نظرائهم في المغرب والمشرق الإسلاميين[2].

[1] – إلياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص ص108 – 109.

[2] – نفسه، ص ص110 – 111.

**المطلب الثالث: طرق التعليم بنظام العزابة ومؤسساته.**

تميزت طرق التعليم في المجتمع الإباضي بالمغرب الأوسط، وتنوعت مؤسساته واختلفت، تماشيا مع التطورات، وتكيفا مع المستجدات. فمرحلة الظهور لها خصائصها، ومرحلة الكتمان تتطلب حيطة وحذر واحتياطات ظرفية. ومن مؤسسات التعليم عند الإباضية ما يلي:

**أولا – دور القرآن:** هي كتاتيب أنشأها أتباع المذهب الإباضي، يدرس فيها أطفالهم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية ومبادئ العقيدة من منظور إباضي.

لم تكن أماكن هذه المؤسسات معلومة، لأنها ظهرت في مرحلة الكتمان التي أعقبت سقوط الدولة الرستمية؛ فكانت تقام في البداية في غار كان قد طالب بإعداده مؤسس نظام العزابة لما قرر الرحيل رفقة تلامذته إلى ريغ، وهو ما أشار إليه الدرجيني في قوله: "فلما اتفق رأيهم على الانتقال إلى ريغ، قدم أبو عبد الله رسولا إلى أبي القاسم يونس بن ويزكن الويليلي، وكتب إليه يعلمه بما عزم عليه هو وتلامذته من التوجه والعمل برسم دراسة العلوم، وأكد عليه في أن يهيئ غارا تجتمع فيه التلامذة يأوون إليه ويحلقون فيه، وتكون فيه دراستهم وانفرادهم ليتسنى عزمهم واجتهادهم، فأخذ أبو القاسم في عمل الغار، وفيه تيسر ما يصلح شأن الحلقة"[1].

يظهر قول الدرجيني بوضوح أن الظروف لم تكن آمنة، مما دفع بأتباع المذهب إلى اللجوء إلى التستر والكتمان، وعقد لقاءاتهم بعيدة عن الأنظار، اتقاء لبطش العبيديين.

[1] – الدرجيني، طبقات المشايخ، المصدر السابق، ج1، ص170.

يبدو أن الأمور عند الإباضيين قد تيسرت فيما بعد، فخرجوا من السرية إلى العلن. يقول الدرجيني في ذلك: "ثم انتقل أبو عبد الله وتلامذته إلى (تينيبسلي)، فرتب بها الحلقة، وشيد من كريم البنيان ما يتشبه به العزابة"[1].

**ثانيا – المجالس السرية:** هي مجالس تعليم سرية أنشأها الإباضيون في مرحلة الكتمان بالمشرق. تحولت إلى مجالس علنية تقام في المساجد بعد مجيء الإباضيين إلى المغرب وتأسيسهم للدولة الرستمية، لتعود من جديد إلى السرية بعد استيلاء العبيديين على تيهرت، وتعرض أتباع المذهب الإباضي إلى القهر والاضطهاد. لكنها ظلت علنية في المساجد المتواجدة بالمناطق ذات الأغلبية الإباضية، والبعيدة عن النفوذ العبيدي، كمنطقة وارجلان بالمغرب الأوسط[2].

**المطلب الرابع: أعضاء الحلقة في نظام العزابة ومهامهم.**

تتألف الهيئة الإدارية والتعليمية للحلقة من صنفين: آمر ومأمور. أما الآمر فهو شيخ الحلقة أو من ينوب عنه، والعرفاء.

**أولا – شيخ الحلقة واختصاصاته:** هو المسؤول الأول عن إدارة حلقة العزابة، له صلاحيات واسعة ومهام كثيرة أشار إليها صاحب طبقات المشايخ، أهمها:

- الجلوس لتدريس الطلبة في أوقات معلومة.
- الجلوس إثر الختمات لمذاكرة الطلبة والإجابة عن مختلف الأسئلة.
- تخصيص أمسية الجمعة ويومي الإثنين والخميس للوعظ والتذكير والتحذير.
- عقد مجالس الاستفتاح في الثلث الأخير من الليل.

---

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص170.

[2] – إلياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص113.

– تحديد نوع العقوبات على المخالفين لنظام الحلقة.

– يستأذن في شأن قبول عابري السبيل، والوافدين الجدد على الحلقة.

– تولية عرفاء الأوقات.

– يستأذن فيما يشترى أو يباع أو يدخر من الأقوات.

– يستأذن في قسمة ما يفتح الله من رزق على الحلقة، وفي التصرف في مداخيل الأوقاف.

– يفصل في النزاعات بين الطلبة[1].

**ثانيا– العرفاء ومهامهم:** هم مساعدو شيخ الحلقة، يقوم كل واحد منهم بمهام محددة داخل المنظومة التعليمية، وهم كالآتي:

**عريف الختمات وأوقات النوم:** يلازم الطلبة من الصباح إلى الليل، ويسهر على السير الحسن للنشاط التربوي، وأبرز مهامه ما يلي:

– مراقبة الطلبة أثناء مذاكرتهم لحزب الغدو.

– الدعوة إلى الختمة بعد انتهاء المذاكرة، حيث يتناوب الطلبة على الدعاء بدءا بأكبرهم سنا، ويعاقب كل من تخلف عن ذلك.

– المناداة إلى نوم الهاجرة عند الضحى، ومعاقبة من أزعج النائمين. ومن امتنع عن النوم بنية التخلف عن قيام الليل، حتم عليه نوم القائلة، وإلا عاقبه.

– الدعوة إلى الختمة بعد الغروب، حيث يجتمعون في حلقات حول أسنهم، يتراوح عدد أفرادها بين الثلاثة والعشرة.

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص 173 – 174.

– دعوة الطلاب إلى ختمة خفيفة بعد صلاة العشاء حضورها ليس إجباريا، يقدم خلالها أفصحهم موعظة قصيرة، ثم ينادى بالنوم[1].

**عريف أوقات الطعام:** عمله مرتبط بأوقات تناول الطعام، سواء أثناء الوجبتين الأساسيتين المتمثلتين في الغذاء ظهرا والعشاء ليلا، أو الوجبات الإضافية كوجبة الضحى بعد كتابة الألواح صباحا، ووجبة العصر؛ حيث يلازم الطلبة في هذه الأوقات المحددة، وتتمثل مهامه في الآتي:

– ترتيب جلوس الطلبة لتناول الطعام، ومراقبة الحضور، ومعاقبة المتغيبين بدون عذر.

– الدعوة إلى إحضار الماء للقيام بالنظافة المعتادة قبل الأكل.

– إلزام الطلبة بقواعد سلوكية قبل وأثناء وبعد الأكل، كالاعتدال في الأكل، والإنصات إلى الدعاء من أكبرهم بعد الفراغ من الطعام، ولا يغادر أحد مكانه إلا بأمر من العريف.

– الإشراف على توزيع الهدايا التي يتصدق بها الأغنياء والمحسنون.

– الإشراف على الوجبتين الإضافيتين عند الضحى وبعد صلاة العصر.

– الإشراف على الوجبات الخارجية عند دعوة الطلبة للولائم في بيوت المحسنين[2].

**عريف تحفيظ القرآن:** ينبغي له أن يكون من حملة القرآن الكريم، عارفا برسمه، محكما لتلاوته، عالما بتفسير معانيه، متضلعا في قواعد اللغة العربية. أما مهامه فهي:

– الإشراف على مجموعة من الطلبة يتراوح عددهم بين اثنين وعشرة، وقد يزيد العدد في حالة الإكتظاظ.

---

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص174.

[2] – نفسه، ج1، ص ص175 – 176.

– إملاء الآيات على الطلبة الذين يكتبونها على الألواح، ثم يصحح لهم بعد أن يجف المداد.

– دعوة الطلبة إلى حفظ ما كتبوه لليوم الموالي.

– يعين على رأس المجموعة نقيب يساعده، فيحث النقيب أصحابه على الحفظ، ويجمعهم في اليوم الموالي في أماكن الدراسة، ليبدأ العريف التدريس بعد استظهار الطلبة للوقوف على مدى تحصيلهم لما أخذوه البارحة.

– يعاقب الطلبة المقصرين في الحفظ، فيسمح بخمس عثرات للمبتدئ، وبثلاث لغيره، وبعثرة واحدة لمن كان في الإعادة؛ فمن تجاوز ذلك عاقبه بالجلد إن كان صغيرا، والخطة أو الطرد إن كان كبيرا.

– إعداد تقرير مفصل عن كل طالب، يقدمه إلى الشيخ أثناء لقائهما الأسبوعي[1].

**عريف أوقات الدراسة:** يسهر بدوره على النظام والسير الحسن لحلقات الدراسة، ومن اختصاصاته ما يلي:

– تفقد الطلبة الذين يتغيبون أو يتأخرون عن الحلقة بين الظهر والعصر بدون عذر، ويعاقبهم.

– معاقبة من اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحة، أو قرأ خطأ وتقاعس عن التصحيح.

– معاقبة من قام إلى الطعام اختيارا في غير أوقات الأكل، أو إلى نجوى.

– معاقبة من نام أو تناوم أثناء الاستفتاح، أو اشتغل بغير الدراسة، أو تغيب عن المواعظ بين صلاتي الجمعة والعصر.

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص177 – 178.

– مراقبة الطلبة من حيث السلوك والهندام[1].

**ثالثا – الطلبة وأصنافهم:**

أطلق عليهم اسم المأمور في نظام حلقة العزابة، لأنهم يتلقون الأوامر من الآمر، الذي يتمثل في شيخ الحلقة والعرفاء. ويتوزعون إلى أصناف هي:

– **الصنف الأول:** يدرس في الكتاتيب، يضم الأطفال الصغار المبتدئين. يقتصر برنامج هؤلاء على حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ الإسلام واللغة العربية. يطلق على تلامذته اسم "أصحاب الألواح"[2]، أو طلبة تعليم القرآن، ويتميز هذا الصنف بما يلي:

* عدم إلزام المتعلمين بلباس موحد.

* وجود النظام الداخلي الذي يوفر للمتعلم المأوى والطعام.

* يرقى المتعلم إلى مستوى أعلى بعد إجراء اختبار، وبقرار من شيخ الحلقة بعد اطلاعه على تقرير العريف.

* إقامة الولي وليمة لأعضاء الحلقة عند نجاح ابنه[3].

– **الصنف الثاني:** يضم الطلبة الذين تجاوزوا المرحلة الأولى بنجاح بعد استظهارهم القرآن الكريم، ويطلق عليهم اسم "أصحاب الكتب"[4]. يتم في المساجد. يتميز بالتوسع في الدراسة

---

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص178.

[2] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص397.

[3] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص177 – 178. إلياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص121.

[4] – سموا بأصحاب الكتب لأنهم حفظوا القرآن الكريم، ولم يعودوا بحاجة إلى الألواح التي كانت وسيلة ضرورية للحفظ في المرحلة الأولى.

ليشمل، علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفرائض، وعلم الأصول، وعلم الفروع، وعلم اللسان، وعلم النجوم[1]. ومن الشروط التي تلزم طلبة هذا الصنف ما يلي:

* أن يكون حافظا للقرآن الكريم.

* أن يكون حسن السلوك.

* حلق شعر الرأس باستمرار حتى لا يطول أبدا.

* الالتزام بزي موحد محتشم، مع الالتحاء بالنسبة للبالغين.

* ملازمة الشيوخ في حلهم وترحالهم[2].

– **الصنف الثالث:** تحدث عنه الدرجيني بإسهاب، وسمى أصحابه بالعاجزين، وحصرهم في الطرش والعميان و الطاعنين في السن، وذوي العقول القاصرة. كما بين واجباتهم المختلفة، وأشار إلى قلة استيعابهم وحفظهم، والتمس لهم الأعذار، وبين أقل ما يمكنهم الحصول عليه وهو حسن الخلق، حيث قال:"...فمنهم الطرش والعميان والزمنى والهارمون وذوو الأفهام القاصرة ...فهذه الأنواع شأنهم الإصغاء والاستماع ليحصلوا الطرق والأخلاق، ويظهروا التلهف والاشتياق، وعليهم حفظ السيارات والمحافظة على الطرق والأوقات...فأما الزمنى والعميان، فقد نطق بعذرهم القرآن". وقد أعطى صاحب طبقات المشايخ أمثلة عن ضعف الحفظ عند هذه الفئة لما زار وارجلان سنة 616هـ، فقال:"...فمنهم رجل يسمى أبو دوناس من بعض قراء نفزاوة سبقني إلى الحلقة بأعوام، والغالب على ظني أني وجدت لوحه في سورة الفيل، ومات في سنة سبع عشرة ولم يكتمل سورة أخرى...وهل سمعت بسلمان بن

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص396.

[2] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص171.

حريز، لم يزل يكرر ويعيد سورة الأنبياء طول إقامتي بوارجلان، وخرجت وتركت لوحه فيها"[1].

**المطلب الخامس: الحياة اليومية في حلقة العزابة.**

يبدأ النشاط اليومي لجميع أفراد حلقة العزابة آمرون ومأمورون، في الثلث أو الربع الأخير من الليل بتأدية الاستفتاح، حيث يتوضأ الطلبة ويشرعون في قراءة القرآن مع الشيخ أو فرادى، ثم يؤدون صلاة الصبح جماعة. بعد تناول فطور الصباح، تبدأ الدروس الصباحية لكل صنف؛ فيجلس المتعلمون على شكل حلقة، مركزين أنظارهم إلى ألواحهم المسندة إلى الأساطين. تنتهي هذه الفترة بتلاوة دعاء الختمة، وهذا بعد اختبار الطلبة فيما حفظوه مما تعلموه في اليوم السابق، وإملاء ما يجب عليهم حفظه لليوم الموالي، وكل هذا تحت إشراف العرفاء كل حسب تخصصه.

يتولى شيخ الحلقة الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليه. وبعد صلاة الضحى، يتناول الطلبة وجبة خفيفة من فواكه أو تمر، فيأمرهم العريف بعدها بالذهاب إلى نوم الهاجرة حتى يقوى الجميع على حضور الاستفتاح؛ ومن تخلف عن هذا النوم الإجباري، أو أزعج النائمين يعاقب.

بعد الاستيقاظ، تؤدى صلاة الظهر، ثم يتناول الغذاء، فتبدأ بعده الدراسة المسائية وتستمر حتى العصر. وبعد الوجبة الخفيفة الثانية، تستأنف الدراسة إلى موعد صلاة المغرب، وعندها يعلن عن الختمة المسائية وانتهاء الأعمال الإلزامية اليومية، فيصلى العشاء، وبعده تناول وجبة العشاء التي تليها استراحة قصيرة.

يحضر الطلبة في الأخير الختمة النهائية اليومية، فيقوم أحدهم بتلاوة ما تيسر من القرآن، ثم يتلو دعاء الختمة المعتاد، ومسك الختام موعظة قبل الانصراف إلى النوم[1].

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص180 – 181.

**المطلب السادس: الموارد المالية لحلقات العزابة.**

أولت المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ اهتماما كبيرا بالموارد المالية اللازمة لخدمة الصالح العام، فأنشئ لهذا الغرض بيت المال، وحددت مصادر تمويله ومجالات إنفاقه.

وعلى الرغم من مجانية التعليم عند الإباضية، وقيامه على رغبة المتعلمين وتطوع الشيوخ المعلمين، إلا أن القائمين على نظام العزابة فكروا في إيجاد موارد مالية لتوفير مستلزمات الدراسة. فوجود النظام الداخلي الذي يضمن الإطعام والمأوى للطلبة، تطلب أموالا وفيرة شاركت في جمعها مختلف فئات المجتمع، حيث تم الحصول عليها من مصدرين أساسيين هما:

– ضرائب يدفعها أتباع المذهب عند الحاجة، كل حسب استطاعته؛ وهو أمر جرى العمل به منذ نشأة المذهب في المشرق[2].

– تبرعات من الأغنياء خاصة من كبار التجار[3]، ومحبي العلم والعلماء من أمثال أبوصالح جنون بن يمريان[4]، الذي كرس حياته خدمة للعلم؛ إذ عرض على أبي نوح سعيد بن زنغيل[5]

---

[1] – إبراهيم بكير بحاز، القيم القرآنية في المجتمع المزابي (العزابة أنموذجا)، الأسبوع الوطني الخامس عشر للقرآن الكريم، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الإمام بالمحمدية، الجزائر، 24 – 25 يناير 2014.

[2] – عبد الرحمن عثمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1977، ص396.

[3] – نفسه، ص397.

[4] – عاش بين سنتي 300 و350هـ. يعد من مشايخ الإباضية بوارجلان. يعود له الفضل في ازدهار الحركة العلمية بوارجلان. عرف بغزارة علمه، وشدة حزمه، وسخائه على العلم وأهله، ووصاياه لأبنائه، وفتاويه. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص341 – 342.

[5] – هو أحد أقطاب العلم عند إباضية المغرب، عاش أوائل القرن 4هـ/10م. نشأ بالجريد التونسي، ثم استوطن وارجلان. برع في علوم الفصاحة والبيان وفنون الجدل والرد على المخالفين. ينظر: أبو زكريا يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص197 – 198.

نصف ماله مقابل إقامته بوارجلان. ومن أمثلة الميسورين الذين عرفوا بكثرة إنفاقهم على الفقراء والغرباء وطلبة العلم، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني[1]. يقول الدرجيني في شأن الإنفاق على الطلبة: "ومما ينبغي لشيخ الحلقة، أن يتفقد أحوال التلاميذ، فمن كان منهم موسرا نظر له فيمن يخدم ما يقتات به من الطعام، ومن كان مقترا نظر له فيمن يتبرع له بالخدمة والإطعام"[2].

**المطلب السابع: التأديب في نظام العزابة.**

اعتمدت مدارس العزابة في المغرب الأوسط وفي غيرها من المناطق الإباضية أساليب مختلفة للتأديب، وتختلف الإجراءات العقابية من الصغار إلى الكبار، وباختلاف الذنب المقترف. يقول صاحب الطبقات: "فإن كان صغيرا أقيم إلى زاوية معروفة بأن تكون موضعا لتأديبهم، ثم اجتهد في عدد ما يجلد تأديبا، والكبير إلى الخطة والهجران"[3].ومن المخالفات التي تستوجب العقاب ما يلي:

- التأخر أو الغياب عن حضور حلقات الدرس بدون عذر مقبول.
- عدم الامتثال لأوامر وتوجيهات العرفاء.
- إزعاج الآخرين أثناء الدراسة أو النوم.
- عدم الالتزام بالنظام الداخلي للحلقة.
- عدم ارتداء الزي الرسمي للعزابة بالنسبة لطلبة المرحلة الثانية.

---

[1] – الدباغ(أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي) والتنوخي(أبوالفضل أبوالقاسم بن عيسى بن ناجي)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ج3، ص ص109 – 121.

[2] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص183.

[3] – نفسه، ص ص172 – 173.

– عدم الالتزام بآداب الطعام[1].

يبدو أن نظام التعليم في حلقة العزابة قد أفاد المدرسة الحديثة بكثير من الأسس، كمراعاة المستوى العقلي للمتعلمين، ووضع معايير للانتقال من مستوى إلى آخر، إضافة إلى الاهتمام بجميع الفئات. لكن رغم ذلك، فهو لا يخلو من المآخذ، مثل تكثيف أوقات الدراسة على حساب أوقات الراحة، وكثرة العقوبات التي تؤدي في الكثير من الأحيان إلى العزوف عن الدراسة.

**المبحث الثاني: التعليم بالمغرب الأوسط زمن حكم الشيعة العبيديين.**

مع نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، تمكن العبيديون من القضاء على الحكم الرستمي بالمغرب الأوسط، مما اضطر الإباضيين إلى الانسحاب من عاصمة ملكهم تيهرت، ويلجؤون إلى مناطق آمنة كوارجلان ووادي ميزاب. وقد عمد حكام المنطقة الجدد إلى طمس كل ما يمت بصلة إلى الإباضية المخالفين لهم في المذهب، فحرصوا على نشر تعاليم مذهبهم الشيعي لتوسيع دائرة أتباعهم. وقد سخروا لذلك كل الإمكانيات والوسائل، وفي مقدمتها التعليم؛ إذ حاصروا كل نشاط تعليمي لا يخدم مصلحة الدولة ومذهبها، وجمدوا كل ما يخالف عقيدتهم، ليضعوا بذلك حدا لحرية التعبير[2].

وسعيا من بني عبيد لنشر وتثبيت مبادئ وتعاليم مذهبهم، ضيقوا على المؤسسات العلمية والتعليمية التي خلفها من قبلهم، ووجهوها وجهة جديدة. كما اضطهدوا العلماء المخالفين لهم من إباضيين وسنيين، مقابل تشجيع علمائهم، وفتحوا مدارس الدعوة لتعليم مذهبهم في القصور والمساجد، ووضعوا لذلك برنامجا[3].

---

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص172 – 179.

[2] – محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص ص271 – 272.

[3] – نفسه، ص ص 272 – 273.

التعليم والتعلم هما الجوهر الفعلي للدعوة الشيعية الإسماعيلية؛ لهذا قام أئمة هذا المذهب الذين يقولون بأنهم مستودع للرسالة الإلهية، بنشر العلم والحكمة بواسطة دعاتهم الذين يتنقلون عبر أرجاء البلاد مبشرين بقرب ظهور المهدي. كان هؤلاء الدعاة يتحاشون الظهور علنا، بل يتسترون بممارسة مهن غير ملفتة للنظر، حماية لأنفسهم ولأتباعهم. وكانوا يستهدفون فئة مختارة من الناس، ويثيرون فيها الرغبة في معرفة أسرار تعاليمهم، مع الحرص على أخذ عهد من المستجيبين للمحافظة على سر ما يلقى عليهم، احترازا من أعدائهم السياسيين والدينيين **(الملحق 03)**[1].

**المطلب الأول: مدارس الدعوة الشيعية الإسماعيلية.**

هي مؤسسات ثقافية أقامها العبيديون في القصور والمساجد بمختلف المناطق التي أخضعوها لسلطانهم، لغرض نشر مذهبهم.

ورد موضوع العلاقة بين المعلم والمتعلم في أحد أقدم أعمال الأدب الإسماعيلي المعنون بـ "العالم والغلام" لابن حوشب[2]. يظهر هذا الكتاب المنهج التعليمي للدعاة الإسماعيليين القائم على إيصال الحكمة إلى المتعلمين في جلسات تعليمية عرفت بمجالس الحكمة.

في المغرب الإسلامي، اتبع أبو عبد الله الشيعي نفس الطريقة في تعليم أتباعه من بربر كتامة. يشير القاضي النعمان إلى ذلك بقوله: "يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه، وعلى الأئمة من ولده عليهم السلام). فإذا رأى الواحد منهم

[1] – ينظر نص العهد الذي يأخذه الداعي(المعلم) من المستجيب(المتعلم)، في الملحق رقم 01.

[2] – ابن حوشب(جعفر بن منصور اليمن)، العالم والغلام" في أربع كتب حقانية"، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1987، ص ص15 – 75.

بعد الواحد قد لقن عنه وأحس فيه ما يريده، ألقى إليه شيئا بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه"[1].

يبدو أن دعوة الشيعي قد أثمرت في بني سكتان[2]، حيث ضيفوه ووفروا له الحماية، وأعدوا مجلسا للسماع إليه، وهذا ما أكده صاحب افتتاح الدعوة عندما قال: "ومن ذلك أنه كان يتعاهدهم بالوصايا والتذكرة، ويكرر عليهم بالمواعظ والحكمة، ويجمعهم لذلك، ويجلس لهم أكثر أيامه، ويأمر من أطلقه من الدعاة بذلك، ويربيه عليه. فكانت أيامهم أكثرها مشاهد، وسماع ومواعظ"[3].

بعد نجاح بني عبيد في القضاء على الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط، أصبحت الدعوة الإسماعيلية علنية داخل المناطق الخاضعة لنفوذ العبيديين، واتخذت مجالس الحكمة صفة مؤسساتية، يشارك فيها أولئك الذين قطعوا على أنفسهم العهد[4].

أدرك مؤسس الدولة العبيدية عبيد الله المهدي، أن القوة وحدها غير كافية لتحقيق هدفهم الأسمى المتمثل في زعامة العالم الإسلامي، ففكر في نشر المذهب الإسماعيلي على نطاق واسع؛ إذ أسس لهذا الغرض مدارس الدعوة لإعداد الدعاة والمعلمين، مع التزام السرية فيما كان يلقيه عليهم من علم الباطن ومناهجه. كما وضع برنامجا لتلقين مبادئ المذهب لمختلف فئات المجتمع، بما فيهم المرأة[5].

---

[1] – القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص49.

[2] – بني سكتان هي قبيلة زناتية سبق التعريف بها في الفصل التمهيدي ص12.

[3] – القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص128.

[4] – هو عهد يقطعه المدعوون للمذهب الشيعي أمام دعاة هذا المذهب. ينظر الملحق رقم 01.

[5] – حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947، ص256. بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص274.

نظرا لأهمية مهمة الدعاة، رأى العبيديون ضرورة توفر جملة من الشروط في هؤلاء، في مقدمتها العلم والثقافة الواسعة التي تكتسب مرحليا، والإيمان المطلق بالمذهب الإسماعيلي والقدرة على استقطاب الناس إليه. في المقابل، حرص الدعاة عند القيام بواجبهم على تصنيف المتلقين حسب مستواهم العلمي. فلا يقدمون للعامة سوى المبادئ الأولية للعقيدة الشيعية، في حين يرتقون بالخاصة المستنيرين إلى أسرارها العليا[1].

ويبدو أن مدارس الدعوة هذه قد نجحت إلى حد ما، على الرغم من وجود علماء المذهب المالكي الذين أشاعوا أن الكثير من العقائد الشيعية مخالفة للشريعة الإسلامية.

انتشرت مدارس الدعوة في مختلف المناطق الخاضعة لحكم العبيديين، وظل نشاطها ساريا في عهد أسلاف المهدي، وتخرج منها دعاة كثر تفانوا في خدمة الدعوة الإسماعيلية، أمثال القاضي النعمان الذي أثرى بمؤلفاته التراث الشيعي. ويعود الفضل لهؤلاء الدعاة في استقطاب شخصيات بارزة التحقت بالبلاط العبيدي لخدمته منها: ابن حمدون وابن هانئ الأندلسيين[2].

**المطلب الثاني: الجهود العلمية للعبيديين.**

بهدف التمكين للمذهب الشيعي، اهتم العبيديون بشتى أصناف العلوم في مرحلة السرية قبل إنشاء كيان لهم، فكونوا دعاتهم تكوينا علميا عقائديا. واستمرت هذه السياسة بعد قيام دولتهم ببلاد المغرب، حيث أصبح حرصهم أشد على العلم وأسبابه. ولم يكن القصد فيما يبدو ترقية المستوى الفكري للرعية، وإنما نشر العلم وفق طرق ومناهج تهدف في الأساس إلى نشر مذهبهم وتوسيع دائرة نفوذهم، وذلك بتشجيع علماء المذهب دون غيرهم. يعبر محمد الصالح مرمول عن ذلك بقوله: "وأما القصد منها(أي السياسة التعليمية العبيدية)، نشر العلم على

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص278 – 279.

[2] – نفسه، ص ص275 – 276.

طريقتهم ووفق منهجهم، لغرس مذهبهم وتوطيد نفوذهم، فشجعوا علماءهم، وأولوهم المناصب الهامة، وأغدقوا عليهم الهبات المالية السنوية، وبذلك انتعش التعليم والثقافة الإسماعيليين لحماية الدولة لهما ومحاربة سواهما"[1].

لم تكن مهمة الخلفاء سهلة لنشر ثقافتهم المذهبية في المغرب الأوسط، بسبب وجود مخالفين لهم من أهل السنة والإباضية. فعمدوا إلى فتح قصورهم إلى العلماء والشعراء وطلبة العلم الحاملين للفكر الشيعي. وكانت مجالسهم في القصر لا تخلوا من دراسة القرآن وكتب عقائد الشيعة[2].

ومن مظاهر اهتمام العبيديين بالعلوم والآداب والفنون، حرصهم على جمع الكتب وإنشاء المكتبات، بشهادة القاضي النعمان الذي تحدث عن سرور عبيد الله المهدي باستعادة كتب، كانت قد سرقتها منه عصابة أثناء قدومه إلى بلاد المغرب. حيث قال: "وكان أعظم ما ذهب له، كتب كان فيها علم من علوم الأئمة...وسر باسترجاعها سرورا عجيبا"[3]. وقد حذا الخليفة المعز حذو المهدي، لما حمل معه كتبه عند انتقاله إلى مصر.

من هنا يمكن أن نقول أن الخلفاء العبيديين كانوا شغوفين بالكتب، خاصة ما يتناول منها علوم أئمتهم، وهو أمر ينم عن توجه مذهبي خالص.

لقد كان جل خلفاء بني عبيد من أهل العلم والأدب؛ إذ أثر عن المهدي(297 – 322هـ)، أنه ألف كتاب الأسرار، وكان ينظم الشعر، ومن ذلك ما جاء في دعوته إلى أهل نكور بالمغرب للدخول في طاعته، وتحذيرهم من التمادي في عصيانه، فختم خطابه إليهم بالأبيات التالية:

---

[1] – محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص276.

[2] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص278.

[3] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص161.

فإن تستقيمـــوا أستقـــم لصلاحكـــم وإن تعدلـــوا عني أرى قتلكـــم عـــدلا

وأعلـــوا بسيفي قاهـــرا لسيوفكـــــم وأدخلـــها عفـــوا وأملأها قتـــلا[1].

كما نسبت إلى الخليفة المنصور(334 – 341هـ) عديد المؤلفات مثل: تثبيت الإمامة لعلي بن أبي طالب، والوصية للمعز[2]. أما المعز(341 – 365هـ)، فيبدو أنه كان أوفر حظا من أسلافه، حيث ترك إنتاجا غزيرا من عناوينه: تأويل الشريعة، كتاب الروضة، بيان في العلم ومجلسه، الرسالة إلى حسن القرمطي، المناجاة، الرسالة في شأن المسيحية[3].

بالإضافة إلى إسهامات الخلفاء في إثراء الحياة العلمية، برزت شخصيات أخرى في مجال الأدب من أمثال ابن هانئ الأندلسي، الذي جاء من الأندلس مطرودا واستقر بالمحمدية (المسيلة)، على عهد جعفر بن علي الأندلسي، المعروف بتكريمه للشعراء، فقربه إلى مجلسه بعد أن مدحه بقصيدة جاء فيها:

خلقت شهـــــابا يضيء الخطـــــوب ولست شهـــابا يضيء الظلـــــم

تشيع فيكـــــم لســـــــاني ومـــن تشيع في قـــــــــوله لم يلـــــم

حمدت لقـــــــاءك حمـــــد الربيـــع وشمت نـــــوالك شيـــم الديم[4].

ظل ابن هانئ في المسيلة ردحا من الزمن، جادت خلاله قريحته الشعرية، فنظم عدة قصائد في مدح جعفر وأخيه يحي، وله قصيدة في رثاء والدتهما. ولما بلغت أشعاره مسامع المعز لدين الله الفاطمي، بعث في طلبه، وجعله شاعرا لبلاطه.

---

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص178.

[2] – محمد حسن الأعظمي، عبقرية الفاطميين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص118.

[3] – محمد حسن الأعظمي، المرجع السابق، ص118.

[4] – ابن هانئ الأندلسي، ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص ص329 – 333.

لقد بالغ ابن هانئ في مدح الحكام العبيديين بأشعاره، إلى درجة أن رفع من مدحهم إلى منزلة النبوة، ومن ذلك مدحه للمعز في قوله:

ما شئت لا ما شـــاءت الأقـــــدار فاحكـــم فأنت الـــواحد القـــهار

وكـــأنما أنت النـــبي محمـــد وكأنمـــا أنصـــارك الأنصـــار

أنت الـــذي كـــانت تبشـــرنا به في كتبـــها الأحبـــار والأخبـــار

هذا الـــذي ترجى النجـــاة بـــه وبه يحـــط الإصـــر والأوزار

هذا الـــذي تجـــدي شفاعته غدا حقـــا وتخمـــد أن تراه النـــار[1].

ومن الأدباء والشعراء الذين استمالهم العبيديون لمدحهم وذكر مآثرهم، تميم بن المعز الذي كان ميالا لحياة اللهو والمجون، فأشاد بمآثر العبيديين وهجا خصومهم، فقال مفتخرا:

أقـــروا لنـــا يا آل عبـــاس بالعـــلا فلستـــم لهـــا يا آل عبـــاس أكسبا

سبقنـــاكم للديـــن والهجـــرة التي تأخـــر عنهـــا جدكم وتحججـــا

وكنتـــم بني عـــم النبي محمـــد وكنـــتا بنيه وهو كـــان لنـــا أبـــا

وليس بنـــو أعمامـــه في دنوهـــم كمثل أخيـــه خطـــة وتنسبـــا[2].

يبدو أن أبرز ما ميز الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط زمن العبيدين، هو اهتمامهم بالأدب وتوجيهه لخدمة مبادئهم والترويج لمذهبهم. ذلك أنهم أدركوا عدم جدوى سياسة الترهيب التي

[1] – ابن هانئ الأندلسي، المرجع السابق، ص146.

[2] – تميم بن المعز، ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1957، ص463.

انتهجوها في البداية، إذ لم ينتج عنها سوى النفور والمزيد من الكراهية. ونتيجة هذا الاهتمام، برزت ثلة من الشعراء، فأشادوا بالدولة العبيدية ودعوتها وإنجازاتها.

**المبحث الثالث: التعليم في المغرب الأوسط من نهاية الحكم العبيدي إلى بداية الحكم الزياني.**

بعد رحيل العبيديين إلى مصر سنة 361هـ/972م، في عهد خليفتهم المعز لدين الله الفاطمي، ترك أمر المغرب إلى بلكين بن زيري الصنهاجي، فعمل هذا الأخير على تنفيذ السياسة العبيدية في بلاد المغرب. لكن بوفاته سنة 373هـ/984م، آل الحكم إلى ابنه المنصور، فبدأت صفحة جديدة في تاريخ المنطقة، ظهرت ملامحها الأولى فيما قاله الحاكم الجديد للمهنئين له عند توليه السلطة؛ إذ خاطبهم بما يلي: "إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا، وأنا لا آخذ الناس إلا بالإحسان، ولست ممن يولى، ولا يعزل بكتاب، ولا أحمد في هذا الملك إلا الله ويدي. وهذا الملك ما زال في يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير"[1].

على الرغم من هذا التوجه الجديد الذي يبدو أنه لا يسير في اتجاه ما يصبو إليه العبيديون، إلا أن الخليفة الجديد العزيز بالله(365هـ/975م – 386هـ/996م)، تجاهل الأمر، وأرسل إلى المنصور يعلمه بتكليف عبد الله الكاتب بأمر الدعوة في بلاد المغرب، حتى تستمر مجالس الدعوة التي كانت تقام في قصورهم قبل الرحيل إلى مصر. هذا ما أكده النويري بقوله: "وجلس فيه – قصر الحجر – المنصور وأقرباؤه ووجوه بني عمه، ثم دخل عبد الله فأخذ عليهم الدعوة، وصار عبدا داعيا"[2].

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل استطاعت الدعوة الشيعية أن تحقق في بلاد المغرب ما لم يتسن لها تحقيقه حتى في ظل وجود العبيديين به؟

---

[1] – النويري، المصدر السابق، ج24، ص ص97 – 98.

[2] – نفسه، ج24، ص99.

لا شك أن إسناد العبيديين مهمة الاستمرار في إقامة مجالس الدعوة ببلاد المغرب لعبد الله الكاتب، لم يكن سوى لاستقطاب أتباع جدد، تحسبا لأي محاولة انفصال من قبل الزيريين. وبهذا تبوأ المبعوث العبيدي مكانة مرموقة في الدولة الصنهاجية، وهو ما عبر عنه ابن عذاري بقوله: "وكان عبد الله الكاتب لثقته بنفسه، لا يداري أحدا من أولاد زيري، ولا أكابر الدولة"[1]. ولعل هذا ما أدى إلى مقتله على ما يبدو بتدبير من المنصور، وهو ما يستشف من قوله وهو يخاطب كبار مساعديه في القيروان، حيث قال لهم: "ما قتلت عبد الله على مال، ولا شيء أغتنمه، وإنما خفته على نفسي فقتلته"[2]. بهذا دخلت العلاقة العبيدية الصنهاجية فصلا جديدا، تميز بالتوتر وإن لم يصل إلى القطيعة النهائية، وهذا لا يعني انتصار المذهبين المالكي والإباضي بالمغرب الأوسط، وإنما حصول أتباعهما على هامش أوسع لممارسة أنشطتهم الثقافية، الأمر الذي كان صعب المنال عند قيام الدولة الزيرية التي أنشأها الصنهاجيون، بسبب بقاء عدد لا يستهان به من الشيعة الذين خرجوا عن سيطرة الدولة الفتية[3].

**المطلب الأول: التصدي للثقافة العبيدية في العهد الزيري.**

رغم المحاولات التي قام بها عبد الله الكاتب المعين من قبل العبيديين المقيمين في مصر، والهادفة إلى الحفاظ على استمرارية الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب، إلا أن مساعيه باءت بالفشل بفضل علماء المذهب المالكي الذين لم يتوانوا عن محاربة المد الشيعي في المنطقة، رغم ما تعرضوا له من اضطهاد. فقد تمكن سكان المغرب بعد فترة من تأسيس الدولة الزيرية، من القضاء على الكثير من مظاهر الثقافة العبيدية المصبوغة بالمذهب الشيعي الإسماعيلي. ذلك أنهم أعادوا قراءة القرآن برواية نافع التي أقرها أتباع المذهب المالكي في

---

[1] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص242.

[2] – النويري، المصدر السابق، ج24، ص100.

[3] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص329.

كامل بلاد المغرب، وأصبح القرآن يتلى جماعيا عقب صلاة الصبح متبوعا بالدعاء. كما عاد المالكيون لحضور صلاة الجمعة التي امتنع عنها الكثير منهم لما كانت تقام باسم العبيديين، وعادت صلاة التراويح في رمضان التي طالما منعوا من أدائها، ومعها الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر الصيام، وألغي الآذان الشيعي(حي على خير العمل)[1]. وقد أكد التجاني أن القطيعة النهائية مع العبيديين لم تتم إلا سنة 444هـ في عهد المعز بن باديس، فقال في هذا الشأن:"...إلى أن خالف المعز بن باديس على بني عبيد، وصرح على المنابر بلعنهم، وذلك سنة أربع وأربعين وأربعمائة"[2].

**المطلب الثاني: الحياة الأدبية أيام الزيريين.**

لم يتأثر الأدب في المغرب الأوسط برحيل العبيديين، إذ لم يصاحبهم إلى مصر إلا القليل من الأدباء والعلماء. فقد بقي معظمهم بالمدن المغربية، وواصلوا المسار الذي بدأوه في العهد السابق، واتضح جليا مدى التطور الذي وصل إليه الأدب عموما والشعر بالخصوص، من خلال الشعراء الذين برزوا في ظل الحكم الزيري للمنطقة، ومن أمثلة هؤلاء: عبد الكريم النهشلي(ت405هـ/1014م)[3]، وأبو عبد الله محمد بن عبدون الوراق السوسي (ت400هـ/

---

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص337 – 339.

[2] – التجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص328.

[3] – هو بن إبراهيم النهشلي، ولد ونشأ بالمحمدية(المسيلة)، ثم ارتحل إلى القيروان وتوفي بها. كان شاعرا وأديبا. من مؤلفاته كتاب "الممتع"، الذي تضمن آراءه في الشعر والشعراء، وأساليب النقد. ينظر: ابن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص ص170 – 176. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية(تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص ص393 – 394.

1010م)[1]، وابن أبي سهل الخشني (ت406هـ/ 1015م)[2]، وأبو محفوظ محرز بن خلف بن رزين التونسي(ت413هـ/1022م)[3].

من خلال الاطلاع على إنتاج شعراء العهد الزيري، يلاحظ أنه لم يعد للمذهبية الدينية مكان في أشعارهم، على عكس ما ميز الشعر زمن العبيديين، من طغيان للنزعة المذهبية الشيعية.

**المطلب الثالث: الحياة الفكرية في العهد الحمادي.**

على إثر انقسام الصنهاجيين على أنفسهم نتيجة الخلاف بين باديس وعمه حماد، قامت الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط، واتخذت من القلعة عاصمة لها، واعترفت بالعباسيين بدل العبيديين. لقد نشأت هذه الدولة في وقت تميز ببلوغ الحضارة العربية الإسلامية أوجها في المشرق والأندلس، فانعكس ذلك على القلعة، حيث ازدانت بها الحياة الفكرية بنهضة في مختلف العلوم، قبل الانتقال إلى بجاية التي أصبحت بدورها معقلا للفكر ومنارة للعلم. ومن عوامل الازدهار الثقافي عند الحماديين، إنشاء المؤسسات التعليمية وفي مقدمتها المساجد

---

[1] – هو من أكابر القيروان، سكن في سوسة، ثم رحل إلى صقلية بعد وفاة زوجته وابنته سنة 393هـ/1002م. عاد إلى سوسة وتوفي بها. ينظر: الصفدي، المصدر السابق، ج3، ص168.التجاني، المصدر السابق، ص ص38 – 42.

[2] – هو عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير. اشتهر باللغة والنحو والتبحر في علوم شتى. كان شديد الحياء. له أشعار كثيرة. ينظر: القفطي(جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986، ص ص178 – 180. السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص100.

[3] – محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج2، ص ص202 – 203. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1982، ج7، ص ص264 – 269.

التي كانت تعج بالمدرسين وطلبة العلم، نظرا لما وجده هؤلاء وأولئك من تشجيع من الأمراء[1].

**المطلب الرابع: العلوم السائدة عند بني حماد.**

**العلوم النقلية:** تمثلت أساسا في العلوم الدينية. فبعد أن عاد المذهب المالكي إلى سابق عهده بالمغرب الأوسط، وأصبح المذهب الرسمي للدولة، زاد الاهتمام بالعلوم الدينية من تفسير وقراءات وحديث وفقه وتصوف، وبرز العلماء في سائر فروعها. ومن الكتب التي اعتمدت كمرجع أصلي للفقه المالكي: موطأ مالك، والتلقين لعبد الوهاب البغدادي، والواضحة لابن حبيب، والأسدية لأسد بن الفرات، والمدونة لابن سحنون. وقد نبغ في هذه العلوم كثير من العلماء، جمع بعضهم أكثر من تخصص، فذاع صيتهم، بحيث قصدهم الراغبون في طلب العلم من مختلف الأصقاع[2]. ومن هؤلاء: أبو الفضل يوسف بن النحوي(ت505هـ/ 1113م) الذي اختص في علوم العقيدة والتصوف، وتخرج عليه علماء أجلاء من أمثال أبو عمران موسى الصنهاجي ومحمد بن مخلوف[3]. كما برز أبو القاسم يوسف البكري (ت465هـ/1074م) في علم القراءات، وله مؤلفات في التخصص أبرزها الكامل في القراءات[4]. أما ابن الرمامة(ت567هـ)[5] وموسى بن حماد الصنهاجي(ت535هـ)[1] فقد لمعا

---

[1] – عبد الحليم عويس، دولة بني حماد...، المرجع السابق، ص253.

[2] – نفسه، ص256.

[3] – ابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص ص496 – 504.

[4] – أبو القاسم يوسف بن علي البسكري، الكامل في علم القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص ص4 – 8.

[5] – المراكشي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، ج8، ص ص123 – 128.

في الفقه، في حين تخصص مروان بن علي الأسدي البوني(ت439هـ)[2] وأبو محمد عبد الله الأشيري(ت561هـ)[3] في الحديث، ويوسف الوارجلاني(ت570هـ)[4] في التفسير.

يبدو أن قلة الإنتاج الفكري المدون لكثير من علماء الدين في هذه الفترة، مرده إلى انشغالهم بالتدريس، بهدف تكوين جيل يرفع لواء المذهب المالكي الذي ضيق عليه واضطهد أتباعه في ظل الحكم العبيدي من قبل.

**العلوم العقلية:** شملت اللغة والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والعلوم التجريبية ممثلة في الطب والصيدلة والفلك والهندسة والحساب والرياضيات وعلم الفرائض.

لم يمنع الاهتمام بالعلوم الدينية ازدهار العلوم الأخرى، حيث نالت بقية العلوم نصيبها من العناية من الحكام والعلماء بدرجات متفاوتة، فبرزت في الأدب أسماء خلدت ذكرها منها: ابن دفرير أبو عبد الله محمد الكاتب(ت547هـ)[5]، وأبو حفص عمر بن فلفول الشاعر(كان حيا سنة 547)[6]، وعلي بن الزيتوني الشاعر(توفي قبل 561هـ)[7].

---

[1] – الضبي(أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ج2، ص456.

[2] – البوني(أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطان البوني)، تفسير الموطأ للبوني، ج1، تحقيق أبو عمر عبد العزيز الصغير رخان المسيلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2011، ص ص25 – 43.

[3] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص ص466 – 467.

[4] – عبد الرحمن الجيلالي، أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان، مجلة الأصالة، العدد 41، يناير 1977، ص ص162 – 171.

[5] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص142.

[6] – نفسه، ص255.

[7] – نفسه، ص ص173 – 174.

لم يجد علم التاريخ نفس العناية التي أولاها الحماديون لعلوم اللغة والدين، لتركيزهم على تعريب المجتمع وترسيخ عقيدته. إلا أن بعض أعلام بني حماد انصب اهتمامهم على هذا العلم واشتغلوا بتدريسه والتأليف فيه، فكان أبو محمد القلعي يدرسه بجامع بجاية[1]، وخلف أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني (ت570هـ) كتابا سماه فتوح المغرب[2]، وربما كان أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت628هـ)[3] الأكثر تأليفا في هذا التخصص، بتآليفه التالية: النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة وكتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، وكتاب الإعلام بفوائد الأحكام.

علوم الطب والصيدلة نالت حظها من الرعاية والاهتمام في هذا العهد، باعتبارها ضرورة من الضرورات التي لا يمكن الاستغناء عنها. فقد لمعت أسماء في مجال الطب كابن أبي المليح[4]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي المعروف بابن النباش[5]، ومحمد بن أبي بكر المنصور القلعي(ت660هـ)[6]. وكان أبو جعفر بن بذوخ القلعي(ت576)[7] خبيرا خبيرا في صناعة الأدوية وعارفا بالأمراض وعلاجها، فألف كتبا في التخصص مثل حواشي على كتاب القانون لابن سينا، وذخيرة الألباب في الباءة، وشرح الفضول لأبوقراط في أرجوزة. ومن الإشارات التي تؤكد على تطور الطب والصيدلة عند الحماديين، وجود نباتات

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص269.

[2] – عبد الرحمن الجيلالي، أبو يعقوب الوارجلاني...، المرجع السابق، ص ص162 – 171.

[3] – أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، المرجع السابق، ص ص3 – 7.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص270.

[5] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص497.

[6] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص266 – 267.

[7] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص268 – 270.

بجبل ميسون في ضواحي بجاية، كانت تستعمل في صناعة الأدوية، بما فيها الدواء المضاد للسع العقارب[1].

علم الفلك بدوره نال حظه من الاهتمام، فبرز فيه ابن أبي الرجال التاهرتي(ت432هـ)، الذي خلف آثارا علمية خلدت ذكره أهمها: البارع في أحكام النجوم، وأرجوزة في الحكام الفلكية[2].

إن حاجة الحماديين كغيرهم من الدول الناشئة إلى توسيع عمرانها، فرضت عليهم الاهتمام بالهندسة. وقد أكدوا تفوقهم فيها من خلال إبداعهم في منشآتهم العمرانية، خاصة قلعتهم التي أعدت من أروع ما أنجز في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[3].

**المطلب الخامس: المرابطون والعلوم السائدة في عهدهم.**

ما دام أن العلم هو أساس التطور والازدهار، لم يتوان الحكام المرابطون في الاهتمام به، والحظ بأهله، فلمعت كثير من الأسماء في شتى أصناف العلوم.

**علوم اللغة:** عرفت علوم اللغة في العهد المرابطي ازدهارا كبيرا، تجلى في نبوغ عدد كبير من العلماء، تصدروا للإقراء والتأليف. فقد برز في هذا المجال عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي (ت561هـ)، الذي أقرأ الناس، ونظم الشعر، وألف كتبا منها: الاقتضاب في أدب الكتاب[4]. وكان عصر علي بن يوسف حافلا بأعلام اللغة والنحو، ومن هؤلاء

---

[1] – الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1863، ص90.

[2] – رابح بونار، علي بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني، مجلة الأصالة، العدد 6، يناير 1972، ص121.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص271.

[4] – ابن السيد البطليوسي، الفرق بين الحروف الخمسة، تحقيق علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، 2009، ص7 وما بعدها.

نذكر: أبو الحسن علي بن خلف الأنصاري(ت540هـ)[1] الذي تبحر في علوم اللغة والقراءات، وأبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري(ت555هـ)[2]، صاحب كتاب "نظم القرطين وضم أشعار السقطين"، وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن غزوان الفهري(كان حيا سنة 537هـ)[3]، مؤلف كتاب "فوائد الإفصاح عن شواهد الإيضاح".

**التاريخ والجغرافيا:** اهتم بعض أعلام الدولة المرابطية بكتابة التاريخ، وبالرحلة وتسجيل مشاهداتهم وهم يجوبون أقاليم مملكتهم، أو البلدان الأخرى. وفيما يلي أهم ما ألف في هذا المجال[4]:

| الكاتب | عنوان الكتاب |
|---|---|
| ابن الصيرفي، أبو زكريا بن يحي بن يوسف الأنصاري الغرناطي (ت570هـ). | – الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية.<br>– قصص الأنباء وسياسة الرؤساء. |
| أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ). | – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. |
| ابن علقمة، أبو عبد الله محمد بن خلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفي (ت509هـ). | – البيان الواضح في الملم الفادح. |
| أبو طالب عبد الجبار عبد الله بن أحمد بن أصبغ. (ت562هـ) | – عيون الإمامة ونواظر السياسة. |
| السالمي، أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي. (ت559هـ). | – درر القلائد وغرر الفوائد. |
| الفتح بن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي | – قلائد العقيان في محاسن الأعيان. |

[1] – السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص338.

[2] – نفسه، ص321.

[3] – ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج1، ص46.

[4] – علي محمد الصلابي، فقه التمكين...، المرجع السابق، ص ص206 – 207.

| | |
|---|---|
| الإشبيلي. (ت528هـ) | – مطمع الأنفس ومسرح التأنس.<br>– رواية المحاسن وغاية المحاسن. |
| ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. (ت578هـ). | – الصلة.<br>– الغوامض والمبهمات.<br>– المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل. |
| الإدريسي، أبو عبد الله الشريف. (ت560هـ). | – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. |
| عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري. (ت550هـ). | – المسهب في غرائب المغرب |

**علوم الطب:** عرفت حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين تألق أعلام في علوم الطب والصيدلة. فقد أولى المرابطون اهتماما كبيرا بالطب، إذ نصبوا له مسؤولا رفيعا سموه رئيس الصناعة الطبية. ونتيجة لذلك لمعت أسماء من أمثال أبو مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي(ت471هـ)[1]، الذي تتلمذ على علماء الطب في المشرق، قبل أن يعود إلى الأندلس ويصبح من أشهر الأطباء فيها. ورث عنه ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن زهر(ت525هـ)[2] علوم الطب، فألف فيها أكثر من أبيه، ومن مآثره: كتاب الخواص، وكتاب الأدوية المفردة، وكتاب مجريات الطب، وكتاب التذكرة، وكتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح، وكتاب النكت الطبية، وكتاب الطرر، ومقالة في تركيب الأدوية. استمر توارث الطب في هذه الأسرة، حيث جاء الابن أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (ت557هـ)[3]، فنال شهرة أبيه وجده، وملأ الدنيا بعلمه، وحذا حذو أبيه في التأليف، فأنتج كتبا قيمة منها: الاقتصاد في صلاح الأجساد، والتيسير في المداواة والتدبير الذي اعتبر أهم مرجع طبي في

[1] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص518.

[2] – نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – نفسه، ص ص519 – 521.

العصر الوسيط، وكتاب الأغذية، ومقالة في علل الكلى، ورسالة في علتي البرص والبهق. ولم يقتصر الطب على أسرة ابن زهر، بل لمعت أسماء أخرى مثل أبي عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي (ت559هـ)[1] صاحب كتاب الشفا.

**المطلب لسادس: العلوم السائدة عند الموحدين.**

أولت الدولة الموحدية كغيرها من الدول التي خضع المغرب الأوسط لسلطانها من قبل، عناية كبيرة بالعلوم المختلفة خاصة العلوم الدينية، كونها كانت تسعى لتجسيد مذهبها الظاهري المخالف لمذهب المرابطين. هذا ما أدى إلى ظهور أعلام لمعوا في مختلف العلوم السائدة بالمنطقة آنذاك، حيث وجدوا الدعم والتشجيع من الأئمة والأمراء، فقد كان المهدي بن تومرت من علماء عصره، إذ أقرأ مجموعة من الفقهاء بالمغربين الأدنى والأوسط. ولم يكن خلفاؤه أقل تشجيعا للعلم منه، بل ساروا على نهجه في رعاية العلم والعلماء، فكان خليفته عبد المؤمن بن علي مؤثرا لأهل العلم، محسنا إليهم. يقول ابن أبي زرع في ذلك: "...وكان مع ذلك سخيا كريم الأخلاق، محبا في أهل العلم والأدب، مقربا لهم، مشوقا لوفادتهم، منفقا لبضاعتهم، وله شعر رائق حسن"[2]. لكن الملاحظ أن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، شهد بروز كثير من الأدباء وعلماء الدين، إلا أنه عانى من نقص في العلوم الأخرى، كالهندسة والطب والتنجيم[3].

قسم علماء الإسلام العلوم في العصور الوسطى إلى قسمين: علوم نقلية وعلوم عقلية، وتنضوي تحت كل قسم مجموعة من العلوم، اختلف في تقسيمها. أما ابن حزم الظاهري(ت456هـ/1063م)، فقد قسمها إلى: علوم الشريعة، وعلم الأخبار، وعلم اللغة،

---

[1] – السيوطي، بغية الوعاة...، المصدر السابق، ج1، ص28.

[2] – ابن أبي زرع(علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي)، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص204.

[3] – إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ج1، ص350.

وعلم النجوم، وعلم العدد، وعلم الطب، وعلم الفلسفة[1]. وفيما يلي العلوم السائدة في عهد الموحدين:

**العلوم النقلية:** شهد المغرب الأوسط على غرار الأقاليم الخاضعة للموحدين، ازدهارا للعلوم الدينية أكثر من سواها من العلوم الأخرى. ويعود ازدهار هذه العلوم إلى وجود مشيخات في مختلف الحواضر الموحدية، يقصدها الناس للإفادة. ومن العلوم الدينية التي لقيت اهتماما وتشجيعا من الموحدين ما يلي:

– **علوم القرآن:** تمثلت في علمي القراءات والتفسير. ومن مظاهر الاهتمام بهذه العلوم، النظام الذي وضعه المهدي بن تومرت، القاضي بقراءة حزب من القرآن مرتلا كل جمعة عقب صلاتي الصبح والمغرب، كان القصد من ورائه التلاوة الصحيحة للقرآن. نتيجة لذلك، لمعت بالمغرب الأوسط الموحدي ثلة من القراء المتقنين المتميزين، من أمثال: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي المعروف بابن الخراط(ت581هـ/1185م)[2]، وأحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي (ت582هـ/1186م)[3]، وأبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي (ت600هـ/ 1203م)[4]، وأبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي المعروف بابن الحجام (ت614هـ/1217م)[5].

---

[1] – ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ج4، ص ص78 – 81.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص ص133 – 134.

[3] – خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس(ابن حزم – الخزرجي)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص ص41 – 60.

[4] – ابن الجزري(شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري الدمشقي الشافعي)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ج2، ص ص251 – 252.

[5] – ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص439 – 440.

أما في التفسير، فبرز أعلام كثر منهم: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت570هـ/ 1174م)[1]، وموسى بن الحاج بن أبي بكر الأشيري(ت589هـ)[2].

يبدو أن اهتمام عبد المؤمن بن علي وخلفائه بعلوم القرآن، كان حافزا كبيرا لعلماء المغرب الأوسط للإقبال على كتاب الله حفظا ومدارسة، وعملا وممارسة، فأفنوا في هذه العلوم زهرة شبابهم إقراء وتفسيرا وتصنيفا.

- **علم الحديث:** لم يختلف اهتمام علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بعلوم القرآن، عن اهتمامهم بعلم الحديث، حيث تعمقوا في دراسته باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. وقد بدأت العناية بهذا العلم مع المهدي بن تومرت، الذي جمع علماء الحديث من العدوتين وأمرهم بتدريسه[3]. وعلى الرغم من استناد الموحدين إلى المذهب الظاهري المنكر للرأي، وإقدامهم على حرق كتب الفروع، إلا أن أهل المغرب الأوسط عادوا إلى اتباع المذهب المالكي، فبرز من المحدثين كل من: عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري(ت561هـ)[4]، وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم المري الفاسي المعروف بابن قرقول (ت569هـ)[5]، (ت569هـ)[5]، وجابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسني (كان حيا سنة 578هـ)[6]، وعبد الحق الإشبيلي البجائي (ت581هـ/1185م) صاحب الأحكام الكبرى والأحكام الوسطى والأحكام الصغرى في الحديث[7].

---

[1] – عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي "الأدب في المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975، ج5، ص 368.

[2] – ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص ص182 – 183.

[3] – محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص35.

[4] – القفطي، المصدر السابق، ج2، ص ص137 – 141.

[5] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص ص520 – 521.

[6] – ابن الأبار، التكملة...، المصدر السابق، ج1، ص201.

[7] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص ص198 – 201.

**علم الفقه:** ازدهر الفقه بالمغرب الأوسط أيام الحكم الموحدي على المذهبين الظاهري والمالكي. فالمذهب الأول تبنته السلطة الحاكمة في بداية عهدها، بينما كان الثاني هو المذهب الراسخ في الأوساط الشعبية. وهذا لا يعني الغياب التام للمذاهب الأخرى؛ إذ كان المذهب الإباضي متجذرا في الجهة الجنوبية للمغرب الأوسط[1]، مما دفع بالخليفة يعقوب المنصور الموحدي إلى تقريب بعض فقهاء هذا المذهب من أمثال أبي يحي زكرياء بن صالح اليراسني (كان حيا سنة 580هـ/1184م)[2]. كما كان ابن الرمامة (ت567هـ/ 1171م)، متبعا للمذهب الشافعي[3].

وعلى الرغم من وجود فقهاء في مذاهب شتى، نظرا للتسامح الديني الذي ساد في بعض فترات العهد الموحدي، إلا أن معظم الفقهاء كانوا في مجال الفقه المالكي، نتيجة رسوخ مذهب الإمام مالك في مجتمع المغرب الأوسط، ومن هؤلاء أبو مدين شعيب (ت594هـ/ 1197م)[4]. أما فقهاء المذهب الظاهري الذي حاول خلفاء الدولة الموحدية فرضه، فكانوا بنسبة أقل لضعف الاستجابة لهذا المذهب، ومنهم أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(ت633هـ/1235م)، صاحب كتاب وهج الجمر في تحريم الخمر[5].

**علم الكلام والأصول:** بعد أن كان ممقوتا في العهد المرابطي، عرف علم الكلام تشجيعا كبيرا من طرف الموحدين، بداية من عهد ابن تومرت الذي كان أوحد زمانه في هذا

---

[1] – علي عشي، المرجع السابق، ص215.

[2] – الدرجيني، طبقات المشايخ، المصدر السابق، ج2، ص ص392 – 395.

[3] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص152 – 153.

[4] – الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، مؤسسة النشر والتوزيع، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ج1، ص ص416 – 418.

[5] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص ص389 – 395.

المجال[1]، حيث خلف مؤلفات كثيرة منها: أعز ما يطلب، والعقيدة المرشدة، والإمامة، وتعاليق في الأصول. وقد وجد هذا العلم مناخا خصبا لينمو ويزدهر في المغرب الأوسط، حيث برز فيه أعلام ذاع صيتهم بكثرة مؤلفاتهم. وفيما يلي نماذج من هؤلاء[2]:

| العلماء | مؤلفاتهم |
|---|---|
| حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زكون التلمساني(ت553هـ/1158م). | – كتاب في الرأي. |
| أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م). | – الدليل والبرهان. – العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف. |
| أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني(ت570هـ/ 1174م). | – كتاب الموجز. |
| أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م). | – التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات. |
| عبد الحق الإشبيلي البجائي (ت581هـ/ 1185م). | – العافية – كتاب الرقائق – كتاب الصلاة والتهجد – كتاب التوبة – كتاب العاقبة – كتاب الأنيس في الأمثال والحكم والآداب. |
| محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (625هـ/1228م). | – الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم – عقيدة علية الخلق وزبدة معرفة الحق المضنون بها على غير أهل الصدق – النكت المحررة والفصول المحبرة في حقيقة التتريه ونفي التشبيه – ميزان العمل – التسلي عن الرزية والتحلي بالرضا بقضاء باري البرية. |
| ابن دحية(ت633هـ/1235م) | – عصمة الأنبياء. |

[1] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص173.

[2] – علي عشي، المرجع السابق، ص ص228 – 233.

| | |
|---|---|
| محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي(ت بعد 654هـ/1256م). | – الفصول في نبذ شافية من علم الصول. |

**علم التصوف:** كان للتصوف دوره في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط خلال الحكم الموحدي، حيث ظهر عدد كبير من أقطابه؛ إذ لم يعد منكرا كما كان من ذي قبل. ومن أبرز أعلام التصوف بالمنطقة، أبو مدين شعيب بن الحسين، الإشبيلي أصلا، البجائي دارا التلمساني وفاة(ت594هـ/1197م)[1]، الذي يعد أحد المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، بعد لبسه الخرقة عن أبي عبد الله الدقاق(ت منتصف القرن 6هـ)[2]، والمرور على شيخ المشايخ أبي يعزى(ت572هـ/1170م)[3]، ثم لقاء عبد الرحمن الجيلاني(ت561هـ/ 1159م)[4] أثناء أدائه فريضة الحج. وقد اختزل أبو مدين شعيب وبسط الأطروحات الصوفية التي تضمنتها الرسالة القشيرية، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ومحاسن المجالس لأبي العباس بن العريف، في كتابه المعنون بـ "أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد"[5].

لم يقتصر التصوف في المغرب الأوسط على أبي مدين شعيب، بل لمع الكثير من المتصوفة سواء أهل البلد أو الوافدين عليه؛ إذ ترك هؤلاء وأولئك بصماتهم إما من خلال تلامذتهم أو مؤلفاتهم. فمحي الدين بن عربي(ت638هـ/1240م)[6] الذي تتلمذ على أبي

---

[1] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص22 – 32.

[2] – ابن الزيات، المصدر السابق، ص322. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير...، المصدر السابق، ص27.

[3] – ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص313 – 321.

[4] – عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2007، ص4. عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، دار القلم، دمشق، ط1، 1994، ص83 وما بعدها.

[5] – علي عشي، المرجع السابق، ص235.

[6] – المقري، نفح الطيب...، المصدر السابق، ج2، ص ص161 – 169.

مدين، خلف مؤلفات كثيرة في التصوف، منها: كتاب النصوص، وكتاب الإسراء إلى مقام الأسرى، وكتاب عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب. كما أثرى الزاهد أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي(ت610هـ/1214م)[1] الأدب الصوفي بمؤلفاته أهمها: كتاب الأربعين في الفقر وفضله، وكتاب الحب لله. وقد حذا ابن المرأة (ت611هـ/ 1215م)[2] حذوه، بتأليفه كتاب "شرح أسماء الله الحسنى"، وشرحه كتاب "محاسن المجالس" لابن العريف، وكتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" للجويني. ومن الذين نبغوا أيضا في التصوف، محمد بن أحمد بن الحجام(ت614هـ/1217م)، مؤلف كتاب "حجة الحافظين ومحجة الواعظين"[3].

**العلوم الأدبية:** ميزت العهد الموحدي بالمغرب الأوسط حركة أدبية نشيطة، تجلت في بروز الكثير من الأدباء والشعراء. ومرد ذلك إلى تشجيع الخلفاء الموحدين لهذه الفئة؛ إذ أجزلوا لها العطاء. ولم يتوقف اهتمامهم هنا، بل أولوا اهتماما بالغا للغة العربية، فجعلوها لغة رسمية للدولة، تتم بها مختلف المكاتبات والمعاملات؛ لتزيد انتشارا في البلاد بفضل مجيء القبائل الهلالية إلى المنطقة وتمسكها باللسان العربي. كما أن دراسة العلوم الدينية كانت دافعا للاهتمام باللغة وإتقانها[4]. وفيما يلي قائمة لأبرز الأدباء والشعراء الذين لمع نجمهم بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة:

---

[1] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص ص24 – 25.

[2] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالقي المعروف بابن المرأة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، ج1، ص390. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج1، ص11.

[3] – نبغ في الكثير من العلوم الدينية خاصة علم القراءات وعلم التصوف. ينظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص439 – 440.

[4] – علي عشي، المرجع السابق، ص243.

| الأدباء والشعراء | مؤلفاتهم | مصادر تراجمهم |
|---|---|---|
| ابن دحية(ت633هـ/ 1235م). | – الصارم الهندي في الرد على الكندي. – المطرب من أشعار أهل المغرب. – العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور. | المطرب من أشعار أهل المغرب. |
| أحمد بن عبد الجليل التدميري (ت بعد 555هـ/ 1160م). | – نظم القرطين وضم أشعار السقطين. – الفوائد والفرائد. – شفاء الصدور. | جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. |
| يوسف بن محمد بن عبد الله البلوي الحجاج (ت604هـ/ 1207م) | – كتاب ألف باء للالباء. – كتاب التكميل. | صلة الصلة. التكملة لكتاب الصلة. |
| أبو زكريا يحي بن علي الزواوي (ت611هـ/1214م) | – الدرة الألفية في علم العربية. | التشوف إلى رجال التصوف. |
| محمد بن عبد الحق اليفرني (ت625هـ/1227م). | – لباب الإعراب. | الذيل والتكملة. التشوف إلى رجال التصوف. |
| محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م). | – عجالة المودع وعلالة المشيع. – شرح مقصورة ابن دريد. – شرح لقصيدة عمر بن أبي ربيعة.– ديوان شعر. | الذيل والتكملة. |
| محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م). | – التذكرة في قبول المعذرة وفيما جاء في العفو عند المقدرة. | بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. التشوف إلى رجال التصوف. |
| أبو زيد عبد الرحمن بن | – القصائد العشريات. | آثار أبي زيد الفازازي |

| | | |
|---|---|---|
| يخلفتن بن أحمد الفزازي (ت627هـ/1229م). | – قصائد في الشوق والغرام. – ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. – الرسائل الإخوانية. | الأندلسي. |
| حسن بن عمر بن علي القسنطيني ابن الفكون (ت بعد 602هـ/ 1205م). | – ديوان شعر. – رحلة من قسنطينة إلى مراكش. | معجم أعلام الجزائر. |
| أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م). | – ديوان شعر. تحفة الأريب. – أنس الوحيد. بداية المريدين. | عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. |

يستخلص من تراجم أعلام المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي أن الشعر كان مجالا مشتركا للعلماء باختلاف تخصصاتهم، فنجد الطبيب والأديب والفقيه ينظمون أشعارا كموهبة بعد التخصص. وكانت جل أشعارهم في مدح الخلفاء والتنويه بمنجزاتهم والثناء على حسن تسييرهم وتدبيرهم، نظرا للمكانة التي حظي بها الشعراء خلال هذه الفترة

**المطلب السابع: الحياة العلمية في الدولة الزيانية.**

طغى التأثير الديني على الحياة الفكرية عند بني عبد الواد منذ تأسيس دولتهم مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث اهتم الفقهاء بالعلوم الدينية أكثر من سواها، نظرا لأهميتها في صحة العبادات واستقامة المعاملات، فازدهرت هذه العلوم، وازداد الإقبال على دراستها؛ الأمر الذي دفع بالسلطة الزيانية إلى الإشراف على تدريسها، فجعلت لها كراسي دائمة بمساجد حواضرها الكبرى خصوصا عاصمة ملكها تلمسان[1]. ومن العلوم السائدة بالمغرب الأوسط خلال حكم بني عبد الواد ما يلي:

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2، ص ص435 – 436.

**1 – العلوم الدينية:** شملت علم القراءات والتفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم التصوف.

**أ – علم القراءات والتفسير:** اهتم أهل المغرب الأوسط بتعلم القرآن الكريم وتفسيره، فحرصوا على تعلم قراءته الصحيحة، نظرا لتعدد القراءات التي رواها الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة. كما اجتهدوا لمعرفة معانيه، وذلك بحضور المجالس التي كانت تعقد بالمساجد لهذا الغرض، حيث استقدم يغمراسن بن زيان، أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ/ 1281م)[1]، ونصبه للتدريس بالجامع الأعظم بتلمسان، فأصبح الطلبة يتزاحمون على مجلسه إلى أن ضاق بهم المكان[2]. وقد اعتمدت بعض الكتب لتدريس التفسير بمملكة بني زيان أهمها: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جامل الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ/1144م)[3]، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت691هـ/1297م)[4] .

**ب – علم الحديث:** نال حظه من الاهتمام من طرف بني زيان، لنقله سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وبيان أحكام القرآن، فاعتمدت كتب كثيرة في تدريسه، منها: الصحاح

---

[1] – أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص ص15 – 16.

[2] – محمد بن مرزوق الخطيب، المجموع، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ورقة 41.

[3] – الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتناء وإخراج وتعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص ص7 – 10.

[4] – البيضاوي(ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، إعداد وتقديم عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دت، ج1، ص ص9 – 11.

الست[1]، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن إسحاق بن يسار(ت151هـ)[2]، والروضة للكباري، وأرجوزة الحديقة[3]. ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال: أبو إسحاق بن يخلف التنسي الذي سبقت الإشارة إليه في علم التفسير، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني(ت681هـ/1282م)[4]، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القريشي(ت736هـ/1335م)[5].

**ج – علم الفقه:** اعتمد فقهاء المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على أربعة مصادر أساسية وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع والقياس. أما الكتب المقررة لتدريس هذا العلم فتمثلت في: موطأ الإمام مالك، والتمهيد لابن عبد البر، ومدونة الإمام سحنون، وتهذيب أبي سعيد البرادعي[6]. ومن الفقهاء الذين عرفتهم المنطقة خلال هذه الفترة، أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي الذي يبدو أنه كان ملما بكثير من العلوم الدينية، حيث كان له حضور مع علماء التفسير والحديث كما سبقت الإشارة إلى

---

[1] – يقصد بالصحاح الست، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة.

[2] – هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني، ولد في المدينة المنورة سنة 85هـ. يعتبر أول مؤرخ عربي كتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأطلق عليها سيرة رسول الله. اعتمد عليه عبد الملك بن هشام في تأليف كتاب السيرة المعروف بسيرة ابن هشام. توفي ببغداد سنة 151هـ. ينظر : وليد الأعظمي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم، بغداد، 2001، ص12.

[3] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص231.

[4] – ولد بتلمسان سنة 629هـ/1226م. أخذ عن أبي زكريا يحي بن محمد بن عصفور العبدري، وأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، وابن عبد الله بن اللحام، وأبي زيد اليزناسني. توفي سنة 681هـ/1282م، ودفن بدار الراحة من الجامع الأعظم بتلمسان، كما دفن يغمراسن بن زيان بجواره، تنفيذا لوصية تركها لأبنائه. ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص ص48 – 49.

[5] – أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص ص549 –550.

[6] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص233.

ذلك من قبل، مما أكسبه مهابة برزت بجلاء خلال المهمات الدبلوماسية التي كان يقوم بها مبعوثا من بني زيان إلى بني مرين، وهو ما أكده أبو يعقوب المريني في قوله: "ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي. فعندما يصافحني تدركني منه مهابة، فكانت يدي ترتعش من هيبته"[1].

**د – علم التصوف:** لم يجد التصوف مكانه بين علوم التدريس في المغرب الأوسط إلا في القرن السادس الهجري على عهد الموحدين. فقد برزت خلال هذه الفترة أسماء لمع بريقها وذاع صيتها أمثال أبي مدين شعيب(ت594هـ/1197م)، الذي يعد أول من أدخل تعاليم الصوفية إلى المنطقة بعد احتكاكه بعبد الرحمن الجيلاني في المشرق. لكن مع مطلع العهد الزياني، تألقت كثير من الشخصيات في عالم التصوف بالمغرب الأوسط، أمثال أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق(ت681هـ/1282م) الذي أخذ عن أبي عبد الله محمد بن اللجام، وزهد في الدنيا وانقطع للعبادة والتدريس، فكان محل احترام وتقدير، إذ يذكر أن يغمراسن بن زيان أوصى بأن يدفن بجواره فكان له ما أراد[2]. ولم يكن أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط (ت729هـ/1288م) أقل شأنا من سابقه، حيث كان وليا صالحا زاهدا معظما بين الناس، يقصد للتوسل به في قضاء الحاجات عند السلطان يغمراسن بن زيان، الذي لم يكن يرفض له طلبا. وعرف بالخياط لأنه كان يحترف الخياطة في حانوته بمكان يدعى القبابين بتلمسان[3]. ومن رجال التصوف أيضا، أبو العيش محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي (ت654هـ/1215م)، الذي كان زاهدا ومؤلفا متقنا، وله في التصوف نظم كثير[4]. ومنهم

---

[1] –محمد بن مرزوق الخطيب، المجموع، المصدر السابق، ورقة44.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص389.

[3] – أبو عبد الله محمد بن مرزوق، المصدر السابق، ص ص178 – 180. ابن مريم، المصدر السابق، ص142.

[4] – يحي بن خلدون، بغية الرواد...، المصدر السابق، ج1، ص ص29 – 31.

أيضا، أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي المعروف بالبكاي(ت741هـ/1341م)[1]، وأبو إسحاق الطيار (توفي نهاية القرن 7هـ)، الذي ذكرت عنه بعض المصادر التاريخية أنه كان من الأولياء الصالحين بتلمسان، لم يضطجع أربعا وعشرين سنة، قضاها صائما بالنهار قائما بالليل[2].

**2 – العلوم اللسانية:** شملت اللغة العربية وما يتصل بها من إنتاج أدبي، نثرا كان أو شعرا، إضافة إلى النحو والصرف والبلاغة.

**أولا – اللغة العربية:** نالت حظا وافرا من قبل الكتاب والشعراء، وسائر العلماء في العهد الزياني، لكونها وسيلة أساسية لدراسة مختلف العلوم. ولعل ما ساعدها على التطور خلال هذه الحقبة، الاهتمام بالعلوم الدينية، بحرص العلماء على تدريسها والتأليف فيها، حيث كثرت كتب الشروح ونظم الأراجيز[3]. ومن الأسماء التي لمعت في هذا المجال، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الوشقي(ت690هـ/1291م)، الفقيه العارف، المبرز في العدد والفرائض، الأديب الشاعر. له أرجوزة في الفرائض، ونظم في السير ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومقالة في العروض[4].

---

[1] – سمي بالبكاي لكثرة بكائه ولخشيته وكثرة خشوعه. كان إماما خطيبا بجامع القصر الجديد بتلمسان. ينظر : محمد بن مرزوق الخطيب، المجموع، المصدر السابق، ورقة 14 – 17. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص33 – 35.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص33.

[3] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن...، المرجع السابق، ص240.

[4] – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم ومراجعة وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1، ص ص652 – 657. ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص ص138 – 141. محمد بن أبي القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط2، 1983، ص16. ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ج1، ص177.

**ثانيا – الأدب:** لقد كان لموقع تلمسان عاصمة بني عبد الواد، ومناظرها الطبيعية الخلابة، واهتمام مؤسس الدولة بالعلماء والأدباء، دور كبير في تطور الأدب؛ إذ أثرت هذه العوامل في رجال الأدب، فتفجرت مواهبهم متجلية في إنتاج أدبي غزير في مجالي الشعر والنثر. كما كان للتأثيرات المشرقية والأندلسية بصمة في أدب المغرب الأوسط، دون أن تفقده أصالته المغربية.

– **النثر:** يقصد به الكلام المنثور غير الموزون التي يستعمل في المخاطبات. تألق في هذا الفن العديد من أدباء المغرب الأوسط، خاصة بتلمسان عاصمة الملك، لما لقيه هؤلاء من تشجيع من الأمراء والسلاطين، الذين كانوا يتخذون كتابا لهم، يتولون تحرير الرسائل الموجهة إلى نظرائهم. وقد أبدع هؤلاء الكتاب في فن النثر، من خلال اعتماد أسلوب مليء بالسجع والمحسنات البديعية، ولغة سليمة، حتى ذاع صيتهم مشرقا ومغربا. ومن أمثلة هؤلاء، أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الأندلسي (ت688هـ/1289م)، الذي شغل ديوان الرسائل في غرناطة، قبل أن يجعله يغمراسن بن زيان صاحب ديوان الإنشاء، فكتب رسائل كثيرة صارت فيما بعد تراثا أدبيا يدرس. ومن الشهادات التي تدل على مكانته الرفيعة، ما قاله عنه أبو عبد الله محمد بن عمر بن راشد الفهري (ت721هـ/1321م)، حيث قال: "وبوفاته انقرض علم الكتابة"[1]. ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني(ت708هـ/ 1308م)، الذي أشرف على ديوان الإنشاء لفترة في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، ثم غادر تلمسان أيام الحصار الطويل الذي فرضه عليها المرينيون بين سنتي(699 – 808هـ/ 1299 – 1307م)، واستقر بسبتة، ثم انتقل إلى غرناطة إلى أن توفي بها[2].

[1] – التنسي، نظم الدر والعقيان، المصدر السابق، ص ص127 – 128.

[2] – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة...، ج3، ص252 وما بعدها.

لم يقتصر النثر على الرسائل الرسمية التي كان يتبادلها السلاطين والأمراء، وإنما وجدت أنواع أخرى من الرسائل، كالرسائل الأدبية أو الإخوانية التي كان يبعث بها الأدباء إلى نظرائهم أو حتى إلى السلاطين للتعبير عن المودة والشوق والحنين، أو للتعزية والمواساة. كما شاع نوع آخر من الرسائل عرف بالقصائد النبوية، كانت ترسل مع الحجيج إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

يبدو أن هذه الرسائل ذات أهمية بالغة في الكتابات التاريخية؛ إذ أنها تشير من دون شك إلى نوعية العلاقات التي كانت سائدة في مختلف المجالات بين بني زيان ومن عاصروهم. لكن ضياع معظمها بسبب عدم ادراك أدباء ومؤرخي تلك الفترة لأهميتها، وتعرض الكثير منها للتلف في خضم الصراعات الداخلية، والمواجهات المتكررة مع الحفصيين والمرينيين، حال دون الاستفادة منها.

– **الشعر**: هو كلام منظوم موزون ومقفى، عرف على غرار النثر ازدهارا كبيرا، نتيجة الرقي الذي عرفته الحركة الفكرية في المغرب الأوسط أيام بني زيان. وقد كان للحركة الصوفية من جهة، والهجرة الأندلسية خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي من جهة ثانية، دور في تطور هذا الفن. فقد وجد المتصوفة في الشعر وسيلة للتعبير عن أحاسيسهم، ونشر أفكارهم، فنظموا قصائد كثيرة في الزهد والمدح. كما أسهم أدباء الأندلس الذين استقر الكثير منهم بتلمسان في إثراء الحياة الأدبية بصفة عامة. ومن روائع الأشعار ما نظمه ابن خميس في مجالات مختلفة، حيث عبر عن شوقه لتلمسان بعد أن غادرها واشتد حنينه لها، بقصيدة جاء فيها:

تلمسان لو أن الزمان بها يسخـــو  منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الأولى التي حيل دونها  مثار الأســـى لو أمكن الحنق اللبخ

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص ص457 – 462.

وعهدي بها والعمر في عنفوانـــه ومـــــاء شبابي لا أجين ولا مطخ

قرارة تهيام ومغنى صبابـــــــة ومعهد أنس لا يلـــذ به لطـــخ[1].

وله نظم في التصوف، يعكس بحق المستوى الراقي الذي بلغه شعر الزهد في مطلع العهد الزياني، منه الأبيات التالية:

أنبت ولكن بعد طول عتـــاب وبعد لحاج ضاع فيه شباب

وما زلت والعليا تعني غريمها أعلل نفسي دائما بمتـــــاب

وهيهات من بعد الشباب وشرخه يلذ طعـــامي أو يسوغ شـراب

خدعت بهذا العيش قبل بلائـــه كما يخدع الصادي بلمع سـراب

تقول هو الشهد المشور جهالـة وما هو إلا السم شيب بصاب[2].

**3 – العلوم العقلية:** على الرغم من اهتمام أهل المغرب الأوسط بالعلوم الدينية أكثر من غيرها، إلا أن أمور دنياهم أرغمتهم على الإقبال على العلوم العقلية كعلم الفرائض والحساب والجبر والهندسة، فنبغ البعض في هذا المجال، بفضل تشجيع السلاطين، وبدعم من بعض أعلام الأندلس الذين آثروا الاستقرار بعاصمة بني زيان. ومن المصنفات المعتمدة في التدريس، أرجوزة ابن الياسمين في الجبر، وتلخيص أعمال الحساب لابن البناء، ومختصر الحوفي في الفرائض لأحمد بن محمد بن خلف الكلاعي الإشبيلي[3].

يلاحظ أن كتب التراجم تناولت عددا كبيرا من أعلام العهد الزياني الذين أبدعوا في شتى الميادين، وتجاوزت شهرتهم العدوتين، إلا أننا لم نأت على ذكر الكثير منهم، لقلتهم في

---

[1] – المقري، نفح الطيب...، المصدر السابق، ج5، ص ص370 – 371.

[2] – يحي بن خلدون، بغية الرواد...، المصدر السابق، ج1، ص40.

[3] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، مقارنة بالقرنين المواليين؛ ذلك أن مملكة بني زيان كانت في البداية في طور النشأة، فانصبت جهودها على تثبيت أركانها، علما أن المرحلة ميزتها كثرة الصراعات مع الحفصيين والمرينيين، وغياب الاستقرار الذي يعد عاملا مهما للتطور الحضاري بصفة عامة.

الفصل
الثالث

# الفصل الثالث

# المراكز والمؤسسات العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط

**المبحث الأول: الكتاب.**

**المطلب الأول: تعريف الكتاب.**

**المطلب الثاني: ظهور الكتاتيب وانتشارها.**

**المطلب الثالث: وسائل الكتاب ومستلزماته.**

**المطلب الرابع: معلمو الكتاب.**

**المطلب الخامس: تلاميذ الكتاب.**

**المطلب السادس: طريقة التدريس بالكتاب.**

**المطلب السابع: العقاب.**

**المطلب الثامن: تعليم المرأة بالكتاب.**

**المبحث الثاني: المسجد.**

**المطلب الأول: تعريف المسجد.**

**المطلب الثاني: وظائف المسجد.**

**المطلب الثالث: ظهور المساجد وانتشارها.**

**المطلب الرابع: الدور التعليمي لمساجد المغرب الأوسط.**

**أولا: مساجد حاضرة تلمسان.**

**ثانيا: مساجد حاضرة بجاية.**

**ثالثا: مساجد مدينة الجزائر.**

**رابعا: مساجد قسنطينة.**

**خامسا: مساجد وهران.**

**سادسا: مساجد مستغانم.**

**المبحث الثالث: المدرسة.**

**المطلب الأول: تعريفها.**

**المطلب الثاني: نشأتها.**

**المطلب الثالث: ظهورها وانتشارها.**

**المطلب الرابع: تأسيس المدارس بالمغرب الأوسط.**

**المبحث الرابع: الزاوية.**

**المطلب الأول: التعريف اللغوي.**

**المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي.**

**المطلب الثالث: نشأة الزوايا وانتشارها.**

**المطلب الرابع: هندسة الزوايا.**

**المطلب الخامس: نظام الزوايا.**

**المطلب السادس: أنواع الزوايا.**

**المطلب السابع: موارد الزوايا.**

**المطلب الثامن: زوايا المغرب الأوسط.**

**أولا: زوايا تلمسان.**

**ثانيا: زوايا بجاية.**

**المطلب التاسع: الدور التعليمي للزوايا.**

## المبحث الخامس: المكتبة.

### المطلب الأول: مفهوم المكتبة.

### المطلب الثاني: المكتبات الإسلامية.

### المطلب الثالث: المكتبات في المغرب الأوسط.

**أولا: المكتبات العبيدية.**

**ثانيا: المكتبات الحمادية.**

**ثالثا: خزائن الكتب زمن المرابطين والموحدين.**

**رابعا: المكتبات في مطلع العهد الزياني.**

اعتنى الإسلام أيما عناية بالعلم، وشجع على طلبه من خلال ما جاء من أيات قرآنية وأحاديث نبوية، سبقت الإشارة إليها. فقد حرص النبي الأمي صلى الله عليه وسلم على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم. ومن الأمثلة التي تشير إلى اهتمامه عليه الصلاة والسلام بتعليم أمته، ما أوردته كتب السيرة عن تعامله مع أسرى غزوة بدر؛ إذ أمر كل متعلم منهم ممن لم يجدوا فدية، أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة لقاء إطلاق سراحه. روى ابن سعد عن الشعبي قال: "كان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة؛ يعلمهم فإذا حذقوا فهم فداؤه، وكان زيد بن ثابت ممن علم"[1].

لم يكن الرقي الحضاري والازدهار الثقافي الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في تاريخها، إلا نتاجا للجهود التي بذلها المسلمون منذ عهد النبوة في سبيل العلم، حيث شجعوا على طلبه ويسروا السبل لأهله. ومن مظاهر هذا الاهتمام، إنشاء المؤسسات التعليمية والإنفاق عليها؛ إذ استمرت هذه المؤسسات في أداء وظيفتها إلى اليوم، ومنها:

**المبحث الأول: الكتاب:**

يعد الكتاب من أقدم المؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية. فكان المحطة التعليمية الأولى التي يقصدها الأطفال. وجد منذ عهد الرسول صلى الله عله وسلم، ومن الشواهد على ذلك ما أورده البخاري في صحيحه عندما قال: "لما احتاجت أم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من يعاونها في نفش الصوف، بعثت إلى معلم الكتاب: ابعث إلي غلمانا

[1] – محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق إبراهيم الترزي وعبد الكريم العزبادي، مطابع الأهرام بكورنيش النيل، القاهرة، 1997، ج4، ص ص104 – 105.

ينفشون صوفا، ولا تبعث إلي حرا"[1]. و كان الهدف من إنشاء الكتاتيب هو تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم.

– **تعريف الكتاب:** تباينت التعاريف اللغوية للكتاب، حيث عرفه اللغويون على أنه موضع التعليم. فقد جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي أن: "الكتاب كمقعد: موضع التعليم، وقول الجوهري: الكتاب والمكتب واحد، غلط، وجمعه كتاتيب"[2]. أما صاحب محيط المحيط، فأورد التعريف التالي: "الكتاب جمع الكاتب وموضع التعليم، والجمع كتاتيب، والمكتب موضع التعليم وجمعها مكاتب"[3].

لم يختلف تعريف ابن منظور عن تعاريف سابقيه، حيث قال: "المكتب موضع الكتاب، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب"[4].

يبدو أن اللغويين قد اتفقوا على أن المكتب هو موضع التعليم، بينما اختلفوا حول الكتاب، فاعتبره بعضهم موضع التعليم ومرادفا للمكتب، والبعض الآخر قال أن الكتاب هم الأطفال الذين يتعلمون في المكتب. وعموما فإن الكتاب هو مكان للتعليم الأولي، كان يقام غالبا

---

[1] – البخاري(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2002، ص1709.

[2] – الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005، ص ص128 – 129.

[3] – البستاني(بطرس بن سليمان حسن)، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص769.

[4] – ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي)، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، دت، ج10، ص679.

بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وشيء من علوم الشريعة والعربية والتاريخ والرياضيات، وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم[1].

**– ظهور الكتاتيب وانتشارها:**

إذا كانت الكتاتيب قد انتشرت بكل الأصقاع التي دخلها الإسلام باعتبارها مؤسسة تربوية وتعليمية، فإنها لم تظهر ببلاد المغرب إلا مع النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، وذلك بعد بناء القيروان على يد عقبة بن نافع سنة 50هـ، وبداية استقرار المسلمين في المنطقة. كانت هذه المؤسسة التعليمية في بادئ الأمر جزءا من المسجد، لكن سرعان ما تحولت إلى بناية مستقلة عنه، تقام بجواره أو بعيدة عنه أحيانا؛ وهذا عندما تحفظ بعض الفقهاء على تعليم الصبيان في المسجد، لما يصدر عنهم من تشويش على المصلين، ولعدم احترازهم من النجاسة. سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: "لا أرى ذلك يجوز، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم"[2].

أما ظهور الكتاب بالمغرب الأوسط، فكان مباشرة بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، بغرض تعليم الأطفال وعامة الناس القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية، وتعريفهم بتعاليم الدين الجديد. ولا يخلو عهد من العهود التي مرت بها المنطقة إلا وكان فيها للكتاب دور في الحركة التعليمية؛ إذ كانت هذه المؤسسة المحضن التعليمي الأول للصبي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، سواء بالمناطق الخاضعة للعبيديين، أو تلك التي كانت تحت النفوذ الإباضي، حيث يتلقى المتعلم فيه المبادئ الأولى للعلوم، وتختتم

[1] – مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص206.

[2] – أبو الحسن علي القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986، ص145.

هذه المرحلة بحفظ القرآن الكريم، ومنه الانتقال إلى مستوى أعلى ممثلا في التعليم المسجدي[1].

ظلت الكتاتيب قائمة تؤدي دورها التربوي والتعليمي عند الحماديين خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو ما أشار إليه عبد الحليم عويس بقوله: "كانت الكتاتيب أشهر أنواع التعليم الابتدائي...وكانت القلعة عامرة بهذه الكتاتيب التي تعلم الصبيان"[2]. ويضيف عبد العزيز فيلالي قوله: "اعتنى بنو حماد بالعاصمة الجديدة...وشيدوا بها المؤسسات التربوية والعلمية من كتاتيب ومساجد ومعاهد"[3].

احتفظ المرابطون بهذه المؤسسة التعليمية، إذ نصادف في تراجم العديد من أعلام العهد المرابطي عبارات تدل على وجود الكتاتيب، من أمثلتها ما ذكره الرعيني في برنامج شيوخه، حيث قال معرفا بأحد من قرأ عليهم: "هو أبو علي عمر بن أحمد بن عمر بن موسى الأنصاري المعروف بالزبار، معلمي في المكتب...قرأت عليه القرآن برواية ورش، ختمات لا أحصيها تدريسا وتجويدا"[4]. والملاحظ أيضا أن بلاد المغرب والأندلس شهدت نهضة ثقافية عند قيام الدولة المرابطية، بفضل الدور الذي قام به زعيمها الروحي عبد الله بن ياسين، كمعلم في الصحراء، حتى أشاع جوا من العلم والمعرفة.

---

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص363 – 364.

[2] – عبد الحليم عويس، دولة بني حماد...، المرجع السابق، ص 253.

[3] – عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص79.

[4] – الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ص7.

زاد الاهتمام بالكتاب أيام الحكم الموحدي، خاصة في عهد عبد المؤمن بن علي، إدراكا منه بأنها المنطلق لتعليم القرآن، وما يراه ضروريا من العلوم، فانتشرت على نطاق واسع عبر أرجاء مملكته[1].

لم يتخل الزيانيون عن هذه المؤسسة التعليمية عند تأسيس دولتهم في النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بل أحاطوها بالرعاية والاهتمام، ولا أدل على ذلك من تردد السلطان يغمراسن بن زيان على كتاب مرسى الطلبة[2] بتلمسان، رغبة منه في لقاء أبي عبد الله بن مرزوق، الذي كان يعلم القرآن للأطفال والغلمان[3].

**- وسائل الكتاب ومستلزماته:**

نظرا لبساطة الكتاب، فان وجود هذه المؤسسة التعليمية لم يكن يتطلب إمكانيات مادية كبيرة. فكانت في المناطق الصحراوية مجرد خيمة متواضعة مصنوعة من الوبر، ينقلها البدو الرحل أينما ارتحلوا. أما في القرى والمدن، فكانت متعددة الأشكال، إذ نجدها أحيانا متصلة بالمسجد، وأحيانا أخرى منتشرة داخل الأحياء[4]. ولم يكن أثاثها فاخرا، وإنما بسيطا، تمثل في حصير مصنوع من الحلفاء أو الدوم، وألواح خشبية، وأقلام من القصب، وقطع من الصلصال، ودواة من الصمغ والصوف، وجرار للماء، وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة من المصاحف وكتب النحو والصرف والسير[5]. وكان الكتاب في الغالب غرفة واحدة مفروشة

---

[1] – صفية ديب، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 – 7هـ / 12 – 13م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 230.

[2] – هو أحد الكتاتيب الموجودة بدرب مرسى الطلبة بتلمسان العليا (تاقرارت). ينظر: محمد بن مرزوق الخطيب، المجموع، المصدر السابق، ورقة 12.

[3] – نفسه، ورقة 12.

[4]– مصطفى زايد، من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة الثقافة، العدد93، الجزائر، 1986، ص 118 .

[5]– محمد النسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، دت، ص 19 .

بحصير يجلس عليها الصبيان في شكل حلقة حول معلمهم[1]. والملفت للانتباه، أن أهل المغرب الأوسط، لم يهتموا بزخرفة الكتاتيب، بل تركوها على بساطتها، باستثناء بعض التحسينات الهندسية التي طرأت على هندستها خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي في ظل حكم بني عبد الواد؛ إذ أصبحت عبارة عن قاعات واسعة مزودة بمدرجات أو مصطبات تستعمل كمقاعد لجلوس الأطفال[2].

**- معلمو الكتاب:**

يتولى التعليم في الكتاب المعلم أو المؤدب، الذي ينبغي أن تتوفر فيه شروط معرفية أبرزها حفظ القرآن الكريم، ومعرفة أمور الدين، والإلمام ببعض العلوم والفنون. كما توجب أن يكون صاحب أخلاق عالية، فهو يفيد تلامذته بعلمه مثلما يفيدهم بأدبه، كما أنه قدوة لهم؛ إذ يتأثرون بأخلاقه. لهذا شدد الفقهاء على ضرورة استقامته وحسن سلوكه وعفته وطيبته وقدرته على العطاء. فمن واجبه أن يفيد الصبيان ويصبر عليهم، ويراعي قدراتهم العقلية عند مخاطبتهم[3]. وإدراكا منه لما للمعلم من تأثير في تلامذته، أوصى أبو إسحاق الجبنياني (ت 379هـ)[4]، أولياء الصبيان بمن يجب أن يسندوا إليه تعليم أبناءهم، حيث قال: "لا تعلموا أولادكم إلا عند رجل حسن الدين، لأن دين الصبي على دين معلمه"[5]. وقد كان البعض

---

[1]- خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 228 .

[2] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 345.

[3] - محمد بن سحنون، آداب المعلمين، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ط2، 1972، ص 47.

[4] - هو أحد معلمي الكتاب، كان عالما بالقرآن وإعرابه، وناسخه ومنسوخه. ينظر : الداودي(شمس الدين محمد بن علي أحمد)، طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج1، ص 76.

[5] - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 47.

يرفض تعليم الأطفال عند الأعزب[1]. وأضاف القابسي في شأن الصفات الواجب توفرها في المعلم، فقال: "ينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا في عنف، لا يكون عبوسا مغضبا، ولا مبسطا، مرفقا بالصبيان دون لين، وينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم"[2]. كما حذر مالك بن أنس من خطورة عدم عدل المعلم بين تلامذته، حيث قال: "أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين"[3]. وقد أنكر على المعلمين تسخير الصبيان لخدمتهم وقضاء حوائجهم، لأنهم ودائع يتوجب صونها لا استغلالها. وللقيام بالواجب، كان المعلم في الكتاب يستعين أحيانا بالعريف الذي يشترط فيه حفظ القرآن الكريم، فيساعده خصوصا لما يكثر عدد الصبيان[4].

لم يكن للمعلمين حظ وافر من الرزق خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لأن التعليم كان شعبيا ليس للدولة مسؤولية فيه، بل كانت مسؤوليته على الأفراد الذين كان لهم اتصال مباشر مع المعلمين لتعليم أبنائهم. ونظرا لتفرغ المعلمين للتدريس، أجاز بعض الفقهاء أمثال سعيد العقباني أجرتهم. وكان المعلم يتعاقد مع الأولياء حول شروط وكيفية دفع الأجرة، بل كان بعضهم يتولى دفع ثمن تأجير محل التدريس **(الملحق04)**[5].

---

[1] – المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 35. ابن عبدون(أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الإشبيلي)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 25.

[2] – محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 47.

[3] – نفسه، ص ص84 – 85.

[4] – محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، مصر، 1987، ص 207.

[5] – أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، دت، ص 282.

**- تلاميذ الكتاب:**

إيمانا منهم بأن تعليم الأبناء يعد واجبا شرعيا، كان الأولياء بمختلف حواضر المغرب الأوسط وقراه، شأنهم شأن نظرائهم في مختلف الأقطار الإسلامية، يوجهون أطفالهم إلى الكتاب لتلقي تعليمهم الأولي. ولم تشر المصادر إلى وجود سن محددة للالتحاق بهذه المؤسسة التعليمية، ولا لعدد السنين التي يقضيها الصبيان فيها، بل كان الأمر متروكا لتقدير أولياء الصبيان، فإن لمسوا عند أبنائهم تمييزا وإدراكا، دفعوا بهم إلى الكتاب. يقول أبو بكر بن عربي في ذلك: "وللقوم في التعليم سيرة بديعة، وهو أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب"[1]. لكن يبدو أنها كانت في الغالب بين الخامسة والسابعة، تبعا لاختلاف نضج الصبيان[2].

سن إنهاء الدراسة بالكتاب لم تكن محددة أيضا، لكنها كانت قبل الاحتلام إلا نادرا؛ إذ كان الصبي يقضي حوالي خمس سنوات بالكتاب، وهي المدة الكافية لختم القرآن الكريم، وبهذا كان جل الدارسين يغادر هذه المؤسسة التعليمية في سن الثانية عشر على أكثر تقدير. أما المتأخرون منهم فكان يدركهم سن الاحتلام قبل الختمة؛ الأمر الذي أوجب على المعلمين ضرورة الاحتراس إذا كان من بين الصبيان من ناهز البلوغ خشية تجرئهم على الفساد[3].

ومثلما توجب على المعلم توفره على جملة من الشروط تؤهله للجلوس للتعليم، وحتى يستفيد الطفل من علم وأخلاق معلمه، كان لا بد له الالتزام ببعض الضوابط. يقول صاحب قراءات في التربية الإسلامية في هذا الشأن:" وجب عليه الجلوس بين يديه جلسة أدب، متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع، ويصغي وينظر إليه، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة، ولا يسر عن ذراعيه، ولا يعبث بيديه أو رجليه، ولا يضع يديه على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه، ولا يفتح فاه ولا يقرع

---

[1] – أبو بكر ابن عربي، كتاب أحكام القرآن، مطبعة السعادة، القاهرة، ج2، ص 291.

[2] – أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 60.

[3] – نفسه، ص ص 60 – 61.

سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيده ولا يعبث بأزراره، ولا يسند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة، ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره، ولا يكثر كلامه من غير حاجة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب، ولا يضحك لغير عجب، ولا يضحك دون الشيخ، فإن غلبه تبسم تبسما"[1].

**- طريقة التدريس بالكتاب:**

جرت العادة أن يتوجه الصبيان إلى الكتاب في الصباح الباكر، فيجدون معلمهم جالسا في المكان المخصص له، مسندا ظهره إلى الجدار، حاملا بيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ، تسمى الفلقة. يجلس التلاميذ حول معلمهم يمينا ويسارا على حصير مصنوع من الحلفاء أو السمار، وبأيديهم أقلام من قصب ودواة، ويسجلون على ألواحهم الخشبية ما يمليه عليهم من آيات القرآن؛ إذ يخصص الوجه الأول من اللوحة لدرس الأمس، والوجه الثاني لدرس اليوم. يشرع الصبيان في الحفظ، فترتفع أصواتهم وتختلط لاختلاف ما يحفظونه[2]. وكان الطفل إذا حفظ واستظهر ما حفظه من القرآن الكريم على معلمه، جاز له أن يمحوه بيده باستعمال ماء طاهر، ولا يجوز له استعمال أرجله في ذلك؛ حيث يقول الإمام مالك في هذا الشأن: "إذا محت صبية الكتاب تنزيل من رب العالمين من ألواحهم بأرجلهم، نبذ المعلم إسلامه وراء ظهره، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه"[3].

وحرصا من معلم الكتاب على هذا الأمر، يضيف الإمام مالك قائلا: "كان المؤدب له إجانة[4]، وكل صبي يأتي كل يوم بتوبته ماء طاهرا، فيصبونه فيها، فيمحون به ألواحهم، ثم

---

[1]- ناصر بن سعد الرشيد، قراءات في التربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية ، تونس، 1985، ص ص 88-89 .

[2] - محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص 205.

[3]- محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص ص 74-75.

[4] - الإجانة: هي إناء مصنوع من الفخار، يوضع فيه الماء ومختلف السوائل الأخرى. ينظر: محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 75.

يحفرون حفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فينشف"[1]. هذه هي الطريقة التي كانت متبعة في محو القرآن الكريم من الألواح منذ عهد الخلفاء الراشدين رضي اللّه عنهم. ويبدو أنها ظلت سارية بالبلاد المفتوحة ومنها المغرب الأوسط، ما دام أن الفاتحين هم الذين تولوا تعليم القرآن في الأقاليم الإسلامية الجديدة في بداية عهدها بالإسلام.

أما عن البرنامج اليومي للدراسة بالكتاب، فكانت بدايته قيام المعلم بإملاء آيات من القرآن الكريم على صغار التلاميذ بصورة فردية لاختلاف مستوى الحفظ، فيسجلونها على ألواحهم. في حين يتولى التلاميذ الكبار الكتابة على ألواحهم بالاعتماد على المصحف، وكثيرا ما كانوا يساعدون المعلم في تعليم المبتدئين. تبدأ عملية الحفظ التي تستمر إلى الضحى، ثم يتم الانتقال إلى تعلم الكتابة إلى غاية الظهر، وحينها ينصرف التلاميذ إلى بيوتهم لتناول الغذاء لتواضع الكتاب وعدم توفره على مرافق الإطعام؛ ليعودوا مساء لتعلم النحو والحساب وأيام العرب وتاريخهم[2].

إدراكا من الفقهاء المسلمين لأهمية الراحة عند الصبي وحاجته للعب، خصصوا يوم الجمعة من كل أسبوع لهذا الغرض، بالإضافة إلى عطل الأعياد[3]. فكان التوقف عن الدراسة يصل إلى ثلاثة أيام في عيد الفطر وخمسة أيام في عيد الأضحى، إضافة إلى يوم الختمة، وما عدا ذلك لا يجوز إلا بإذن الأولياء[4].

---

[1]– محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص75.

[2] – محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص 205.

[3] – بالإضافة إلى عيدي الفطر والأضحى الذين يحتفل بهما عامة المسلمين، تنوعت الأعياد بتنوع مذاهب الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأوسط، مثل تلك التي تخص العبيديين، كالاحتفال بيوم عاشوراء، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن والحسين، ومولد فاطمة رضي الله عنهم جميعا، ومولد الخليفة الحاضر. ينظر: بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 367 – 368.

[4] – القابسي(أبو الحسن علي)، المصدر السابق، ص 136.

**- العقاب :**

كل بني آدم خطاء، لهذا وجد في شريعة الإسلام الحساب، الذي يفضي إلى ثواب أو عقاب. فقد أجاز الفقهاء في الكتاب، معاقبة الصبي إذا قصر وأساء الآداب، على أن يتدرج المعلم في العقاب، فيبدأ بالإنذار والتوبيخ والعتاب، ثم التشهير، فالضرب الخفيف دون إلحاق الأذى بالأجساد، ولا تزيد العقوبة عن عشرة أسواط مهما كانت الأسباب[1]. يقول صلى اللّه عليه وسلم: "لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلاّ في حد"[2]. وقد أورد الأهواني مبادئ العقاب وتدرجها في الإسلام فقال: "هي على الترتيب: النصح والإرشاد، ثم التأنيب على انفراد، ثم التقريع على رؤوس الأشهاد، ثم الضرب آخر الأمر..."[3].

نستنتج مما سبق أن العقاب نوعان: روحي وبدني ؛ فإذا أذنب الصبي يتعرض في البداية إلى العقاب الروحي الذي يشمل اللوم والعتاب على انفراد بعد النصح والإرشاد، فإن لم يجد ذلك نفعا، يعاقب بالضرب دون المبالغة في ذلك.

وعلى الرغم من إجازة الفقهاء للتأديب بالضرب، إلا أنهم أحاطوا ذلك بسياج من الشروط حتى لا يخرج عن معناه، أبرزها:

- ألا ينبغي للمعلم اللجوء إلى الضرب إلا عن ذنب.
- أن يكون الضرب بحسب طبيعة المخالفة.
- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، على أن يستأذن ولي الصبي في الزيادة إلى عشر ضربات.
- أن يزيد الضرب عن عشر إذا كان الصبي يقارب الاحتلام، سيء الرعية، غليظ الخلق، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه.
- لا يتعدى ألم الضرب إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر.

---

[1]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 377.

[2]- رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي. ينظر: محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 76 .

[3] - أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 15.

– أن يكون مكان الضرب الرجلين لأنه أحمد وآمن، ويتجنب الرأس والوجه.

– تكون وسيلة الضرب الدرة أو الفلقة ذات العود الرطب المأمون.

– الحرص على أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد منهم، تجنبا للحمية والمنازعة[1].

لا أرى للعقاب نفعا إن كان لأتفه الأسباب. فقد يكون المعلم سببا فيما يصدر عن الصبيان إن هو انشغل بأمور أخرى غير المهمة الأساسية الموكلة إليه.

وإذا كان البعض لا يرى لزوم الضرب أمثال الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي نهى المؤدبين عن ضرب الصبيان، بل وصل به الأمر إلى وصفهم بسوء الخلق وفساد القلب[2]، فإن هناك من لا يعارض عقوبة الضرب إذا كانت في مصلحة الصبي ولغرض تأديبه، حيث يستند المغراوي إلى بيت لأحد الشعراء يقول فيه:

لا تندمن على الصبيان إذا ضربوا  فالضرب يبرأ ويبقى العلم والأدب[3].

وقد أيد بعض الحكماء تأديب الأطفال بالضرب؛ إذ يقول أحدهم: "من أدب ولده صغيرا، قرت به عينه كبيرا". ويقول آخر: "من أراد أن يغيض عدوه، فلا يرفع العصا عن ولده". وجاء في المثل: "من حيث تخرج الدمعة، تدخل الصنعة"[4].

يبدو أن للضرب جدواه وأثره في تقويم سلوك المتعلم، على أن يكون آخر ما يلجأ إليه، بعد النصح والتوجيه ثم اللوم والعتاب.

---

[1] – أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 156.

[2] – الملالي(محمد بن محمد بن إبراهيم)، المذاهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط، دار الكتب الوطنية، تونس، رقم 6253، ورقة 144/ب.

[3] – المغراوي، المصدر السابق، ص 41.

[4] – نفسه، الصفحة نفسها.

وقد حدد عدد الضربات حسب طبيعة الذنب، فتكون ثلاثة أسواط على الحفظ، وسبعة على السب، وعشرة على اللعب والهروب من الكتاب. ولا تزيد عن ذلك إلا بإذن من ولي الصبي[1].

لم يقتصر العقاب على الصبي، بل تعداه إلى المعلم إن هو قصر في واجباته. فهو مسؤول عن النتائج النهائية للصبيان. فإن ثبت فشله، يؤنبه الإمام، وقد يحرمه من أخذ أجرته، بل تصل العقوبة أحيانا إلى طرده نهائيا من التعليم إذا كان لا يصلح له[2].

**- تعليم المرأة بالكتاب :**

لم يقتصر التعليم بكتاتيب المغرب الأوسط على الذكور فقط، بل كان للإناث أيضا حظ فيه، لأن الإسلام جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. إلا أن عددهن كان قليلا مقارنة بعدد الذكور. وكثيرا ما كانت الإناث تتوقفن عن الدراسة، لتتحملن أشغال البيت من تنظيف وطهي وغيرها؛ وهذا هو حال السواد الأعظم منهن. أما بنات الحكام والفقهاء والعلماء، فكان يسمح لهن بالتعلم في بيوتهن بحضور مدرسين خصوصيين[3].

والملاحظ أن الفقهاء لم يعارضوا تعليم المرأة، إلا أنهم اشترطوا عدم اختلاطها مع الذكور. يقول القابسي في هذا الشأن: "من صلاحهن ومن حسن النظر لهن ألا يخلط بين الذكران والإناث"[4]. ويردف ابن سحنون قائلا: "أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن"[5].

كان تعليم الإناث في الغالب لا يتعدى المرحلة الأولى التي تتم في الكتاب. ولعل من الأسباب التي حالت دون مواصلة المرأة لمشوارها التعليمي، هي الصعوبات التي كانت تواجه

---

[1]- محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 76.

[2]- نفسه، ص 93.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 355 .

[4]- محمد الأهواني، المرجع السابق، ص 158.

[5]- محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 89.

طلبة العلم آنذاك، كالرحلة في طلب العلم عبر حواضر البلاد الإسلامية وما يترتب عنها من مصاعب، يستعصى أحيانا على الرجل تحملها.

ونظرا لقلة فرص تعليم المرأة، لم يظهر منهن في حقل المعرفة بالمغرب الأوسط إلا نزر قليل أمثال: فاطمة بنت العالم أبي زيد النجار، وزوجة أبي عبد اللّه محمد بن مرزوق[1].

كانت الكتاتيب نقطة الانطلاق للحضارة الإسلامية، حيث كانت تعد الأجيال الناشئة لمواصلة الدراسة والبحث والتخصص العلمي الدقيق، بعد أن تزودهم بمبادئ التحصيل، وتصقل مواهبهم، وتنمي ثقافاتهم وعلومهم وسلوكهم الاجتماعي، وتعزز معارفهم وقاعدتهم الذهنية؛ ليصبحوا فيما بعد قادة الفكر والعلم والتربية.

واستمرت تلك الكتاتيب تستمد الرعاية والعناية من الخلفاء والحكام والأثرياء المحسنين والعلماء العاملين، فأنبتت في كثير من الأحيان نباتًا صالحًا، أينع ثماره في مشاهير الحكام والقادة والعلماء والحكماء والفقهاء الذين قادوا المجتمعات الإسلامية نحو المجد والسؤدد.

**ثانيا– المسجد:**

يعد المسجد أحد المؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية. وأول مسجد تم بناؤه هو مسجد قباء الذي نزل في شأنه قوله تعالى: "لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ"[2].

**– تعريف المسجد:**

المسجد لغة هو البيت الذي يسجد فيه. أما اصطلاحا فهو اسم لمكان الصلاة. والسجود فعل من أفعال الصلاة، لهذا أطلق اسم المسجد على المكان الذي تؤدى فيه الصلوات. وهذه الوظيفة تميزه عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى. ولا فرق بين المسجد والجامع إلا من

[1]– محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص89.

[2] – سورة التوبة، الآية 108.

حيث الحجم، فاسم الجامع يطلق على المسجد الكبير. وإن اختلفت التسمية، فالوظيفة تبقى واحدة[1].

**- وظائف المسجد:**

لم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة، بل تعدته إلى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية. فبالإضافة إلى كونه مكان لأداء الشعائر الدينية، كانت تعقد فيه منذ نشأته حلقات لتعليم الناشئة، ودراسة القرآن، وإصدار الفتاوى، والفصل في الخصومات، وتصريف شؤون الدولة قبل إنشاء المرافق المخصصة لذلك. كما كان المسجد منبرا إعلاميا لإذاعة الأخبار الهامة، وفيه تتم مبايعة الخليفة، الذي يلقي خطبته الأولى المتضمنة لنهجه السياسي من على منبره[2].

**- ظهور المساجد وانتشارها:**

لقد تزامن ظهور المسجد بظهور الإسلام، وكان أول عمل قام به الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بناء المسجد؛ لتنتشر المساجد بعد ذلك في كل أرض اعتنق أهلها الإسلام، لكون المسجد مكان للعبادة وطلب العلم وتدارس أمور المسلمين[3]. يقول أبو القاسم سعد اللّه مبينا أهميته: "المسجد منشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب..."[4].

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص ص 188 - 189.

[2] - محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص ص 199 - 200.

[3]- رابح تركي، دراسات في التربية الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1987، ط2، ص ص 88 - 90.

[4]- أبو القاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998ج3، ص 244.

المغرب الأوسط كغيره من الربوع الإسلامية الأخرى، عرف انتشارا لهذه المؤسسة التعليمية والدينية منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، السابع الميلادي.

**- الدور التعليمي لمساجد المغرب الأوسط:**

لم تقتصر وظيفة المسجد على أنه مكان لأداء الشعائر الدينية، بل كان له منذ نشأته دور في التربية والتعليم؛ مما جعله أكثر المؤسسات شأنا عند المسلمين، حيث كانت تقام به حلقات الدرس منذ ظهوره. فقد تحول بمرور الزمن إلى جامعة بالمفهوم الحالي، وتخرجت منه أجيال من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء، ونبغت في شتى العلوم والفنون[1]. فكان الطلبة فيه يتحلقون حول العلماء للانتفاع بما يلقونه عليهم من علوم وآداب. واستمر المسجد في هذه الوظيفة عبر العصور. ولم تشذ مساجد المغرب الأوسط عن ذلك.

و الدراسة في المسجد تبدأ بعد إنهاء الدراسة بالكتاب، حيث يواصل الطلبة دراسة مختلف العلوم، لكن بمزيد من التعمق والتفصيل بمساعدة أساتذة متخصصين[2].

يتم هذا في المساجد المشهورة بالحواضر الكبرى، وكان للطالب الحق في اختيار أساتذته، ولم يكن مقيدا بمقررات دراسية، بل كان حرا في اختيار المواد التي يرغب في دراستها حسب ميولاته وقدراته الفكرية. فقد كان أبو عبد الله الشريف التلمساني يقول لطلبته: "من رزق في باب فليلازمه"[3].

لقد ساهمت مساجد المغرب الأوسط عبر العصور، على غرار مساجد البلاد الإسلامية في تطوير الحركة التعليمية، حيث تخرج منها علماء كثر ذاع صيتهم وتعدت شهرتهم الآفاق.

---

[1]- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 4 – 5.

[2]- الأخضر عبدلي، مملكة تلمسان في عهد بني زيان، أطروحة شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، تونس، 1986، ص 194.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 347.

وفيما يلي نماذج لأهم المساجد بالمنطقة:

**أولا: مساجد حاضرة تلمسان :**

نالت تلمسان شهرة كبيرة كغيرها من الحواضر الكبرى بالمغرب الأوسط، وذلك بفضل مساجدها وجوامعها التي استقطبت اهتمام الكثير من الطلاب والعلماء. ومن أشهر مساجدها مايلي:

– مسجد أغادير: يعود بناء هذا المسجد إلى ما قبل استيلاء الأدارسة على تلمسان في عهد إدريس الأكبر سنة 174هـ / 790م. ثم أعيد ترميمه عدة مرات في عهد إدريس الأول ( 172–177هـ ) وابنه إدريس الثاني ( 177– 213هـ )، حيث وسعوه وأضافوا إليه المنبر والمحراب[1].

كما حظي هذا الجامع بعناية السلطان يغمراسن بن زيان، الذي بنى له المئذنة **(الملحق رقم 06)** في القرن السابع الهجري، وكان يصلي فيه أحيانا[2]. وكان هذا المسجد مقصد الكثير من الناس بما فيهم الفقهاء والعلماء، خاصة لأداء صلاة الجمعة، ومنهم: أبو عبد اللّه محمد بن مرزوق الجد(ت 681هـ) والشيخ الحسن بن مخلوف أبركان (ت899هـ)[3].

لم يبق من هذا المسجد إلا مئذنته الرائعة، بعد أن أقدمت السلطات الاستدمارية الفرنسية على هدمه سنة 1845م[4].

– الجامع الأعظم بتاجرارت: يعد واحدا من أهم معالم الفن الإسلامي بالمغرب الأوسط. شيد بقلب المدينة غرب قلعة المشور في عهد المرابطين، على يد يوسف بن تاشفين سنة 473هـ/

---

[1]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 21 – ص 50.

[2]– التنسي، المصدر السابق، ص 123. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 207.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 109.

[4]– محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 30.

1080م[1]. ثم تم ترميمه على يد ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ/1135م[2]. وقد انفرد هذا المسجد بمسحة معمارية أندلسية وفنون قرطبية، تظهر بجلاء في لوحتي الرخام بواجهة المحراب، وفي البلاط والسقف الخشبي، ربما لمشاركة الأندلسيين في ترميمه[3].

لقد ترك يغمراسن بن زيان بصمته في هذا الجامع، حيث أضاف له القسم الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن، ثم المئذنة التي رفض أن يكتب عليها اسمه لورعه وتقواه[4]. كما زوده بثريا عملاقة تناسب حجمه، وصفها صاحب تحفة الناظر، وأشار إلى عدم وجود نظيرتها لا في المشرق ولا في المغرب[5]. ودفن فيه بعد وفاته بمحاذاة المحراب وقاعة الصلاة. وما يزال هذا المعلم التاريخي قائما محافظا على جمال فنه المعماري، يواصل رسالته التربوية والدينية، على الرغم من إقدام المستدمر الفرنسي على التضييق عليه باقتطاع الكثير من المساحات المحيطة به **(الملحق رقم 07)**[6].

لم يقتصر اهتمام يغمراسن على ترميم وتوسيع المسجد فقط، بل كان حريصا على أداء الصلوات وحضور الدروس التي تلقى فيه[7]. وكان هذا الجامع قبلة للطلاب، خاصة بعد أن استقدم إليه يغمراسن، الفقيه العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 147.

[2] – ( G ) Marçais et William, Les monuments arabes de Tlemcen, Fontemoing Paris, 1905 ,P 162 – P 169.

[3]– التنسي، المصدر السابق، ص 125. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 207. علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 2003، ص200.

[4] – (G ) Marçais, Les villes d’art célèbres, Tlemcen, édition du tell, Alger, 2003, P38.

[5] – صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، مطبعة جسور للطبع والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 143.

[6]– يحي بو عزيز، المساجد العتيقة...، المرجع السابق، ص ص 108 – 109.

[7]– خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 253.

(ت 680هـ / 1280م )[1]. وظل مركز إشعاع ديني وفكري طيلة العهد الزياني لما وجده من عناية من قبل سلاطين بني عبد الواد.

– الجامع الكبير بندرومة: يعود بناء هذا الجامع إلى القرن 5هـ / 11م، تزامنا مع بناء المسجد الكبير بتلمسان. وهو أحد المساجد الثلاثة التي بناها المرابطون بالمغرب الأوسط[2]. بني في عهد يوسف بن تاشفين المرابطي، وأصبح مقصد العلماء والفقهاء أمثال الشيخ: سيدي أحمد بن الحسن الغماري (ت 874هـ) [3]، الذي اتخذه مكانا للتعبد والخلوة بنفسه، خاصة في شهر رمضان، حيث كان يختم القرآن في كل ليلة[4]. والملاحظ أن هذا الجامع أصغر مساحة مقارنة بنظيريه في تلمسان والجزائر، لكن شكله يشبه كثيرا هذا الأخير[5]. أما مئذنته، فشيدت في العهد الزياني سنة 749هـ / 1348م[6].

– مسجد المشور: بني داخل قلعة المشور[7]، لكن اختلف في تاريخ بنائه، حيث يرى البعض أنه أسس سنة 517هـ/1123م على عهد علي بن يوسف بن تاشفين، في حين يرى آخرون أنه من المنجزات العمرانية لبني زيان سنة 717هـ / 1317م، أيام السلطان الزياني أبي حمو

---

[1]– يحي بن خلدون ،العبر...، المصدر السابق، ج1، ص 114.

[2]– نفسه، ص 49.

[3]– هو أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري، ندرومي الأصل، قضى حياته في القراءة والعبادة متنقلا بين بين مساجد تلمسان وضواحيها. توفي عام 874هـ / 1469م. ينظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 436.

[4]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 31–38.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، السنة2، العدد8، 1972، ص 115.

[6]– هذا ما تؤكده الكتابة الموجودة على يمين المدخل الرئيسي للمئذنة. ينظر: صالح بن قربة، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 86.

[7]– المشور: هو المكان الذي كان يعقد فيه أمراء بني زيان مجالسهم واجتماعاتهم للتشاور مع وزرائهم. اتخذه يغمراسن بن زيان مكانا لإقامته. ينظر: خالد بلعربي ، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص ص 246–247.

موسى الأول[1]. وقد خصص هذا المسجد للأمراء ورجال الدولة والأعيان لأداء صلاة الجمعة والصلوات الخمس[2].

– مسجد سيدي أبي الحسن **(الملحق رقم 08)**: شيد هذا المسجد سنة 696هـ/1296م، في عهد السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان(681 – 703هـ/1282 – 1303م)، تكريما وتخليدا لذكرى رحيل أخيه أبي عامر إبراهيم بن يغمراسن[3]. ولم تحمل هذه هذه التحفة المعمارية اسم مؤسسها، وإنما اسم أحد مشاهير علماء تلمسان، وهو الفقيه أبو الحسن بن يخلف التنسي( ت 703هـ )[4]، الذي استقر بتلمسان وذاع صيته بفضل الدروس التي كان يلقيها بهذا المسجد، وبذلك تفوقت شهرة العلماء على شهرة الأمراء[5].

لم تحافظ هذه المؤسسة الدينية والتعليمية على الوظائف السامية التي أنشئت من أجلها؛ إذ حولتها السلطات الفرنسية في بداية الاحتلال( 1830 – 1962م ) إلى مخزن للخمور، ثم مخزن للأعلاف، وبعدها مدرسة عربية فرنسية، وأخيرا إلى متحف، وهو الحال الذي ما تزال عليه حتى الآن[6].

---

[1] – يحي بوعزيز، المساجد العتيقة...، المرجع السابق، ص110.

[2] – Richarg (I ) Lawless, Tlemcen capitale de Maghreb central, analyse des fonctions d'une ville Islamique médiévale, Revue de l'occident Musulman et de la méditerranée, N° 20, 2ème semestre, Aix en Provençal, 1975, P 50.

[3] – Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, 2eme édition, S.N. E.D, Alger, 1983, P 171.

[4] –(Ch) Brosselard: "Inscriptions de Tlemcen III, Mosquée L'Hacen au Belahcen", Revue Africaine, N°21, 1860/166.

[5] – (G) Marçais, Les villes..., Op cit, P 46.

[6] –Rachid Bourouiba, Op cit, P 171.

لم يتوقف الاهتمام بالمساجد عند عهد مؤسس دولة بني عبد الواد، بل استمر ذلك من بعده، سواء من قبل الأمراء الزيانيين، أو أمراء بني مرين أيام اجتياحهم للمغرب الأوسط. ومن المساجد التي أنشئت بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ما يلي:

* مسجد أولاد الإمام **(الملحق رقم 09)**: أنشئ في وسط المدينة غير بعيد عن مسجدي أبي الحسن وإبراهيم المصمودي. تم ذلك سنة 710هـ / 1310م، في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول ( 707 – 718هـ /1307 – 1318م )، ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها من قبل للأخوين الفقيهين: أبو زيد عبد الرحمن (ت747هـ)، وأبو موسى عيسى (ت749هـ)[1]. وظل هذان العالمان يتناوبان على التدريس بين المسجد والمدرسة. وما ميز هذا المسجد بساطة بنائه وخلوه من الزخرفة التي تميزت بها مساجد أمراء بني زيان[2]. ولم يبق منه اليوم سوى القبة، وبعض القطع الأثرية بالمتحف البلدي لتلمسان[3].

– مسجد سيدي إبراهيم المصمودي: أسسه أبو حمو موسى الثاني ( 760–791هـ/ 1359–1382م ) إلى جانب القبة والزاوية والمدرسة التي بناها تكريما لوالده" أبو يعقوب "[4]. "[4]. كانت هذه المباني مجتمعة تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، قبل أن تندثر ويبقى منها المسجد والقبة فقط[5].

---

[1]– عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية....، المرجع السابق، ص 138.

[2]– محمد بو شقيف، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ / 15م، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003 – 2004، ص46.

[3]– رشيد بو رويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد4، الجزائر، 1975، ص 172.

[4]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 181–182.

[5]– رشيد بو رويبة، المرجع السابق، ص 176.

تظهر بهذا المسجد بصمات العمارة المرابطية والموحدية، حيث أن أبوابه شبيهة بأبواب مسجد تينملل بالمغرب الأقصى، ومئذنته مربعة القاعدة. أما قبته فتشبه القبة التي بناها المرابطون بحمام الصباغين بتلمسان[1]. وقد حمل اسم إبراهيم المصمودي[2]، نسبة إلى هذا العالم الجليل، وعرفانا بمكانته العلمية.

– مسجد سيدي أبي مدين بالعباد: هو أحد المساجد التي بناها المرينيون بالمغرب الأوسط. شيد بأمر من السلطان أبي الحسن المريني سنة 739هـ / 1339م، عند استيلائه على تلمسان؛ وهذا ما تؤكده اللوحة التي ما تزال موجودة فيه، مكتوب عليها: "الحمد للّه وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد اللّه علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده اللّه ونصره، عام تسعة وثلاثين وسبعمائة، نفعهم اللّه". وقد أخذ هذا المعلم اسم العالم الصوفي "أبي مدين شعيب"، الذي دفن بالقرب منه[3].

يعبر هذا المسجد بحق عن مدى ما وصلت إليه العمارة الإسلامية من رقي، حيث يصفه صاحب المسند الصحيح بقوله: " وأما ما أنشأ بمدينة تلمسان ... جامع القصبة المشتمل على المحاسن التي لم يجمع مثلها في مثله، من وضعه وجمال شكله، وترتيب رواقاته، واعتدال صحنه، وحسن ستاره، ومعين مائه، واتساع رحابه، واحتفال ثرياته الفضية منها والصفرية ، وغرابة منبره ... ولاشك أن صومعته لا تلحق بها صومعة في مشارق الأرض ومغاربها ... "[4]. وما زال هذا المسجد قائما إلى اليوم.

---

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 176.

[2]– هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناس، ولد ونشأ بها، ثم طلب العلم بفاس عن العبدوسي والآبلي، وبتلمسان عن أبي عبد اللّه الشريف وسعيد العقباني. عرف بزهده. توفي عام 804هـ / 1401م، ودفن بروضة آل زيان بالضريح الذي شيد من أجل الأمراء، فاستأثر باسم الضريح والجامع دونهم. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق ص ص 64–66.

[3]– رشيد بو رويبة، المرجع السابق، ص 178.

[4]– ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص ص 402–403.

– مسجد سيدي الحلوي: هو ثاني مسجد مريني بالمغرب الأوسط، أمر ببنائه أبو عنان بن أبي الحسن المريني وذلك سنة 754هـ / 1353م[1]. وأخذ اسم سيدي الحلوي نسبة إلى القاضي الأندلسي أبو عبد اللّه الشوذي الإشبيلي، الملقب بالحلوي[2]. ويلاحظ وجود شبه كبير بين هذا المسجد ومسجد أبي مدين من حيث الهندسة والزخارف[3].

– مسجد سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي: يحتمل أن يكون قد بني حسب صاحب باقة السوسان، في عهد السلطان الزياني أبو العباس أحمد العاقل ( 834–866هـ/ 14–1462م)[4]، تكريما للشيخ أبي الحسن بن مخلوف الراشدي( ت 853هـ / 1453م )[5].

مسجد سيدي البناء: ينسب هذا المسجد إلى الشاعر الأديب العالم المحقق سيدي محمد بن البناء (ت ق 8هـ / 14م)[6]. أنشئ هذا المسجد حسب صاحب البستان في رحبة الزرع عند فندق المجاري[7]، ويشبه في هندسته جوامع تلمسان الكبرى[8].

– مسجد أبي عبد اللّه الشريف: يبدو أن هذا المسجد شيد بعد سنة 771هـ / 1370م، وذلك إكراما وإجلالا لفارس المنقول والمعقول، الشيخ أبو عبد اللّه الشريف، بعد وفاته[1].

---

[1]– هذا ما تؤكده اللوحة الموجودة بباب المسجد.

[2]– هو أبو عبد اللّه الشوذي الإشبيلي (ت 737هـ / 1337م). كان قاضيا بإشبيلية، ثم فر بنفسه من القضاء، ونزل بتلمسان في زي المجانين. وسمي بالحلوي لأنه كان يطوف في السوق وبيده طبق من عود فيه حلوى للصبيان. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 68–70. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 187–188.

[3]– محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 48.

[4]– محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 261.

[5]– هو الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان، كان عالما صالحا وقطبا في التصوف في تلمسان. أخذ عن إبراهيم المصمودي، وابن مرزوق الحفيد، وأخذ عنه الحافظ التنسي والشيخ السنوسي. توفي سنة 875هـ / 1453م. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 174.

[6]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 226.

[7]– نفسه، ص 275.

[8]– يحي بوعزيز ، المساجد...، المرجع السابق، ص 151.

– مسجد سيدي عبد الله بن منصور الحوتي: يقع هذا المسجد بقرية عين الحوت القريبة من مدينة تلمسان، وقد أخذ اسم هذا الولي الصالح صاحب الكرامات[2].

– مسجد سيدي بن زكري: نسبة إلى أحمد بن محمد بن زكري ( ت 899هـ / 1493م )[3]، الذي درّس بمساجد تلمسان، خاصة بهذا المسجد مدعما إياه بالكثير من الأحباس[4].

– مسجد القيصارية: هو من المساجد التي كانت قائمة في القرن 7هـ / 13م، حيث اشتهر بدروس علم التفسير التي كان يلقيها فيه الفقيه أبو إسحاق التنسي(ت 680هـ/1280م)[5].

– الجامع الأعظم بالمنصورة: بناه السلطان المريني أبو يعقوب بن يوسف الناصر سنة 702هـ/ 1302م[6]، وأتمه ولده أبو الحسن المريني سنة 744هـ / 1344م[7]. يعد من أكبر مساجد المغرب الأوسط مساحة (100م طولا و60م عرضا)، ولم يبق منه اليوم سوى صومعته الشامخة التي يبلغ ارتفاعها 38م[8].

هذه نماذج من مساجد تلمسان، وهناك أخرى أوردت أسماءها المصادر، دون أن نتمكن من الاطلاع على مدى مساهمتها في تنشيط الحركة التعليمية.

---

[1]– يحي بوعزيز، المساجد...، المرجع السابق، ص 169.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 135–139.

[3]– هو أحمد بن محمد بن زكري المازوني. نشأ بتلمسان. تعاطى الحياكة في صغره ليتمه وفقره، ثم التحق بالمسجد لطلب العلم بتشجيع من الشيخ ابن زاغو، فدرس عليه وعلى قاسم العقباني. كما درّس ابن مرزوق حفيد الحفيد. توفي سنة 899هـ / 1493م. ينظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 439.

[4]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 159.

[5]– خالد بلعربي، تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد يغمراسن بن زيان (633–681هـ/ 1235–1282م)، مجلة الحوار الفكري، السنة5، العدد7، الجزائر، 2005، ص 136.

7 – ( A ) Dhina, Op–cit, P 38. ( Ch ) Brosslard, Op–cit, P 321.

[7] – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو...، المرجع السابق، ص 63.

[8] – نفسه، ص 64.

**ثانيا: مساجد حاضرة بجاية :**

لم يختلف الأمر في بجاية عما كان عليه في تلمسان، حيث انتشرت المساجد عبر أحيائها وضواحيها أبرزها:

* الجامع الأعظم : يعود بناؤه إلى القرن 5هـ / 11م أيام الحماديين. وقد عبر العبدري عن إعجابه به خلال رحلته عندما مر ببجاية بقوله:" ... ولها جامع عجيب، منفرد في حسنه غريب، من الجوامع المشهورة، الموصفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع بين سحرها ونحرها، فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس"[1]. وأصبح هذا المسجد قبلة لطلاب العلم ، نظرا لشهرة علمائه أمثال: أبو إسحاق بن العرافة، الذي كان يدرس فيه علمي الدراية والرواية[2] .

* مسجد أبي زكريا الزواوي( ت 611هـ )[3]: يبدو أنه كان موجودا في القرن 6هـ / 12م، حيث كان أبو مدين شعيب( ت 594هـ ) كثير التردد عليه[4]. وقد ساهم بدوره في إثراء الحركة التعليمية، إلى جانب مساجد أخرى كمسجد المرجاني الواقع بحومة اللؤلؤة[5]، وجامع القصبة الذي درّس فيه أبو عبد اللّه محمد المعافري[6]، ومسجد النطاعين[7].

---

[1]– العبدري، رحلة العبدري، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة للنشر والتوزيع، ط2، 2005، ص ص 49 – 50.

[2]– الغبريني، المصدر السابق، ص 222.

[3]– هو أبو زكريا يحي بن أبي علي الزواوي، فقيه صالح، درس بقلعة بني حماد ثو رحل إلى المشرق لطلب العلم، ليعود ويستقر ببجاية إلى أن توفي بها سنة 611هـ. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص 135– 139.

[4]– الغبريني، المصدر السابق، ص 104.

[5]– نفسه، ص 59.

[6]– نفسه، ص 165.

[7]– نفسه، ص 161.

**ثالثا: مساجد مدينة الجزائر :**

أهمها الجامع الكبير الذي يرجح أن يعود بناؤه إلى عهد يوسف بن تاشفين المرابطي[1]. أما المئذنة فأنشئت في العهد الزياني سنة 722هـ / 1322م[2].

**رابعا: مساجد قسنطينة :**

أشهرها الجامع الكبير الذي بني سنة 530هـ ، في آخر العهد الحمادي، والذي لا يزال قائما حتى اليوم. ويعد من أكبر وأجمل جوامع المغرب الإسلامي[3]. وقد ذكره حسن الوزان عندما زار قسنطينة في القرن 10هـ / 16م بقوله: "... متحضرة – قسنطينة – ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير..."[4].

**خامسا: مساجد وهران :**

أهمها مسجد سيدي الهواري الذي يعود تاريخ إنشائه إلى القرن 8هـ / 14م ، وينسب إلى الشيخ سيدي محمد بن عمر الهواري ( ت 843هـ / 1439م )[5].

**سادسا: مساجد مستغانم:**

كثيرة أهمها : المسجد الكبير الذي بني في عهد أبي الحسن علي بن عثمان المريني عند استيلائه على مستغانم سنة 742هـ / 1341م[6].

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 30 – 59.

[2]– التنسي، المصدر السابق، ص 140.

[3]– نفسه، ص 52 .

[4]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 56.

[5]– كان وليا صالحا مثابرا على العلم والعمل. ولد سنة 751هـ / 1350م بضواحي مستغانم. درس بفاس بفاس وبجاية والمشرق، ثم نزل بوهران واستقر بها إلى غاية وفاته سنة 843هـ / 1439م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 228 – 236.

[6]– مولاي بن حميسي، في تاريخ جامع مستغانم العتيق، مجلة الأصالة، السنة 3، العدد 12، الجزائر، 1973.

لم تقتصر الحركة التعليمية على مساجد شمال المغرب الأوسط ، بل امتدت إلى مساجد الجنوب أيضا كمساجد وارجلان التي كانت مقرات للدرس، يلتقي فيها الطلاب بمدرسيهم[1]، فكانت مساجد المغرب الأوسط جميعها مقصدا للطلبة والعلماء على حد سواء إما للأخذ أو العطاء.

**المبحث الثالث: المدرسة:**

**أولا: تعريفه المدرسة:**

لغة تعني الموضع الذي يدرس فيه[2]. أما اصطلاحا، فهي مؤسسة رسمية، تتمثل في بناية مستقلة، أنشئت بإيعاز من الحاكم، وفق تخطيط محكم، يستجيب لوظائفها التربوية والاجتماعية، المتمثلة في التدريس وإيواء الطلبة...[3].

**ثانيا: نشأة المدرسة :**

مرت المؤسسة التعليمية عند المسلمين قبل ظهور المدارس بمرحلتين. تمثلت الأولى في المسجد الذي يجمع بين الوظيفتين الدينية والتعليمية. أما الثانية، فهي مؤسسة تجمع بين المسجد والرباط الذي يستعمل لإيواء الطلبة؛ لتظهر بعد ذلك المدرسة كمؤسسة نظامية ذات نظام تعليمي وإداري ومالي، مع مطلع القرن 5هـ / 11م ببلاد المشرق، قبل أن تنتشر في مختلف أنحاء العالم[4].

---

[1] – إلياس بن عمر حاج عيسى، مدينة وارجلان من ق4هـ/10م إلى ق10هـ/16م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007 – 2008، ص27.

[2]– ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص 79– 80.

[3]– صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص 139.

[4]– خوليا ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، دار الغرب للنشر، بيروت، 1981، ط2، ص ص 255 – 255 274.

**ثالثا: ظهور المدرسة وانتشارها:**

تعد المدرسة البيهقية [1]، أول مدرسة في الإسلام. أنشئت بمدينة نيسابور، في بداية القرن 5هـ / 11م[2]، في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك[3]، وذلك لتدريس الفقه الشافعي قبل أن يشتد التنافس بين المذاهب السنية الأربعة[4]. أما في بلاد المغرب، فظل النشاط التعليمي يزاول في الكتاتيب والمساجد إلى نهاية القرن 6هـ / 12م، حيث تشير المصادر إلى ظهور أول مدرسة سنة 593هـ / 1196م في سلا شمال الجامع الأعظم، في عهد يعقوب المنصور الموحدي (580-595هـ / 1184- 1198م)[5]، وتلتها المدرسة الشماعية [6]، التي أسسها السلطان الحفصي أبو زكرياء (ت647هـ / 1249م ) سنة 633هـ / 1235م، لترسيخ المذهب المالكي[7].

انتقل بناء المدارس بعد ذلك إلى المغرب الأقصى، حيث بنيت مدرسة الصفارين سنة 675هـ، في عهد الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني[8]. وبهذا يظهر تأخر ظهور المدارس بالمغرب الأوسط مقارنة بالمغربين الأدنى والأقصى.

---

[1]- نسبة إلى الإمام أبي بكر أحمد البيهقي( 384هـ / 458هـ)، المنحدر من بلدة بيهق في خراسان، وهو أحد أقطاب الحديث والفقه والأصول. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، المصدر السابق، ص 246.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 324.

[3]- هو أبو الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي ( ت 485هـ ) ، عني ببناء المدارس والمساجد ببغداد وغيرها. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص 143-144.

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 326.

[5]- الغبريني، المصدر السابق، ص ص 100-101.

[6]- القلصادي(أبو الحسن علي)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص 115.

[7]- مجاني بوبة، المدارس الحفصية – نظامها ومواردها –، مجلة العلوم الإنسانية، العدد12، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص ص 158-159.

[8]- محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 50.

كانت تلحق بالمدارس آنذاك مرافق ضرورية، كجناح الإقامة المخصص لإيواء الطلبة والفقراء وعابري السبيل، والمكتبة التي يستفيد الطلبة والأساتذة من كتبها المحبسة[1].

أما موارد المدارس، فكان مصدرها الأحباس التي يوقفها السلاطين والعلماء وميسوري الحال[2]، وتنفق على الطلبة المقيمين في المدرسة، ولدفع أجور الأساتذة والقائمين على شؤون شؤون المدرسة، إضافة إلى عمليات الصيانة والترميم[3]. كما كانت هذه المؤسسة التعليمية خاضعة لنظام الحسبة[4].

**رابعا: تأسيس المدارس بالمغرب الأوسط:**

كان المغرب الأوسط آخر من عرف المدرسة النظامية بعد الحفصيين والمرينيين، حيث اهتم سلاطين بني عبد الواد ببناء المدارس وتحبيس الأوقاف عليها[5]، وتفننوا في تخطيطها وزخرفتها، وزودوها بكل ما تتطلبه الحياة التعليمية؛ فاشتهر الكثير منها كمدارس تلمسان التي نوه بها حسن الوزان بقوله: "... وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس..."[6]. وقال عنها ابن الأحمر: "ويكفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشئت فيها في أيام تلك الأسرة الطويلة العمر"[7]. لكن هذه

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص 141.

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص 180.

[3]– محمد القبلي، النهضة والتراكم – قضية المدارس المرينية ملاحظات وتأملات –، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986، ص ص 61 – 62.

[4]– الحسبة: هي وظيفة المحتسب، تتمثل هنا في مراقبة سلامة بناء المدارس، والاطلاع على المناهج الدراسية، والظروف التي يتعلم فيها الطلبة. ينظر: موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ( نشأتها وتطورها )، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 71.

[5]– التنسي، المصدر السابق، ص 141 ص 180.

[6]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 19.

[7] – ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق وتقديم وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001، ص48.

المدارس جميعها، أنشئت بعد القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، نذكر منها: مدرسة ابنا الإمام التي أمر ببنائها أبو حمو موسى الأول(707 – 718هـ/1308 – 1318م)[1]، والمدرسة التاشفينية التي بناها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول(718 – 737هـ/1318 – 1337م)[2]، ومدرسة العباد التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني بعد استيلائه على تلمسان سنة 737هـ/1337م[3]، ومدرسة سيدي الحلوي التي يعود بناؤها إلى السلطان المريني أبو عنان فارس، لما غزا المغرب الأوسط سنة 754هـ/1454م[4]، والمدرسة اليعقوبية اليعقوبية التي أقامها السلطان أبو حمو موسى الثاني(760 – 791هـ/1358 – 1388م)، تخليدا لوالده أبو يعقوب[5]

**المبحث الرابع: الزاوية:**

– **التعريف اللغوي:** الزاوية في الأصل هي ركن البناء. أما لغة فهي مشتقة من الفعل انزوى، أي اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد[6]، ومنه الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن حياة العامة. ذلك أن جل الزوايا أقيمت في أماكن غير مأهولة. وزوى الشيء، أي جمعه وقبضه وطواه. وانزوى القوم إلى بعضهم، أي تدانوا وتقاربوا وتضامنوا.

---

[1] – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان...، المرجع السابق، ص138. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص142.

[2] – محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص128.

[3] – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص143. عبد العزيز لعرج، مدرسة العباد "نموذج للمدارس الإسلامية بالمغرب"، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد 02، 2002، ص131.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127 – 128.

[5] – التنسي، المصدر السابق، ص180. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، السابق، ج1، ص144.

[6] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996، ط14، ص401.

والانزواء يعني انقباض الشيء واجتماعه، حيث يقال: انزوت الجلدة في النار، أي اجتمعت وانقبضت وانكمشت وصغر حجمها. كما جاءت بمعنى الإحاطة كأن نقول: زوت الأرض أرضا أخرى، أي أحاطت بها، وبمعنى الحبس والإسرار، كقول الفرد: زويت الكلام، أي كتمته وأسررته في نفسي[1]. وورد في المعجم الوجيز أن الزاوية لغة هي المسجد غير الجامع ليس فيه منبر، وجمعها زوايا[2].

**- التعريف الاصطلاحي:**

وردت عدة تعاريف اصطلاحية للزاوية، اتفقت كلها على أنها مؤسسة للتعليم والعبادة في آن واحد، لتتوسع وظائفها مع الوقت، حيث أصبحت تقدم خدمات اجتماعية للفقراء وعابري السبيل. ومن هذه التعاريف ما يلي:

* هي ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة. ومع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا على هيئة دور تقام للدراسات العلمية والدينية، وقد اتخذتها الصوفية مكانا لإقامة حلقات الذكر[3].

* هي محل لتثقيف العقول دينيا وأدبيا، وتكون مسماة باسم أحد المرابطين على اصطلاح المغاربة[4].

* هي عبارة عن فناء واسع تحيط به مرافق، وهي مسكن الشيخ ومسجد ومكان للضيافة وحجرات لسكنى الطلاب ومحل لإيواء اللاجئين إلى الزاوية...وتدور هذه المرافق حول الفناء

---

[1] – ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص ص363 – 365.

[2] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، 1989، ص297. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ط4، ص408.

[3] – عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص ص132 – 133.

[4] – البستاني(بطرس)، دائرة المعارف، طبعة حجرية، بيروت، 1816، ج1، ص161.

الذي كان محط رجال القوافل، وبه بئر للسقيا ومخزن للمتاع...ولكل زاوية شيخ يقيم الصلاة، ويعلم الأولاد، ويباشر عقود النكاح، والصلاة على الجنائز[1].

* هي مساكن ملحقة بالمسجد...تطورت فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة، في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها، ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل به من علوم نقلية وعقلية...كما تطلق الزاوية على المعهد أو الرباط الذي تنشئه إحدى الفرق الصوفية...أو على مسجد خاص بطائفة صوفية، أو على ضريح لأحد الأولياء، تتصل بها غالبا مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو قرابة بالولي[2].

* هي مكان معد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم، وتسمى في الشرق خناقاة، وهو لفظ أعجمي جمعه خانقاوات أو خانقاهات أو خوانق[3].

* هي مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة، وبهذين الوصفين شبهها دوماس(DAUMAS ) بالدير المسيحي في العصور الوسطى[4].

لقد أطلق مصطلح الزاوية في البداية على صوامع الرهبان، ثم على المساجد الصغيرة والمصليات. وهي في الأخير مؤسسة ذات طابع ديني وثقافي، يقيم فيها الشيخ الصوفي،

---

[1] – أحمد الحفناوي، الزاوية، الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، القاهرة، 2003، ص724.

[2] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام...، المرجع السابق، ج4، ص401.

[3] – محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964، ص25.

[4] – مجموعة من العلماء، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998، ج17، ص5240.

يؤدي فيها صلواته الخمس، ويعتكف للعبادة والأوراد، يخدمه متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية. كما أنها مكان يأوي المتجولين، ودار مجانية تطعم المسافرين[1].

**نشأتها وانتشارها: –**

يعود ظهور الزاوية في المغرب الإسلامي إلى القرن 6هـ/12م، أي عهد الموحدين. كانت أول زاوية، تلك التي أقامها يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، وعرفت بدار الكرامة[2].

وبحلول النصف الثاني من القرن 7هـ/13م، انتشرت الزوايا في بلاد المغرب الأوسط، نتيجة ظهور التصوف وتعدد اتجاهاته[3]؛ لتشرع في نشر التعليم وتعميمه خاصة بين الشرائح الدنيا للمجتمع، وذلك على يد شيخ الزاوية. وبالإضافة إلى وظيفتها التعليمية، ألحقت بها خلال القرن 8هـ/14م وظيفتا الإيواء والإطعام. يقول ابن مرزوق في هذا الشأن: "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب، هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"[4].

**– هندسة الزوايا:**

لقد صممت الزوايا بشكل يجعلها تستجيب لوظائفها من تعليم وعبادة وإيواء وإطعام. فهي تشتمل على غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين تعلوه قبة، وكتاب للتدريس

---

[1] – ابن مرزوق الخطيب ، المصدر السابق، ص ص 406 – 411. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ج1، ص 17. خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 226.

[2] – المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، السنة 3، العدد 13، الجزائر، 1973، ص 26.

[3] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 227.

[4] – ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص 413.

وتحفيظ القرآن الكريم، وغرف مخصصة للضيوف والحجاج والمسافرين والطلبة، وبذلك جمعت بين تصميم المنزل والمسجد بدون مئذنة[1].

**- نظام الزوايا:**

تتفق الزاوية مع المدرسة من حيث نظامها وإدارتها. فالزوايا هي دور علم وإقامة على نمط المدارس الداخلية، تخضع لنظام صارم، يلزم الطلبة والمريدين بالانضباط والطاعة، والتقيد بالنظام الداخلي لها، سواء في الدراسة أو المأكل أو الملبس؛ لكنها تختلف عنها في مسألة التحرر، حيث لا تخضع للحكام مثلما كان عليه حال المدارس في تعيين الأساتذة ومنح العلاوات للمدرسين والطلبة[2].

**- أنواع الزوايا:**

كان ظهور الزوايا بالمغرب الأوسط إما بمبادرة رسمية أو شعبية، حيث ينشئها أهل البر ورجال التصوف، أو رجال الدولة من أموالهم الخاصة[3]. وعلى هذا الأساس ظهر نوعان من الزوايا هما:

الزوايا الرسمية: هي التي أنشأتها السلطة، وعينت لها إماما يتولى الوظيفتين الدينية والتعليمية. وهي مهيأة لإيواء وإطعام المحتاجين والواردين عليها من الغرباء والتجار[4].

الزوايا الشعبية: يؤسسها عادة زعماء التصوف، ويتولى الشيخ فيها تعليم الصبيان والمريدين أمور دينهم ويحفظهم القرآن الكريم. وهي مكان لاستقبال الصالحين والمريدين وإيوائهم[1].

---

[1] – محمد نسيب، المرجع السابق، ص 27. أبو القاسم سعد اللّه، المرجع السابق، ص 269.

[2] – كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 136.

[3] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 227.

[4] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص ص 350-351.

**- موارد الزوايا:**

تمثلت موارد الزاوية في الأوقاف التي يحبسها أصحابها من المحسنين ورجال الدولة، وتستعمل لتغطية نفقاتها المختلفة. ويحدد الموقفون على الزاوية في عقودهم الأوجه التي تصرف فيها عوائد أوقافهم. يشرف على إدارة الأوقاف ناظر وجماعة من المساعدين، يتولون تسيير ورعاية الزاوية[2]. كما يوجد جهاز إداري يسهر على خدمتها، مكون من مؤذنين ومنظفين وخدم ومريدين وقيمين وطلبة، حيث يتلقى هؤلاء جميعا رواتبهم وجراياتهم من أوقاف الزاوية[3].

لم تكن الزاوية ملكا لأشخاص ولا للدولة، بل كانت عبارة عن مرافق تعليمية واجتماعية عامة، تستمد استقلاليتها من أوقافها، ومن النظام الخاص بها[4]. وقد قامت منذ ظهورها بتقديم تعليم شرعي لطلبتها ومريديها، واشتهرت باتجاهاتها الصوفية وتأييد الحكام لذلك[5].

**- زوايا المغرب الأوسط:**

لقد انتشرت الزوايا في مختلف أرجاء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، سواء في المدن أو الأرياف، وذلك بإسهام الحكام ورجال التصوف في إقامتها.

أ - زوايا المدن: بفضل مساجدها ومدارسها، أصبحت تلمسان من مدن المغرب الأوسط الأكثر استقطابا لطلاب العلم. ومما زادها شهرة زواياها الكثيرة التي كانت مراكز إشعاع

---

[1] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 350.

[2] - خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 226.

[3] - ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1987، ص 405.

[4] - محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 55.

[5] - إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى بين القرنين(7- 9هـ/13-15م )، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص 80.

للتصوف، حيث وجد بها العديد من العلماء المتصوفة أمثال أبي عبد اللّه الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، الذي تنسب إليه الطريقة الشوذية[1]. ومن أهم الزوايا التي وجدت بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، سواء في حاضرته تلمسان أو مدنه الكبرى الأخرى، نذكر ما يلي:

**- زوايا تلمسان:**

زاوية الشيخ أبي عبد اللّه: ظهرت في عهد يغمراسن بن زيان. كان صاحبها الذي هو أحد تلامذة أبي إسحاق بن إبراهيم بن يخلف التنسي، يلزم كل من يدخل زاويته التقيد بأخلاق السلف الصالح، والالتزام بالسنة النبوية في سلوكاته ومأكله وملبسه[2].

- زاوية أبي عبد اللّه بن أبي بكر بن مرزوق: لعبت دورا كبيرا في نشر تعاليم أبي مدين شعيب[3]، وكان ابن مرزوق يشرف عليها شخصيا[4].

لقد شهدت تلمسان إنشاء العديد من الزوايا بعد القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، منها:

- زاوية الأمير أبي يعقوب: بناها السلطان الزياني"أبو حمو موسى الثاني" سنة 765هـ، على ضريح والده أبي يعقوب، بجانب المدرسة اليعقوبية. وقد استقدم الفقيه أبا عبد اللّه محمد الشريف الحسني(ت771 )، للتدريس بها[5].

---

[1] - عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين(7-9هـ/13-15م )، دراسة في تاريخ السوسيو- ثقافي، دار الغرب، الجزائر، 2003، ص 97.

[2] - خالد بلعربي، الدولة الزيانية...، المرجع السابق، ص 227.

[3] - ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير...، المصدر السابق، ص 40.

[4] - خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص 227.

[5] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127. التنسي، المصدر السابق، ص ص179 - 180.

– زاوية العباد: أنشئت مع المسجد والمدرسة عند مقام الشيخ أبي مدين شعيب، في عهد السلطان المريني أبي الحسن، بين سنتي(739–747هـ/1339–1347م). بها بيوت لاستقبال المسافرين وعابري السبيل والطلبة، وكانت لها أحباس متنوعة من أراضي وبساتين حبسها عليها سلاطين بني مرين. وقد تخرج منها العديد من المتصوفين على منهج الشيخ أبي مدين، وهو منهج التصوف السني[1].

– زاوية سيدي الحلوي: أنشأها السلطان المريني "أبو عنان فارس" في الجهة الشمالية لمدينة تلمسان، وذلك سنة 754هـ/1353م، حول ضريح الولي الصالح "أبي عبد اللّه الشوذي الإشبيلي" المعروف بسيدي الحلوي، وهي تضم مسجدا ومدرسة[2].

– زاوية الحسن بن مخلوف أبركان: أقامها إلى جانب المدرسة السلطان الزياني "أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني"الملقب بالعاقل بين سنتي(834–866هـ/1430–1462)[3].

– زاوية الإمام محمد بن يوسف السنوسي: بالنظر إلى تاريخ وفاة الشيخ السنوسي (ت895هـ)، يظهر أنها وجدت في القرن (9هـ/15م). وقد احتل السنوسي مكانة هامة في تلمسان نظرا لتنوع مؤلفاته وكثرة تلامذته، حيث تخرج على يده كثير من الأعلام أمثال: ابن صعد الأنصاري (ت901هـ) صاحب كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء اللّه من المناقب"، وبن علي الملالي (ت897هـ) مؤلف كتاب "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية". ولا ندري سبب إغفال المصادر لتاريخ معلم كهذا رغم مساهمته في نشر العلم ورفع مستواه داخل المغرب الأوسط وخارجه[4].

---

[1] – عبيد بوداود، المرجع السابق، ص98.

[2] – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى...، المرجع السابق، ص65.

[3] – التنسي، المصدر السابق، ص248.

[4] – عبيد بوداود، المرجع السابق، ص ص310 – 311.

– زاوية ابن البناء: نسبت إلى الفقيه والأديب أبو عبد اللّه محمد بن البناء، الذي يبدو أنه عاش في أواخر القرن 7هـ وبداية القرن 8هـ[1]..

**– زوايا بجاية:**

– زاوية أبي زكرياء الزواوي: يبدو أنها تأسست في نهاية القرن 6هـ أو بداية القرن 7هـ، حيث توفي صاحبها سنة 611هـ. وقد قال الغبريني في ترجمته لهذا الولي الصالح :" ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود به". وقال أيضا: "... وكان هذا الشيخ يدرس بزاويته علوم الحديث وعلوم الفقه والتذكير"[2].

– زاوية ابن يبكي: تنسب إلى الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد اللّه بن الطيب الأزدي المعروف بابن يبكي. تأسست خلال القرن 7هـ/13م، داخل باب أميسون[3].

ب – زوايا الأرياف: لم يقتصر التصوف وانتشار الزوايا على المدن الكبرى للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة ، بل تعداه إلى القرى، ومن أشهر زوايا الأرياف:

– زاوية سعادة الرحماني: أنشئت بمنطقة طولقة في بلاد الزاب، وهي أقدم زاوية في ريف المغرب الأوسط[4].

– زاوية البطحاء: أسسها الشيخ سيدي سينا. كانت تستقبل حوالي خمسمائة مريد وتتكفل بإيوائهم وإطعامهم وتعليمهم[5].

---

[1] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص483.

[2] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص135 – 139.

[3] – نفسه، ص ص188 – 189.

[4] – عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 101.

[5] – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص27 – 29.

**- الدور التعليمي للزوايا:**

لقد تعددت وظائف ومهام الزوايا بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فأدت وظيفة اجتماعية تمثلت في إيواء الفقراء والغرباء وعابري السبيل، ووظيفة تربوية تعليمية تمثلت في استقبال طلاب العلم وتوفير كل ما يحتاجونه من خدمات؛ وبذلك تكون قد ساهمت في تخريج العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفين[1]. ومع مطلع القرن 9هـ/15م، عظم دور الزوايا الشعبية وزاد انتشارها في البوادي، فكان لذلك تأثير في تقليص الفوارق التعليمية بين الأرياف والمدن[2]. لكن هذه الزوايا عرفت انحرافا في منهجها التعليمي مع نهاية القرن 9هـ/15م بسبب تغلغل الطرقية فيها، مما أدى إلى تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، حيث أصبح الطلبة يكتفون بالحد الأدنى من التعليم، وزاد إقبالهم على الزوايا، الأمر الذي أرغم شيوخ المساجد والمدارس على تبسيط أدائهم وأفكارهم وحتى طرقهم في التعليم للحيلولة دون فرار الطلبة إلى الزوايا[3].

خلاصة القول أن التعليم في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة لم يقتصر على نوع واحد من المؤسسات التعليمية ، بل اشتركت في هذه الوظيفة كل من الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، حيث كانت هذه المؤسسات عبارة عن حلقات متصلة يكمل بعضها بعضا. كما كان العلماء يتنقلون بينها لبث العلم، بتشجيع من الحكام الذين لم يدخروا جهدا لتطوير الحركة التعليمية، وبذلك أصبح المغرب الأوسط قبلة لطلبة العلم والعلماء.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص267.

[2] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص350.

[3] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص36 – 37.

**خامسا- المكتبة:**

عرفت الحضارة الإسلامية عناية فائقة بتصنيف وتأليف الكتب في مختلف العلوم والفنون، مما اضطر المسلمين منذ وقت مبكر إلى إنشاء المكتبات وخزائن الكتب، لتتيسر سبل البحث والتعليم؛ إذ يحتاج العلماء وطلبة العلم على السواء إلى الكتب المحفوظة.

ظهرت المكتبات في أرجاء العالم الإسلامي مشرقا ومغربا بأعداد يصعب حصرها، غير أن تظافر عدد من العوامل أدَّى إلى اندثار كثير من تلك المكتبات والخزائن؛ مما نتج عنه فِقدان ملايين الكتب والتصانيف التي لا نعرف اليوم إلا عناوين بعضها.

**المطلب الأول: مفهوم المكتبة:**

المكتبة أو خزانة الكتب هي المكان الذي تحفظ فيه الكتب. أنشأها الإنسان منذ عهود سحيقة، رغبة منه في استبقاء ما دونه من أخبار وعلوم وأعمال. ويعد البابليون أقدم من أنشأ المكتبات في العالم، وذلك سنة 1700 قبل الميلاد[1].

**المطلب الثاني: المكتبات الإسلامية:**

تركزت عناية المسلمين خلال القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني للهجرة على العلوم الإسلامية، غير أنهم لم يشرعوا في التدوين إلا في نهاية هذه الفترة، حيث كتبوا الأخبار والأشعار والأمثال على الرقوق أو الجلود[2]، وكانت كتاباتهم تكدس في الغالب داخل

[1] - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ج3، ص227.

[2] - نفسه، ص228.

البيوت حتى بلغت السقف، كما حصل عند أبي عمرو بن العلاء[1] وعبد الملك الأصمعي[2]، ويعد ذلك بمثابة مكتبات خاصة. أما المكتبات العامة، فهي تلك التي أنشأها ولاة الأمور، وفي مقدمتهم خلفاء بني العباس[3]. فقد أنشأ هارون الرشيد مكتبة في بغداد عرفت ببيت الحكمة[4]، وملأها بالمؤلفات الإسلامية، والكتب المترجمة إلى العربية، ثم أنشأ فيها ابنه المأمون من بعده مجالس الترجمة؛ لتصبح هذه المكتبة عبارة عن مكان للترجمة والنسخ والدرس والتأليف، وبذلك ساهمت في نهضة الدولة العباسية. ومن الذين كانوا يترددون على بيت الحكمة إما للمطالعة أو التأليف، محمد بن موسى الخوارزمي[5]، ويحي بن أبي منصور

---

[1] – أبو عمرو بن العلاء(70 – 154هـ): كان أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب. ملأت دفاتره بيته حتى السقف، ثم تنسك فأحرقها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص ص407 – 410.

[2] – عبد الملك الأصمعي(123 – 216هـ): هو أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له ديوان شعري ضخم عرف بالأصمعيات. من مؤلفاته: كتاب الإبل، أبيات المعاني، أصول الكلام، معاني الشعر، فحولة الشعراء، القصائد الست، الأراجيز...: ينظر: الأصمعي، كتاب الإبل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دت، ص9. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت، ص543. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، دت، ص167.

[3] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص228.

[4] – بيت الحكمة هو عبارة عن مكتبة، ومعهد للتّرجمة، ومركز للأبحاث. تم إنشاؤه في عصر الخلافة العبّاسيّة فى بغداد. كان من أبرز المؤسّسات فى ريادة حركة التّرجمة وتطوّر الفكر خلال العصر الإسلامى الذّهبى. تم تأسيسه على يد الخليفة هارون الرّشيد، وانتهى في عهد ابنه الخليفة المأمون الذى حكم من بعده. ينظر: خضر أحمد عطا الله، بيت الحكمة في عصر العباسيين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، دت، ص28 وما بعدها.

[5] – محمد بن موسى الخوارزمي (ت220هـ/835م)، هو عالم رياضي فلكي جغرافي من أهل خوارزم، وهو أيضا واضع أسس علم الجبر والمثلثات. عاصر الخليفة المأمون وله عدة مؤلفات أبرزها: كتاب الجبر والمقابلة، وكتاب صورة الأرض، وكناب في الزيج، وكتاب العمل بالاسطرلاب، ورسم المعمورة من

الموصلي[1]. وعلى شاكلة بيت الحكمة، أنشأ أهل بغداد مكتبات كثيرة، قبل أن يقتدي بهم بنو أمية في الأندلس؛ إذ أنشأ الحكم المستنصر بن الناصر[2] مكتبة ضخمة في قرطبة، ونافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب، وسار خلفه على دربه، وانتشرت المكتبات بمعظم حواضر الأندلس، حتى قيل أن عدد مكتبات غرناطة بلغ السبعين، وأصبح اقتناء الكتب من علامات الوجاهة والرئاسة[3].

**- المكتبات في المغرب الأوسط:**

لم يبق المغرب الأوسط بمعزل عن الواقع الثقافي الذي عاشته البلاد الإسلامية عبر العصور، بل تأثر حاله بالسياسات التي اعتمدتها الدول التي تعاقبت على حكم المنطقة. ولعل من مظاهر دعم الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، تلك البصمة التي تركها الرستميون بإنشائهم لمكتبة المعصومة[4] بتيهرت، والتي كانت تزخر بالكتب في المجالات المختلفة،

---

البلاد، وكتاب الحساب، ووصف إفريقيا. ينظر: باقر أمين الورد، معجم العلماء العرب، مراجعة كوركيس عواد، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986، ج1، ص110.

[1] – يحي بن أبي منصور الموصلي، هو أحد أصحاب الأرصاد أيام الخليفة المأمون. له تصانيف منها: كتاب الزيج الممتحن. ينظر: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص ص267 – 268.

[2] – الحكم المستنصر بالله(302 – 366هـ/914 – 976م)، هو أحد الخلفاء الأمويين بالأندلس، حكم من بعد أبيه عبد الرحمن الناصر. كان إماما في معرفة الأنساب، حافظا للتاريخ، جماعا للكتب. ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1997، ج2، ص194.

[3] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص230.

[4] – تكونت النواة الأولى لمكتبة المعصومة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، عندما بعث إلى إخوانه بالبصرة بألف دينار ليشتروا له بها كتبا وينسخوا المجلدات، فنسخوا له أربعين حملاً وبعثوا بها إليه. ضاعت جل كتبها بعد استيلاء العبيديين على تيهرت سنة 296هـ/909م. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، المصدر السابق، ج2، ص 411. أبو زكريا يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص65.

خاصة ما تعلق منها بالمذهب الإباضي. لكن معظم محتوياتها ضاعت حرقا من طرف العبيديين الشيعة كما تجمع على ذلك المصادر الإباضية[1]، في حين يستبعد موسى لقبال عملية الحرق، ويقول أن نفائس هذه المكتبة، ضاعت في الطريق أثناء محاولة بعض أفراد الأسرة الرستمية الهروب إلى مهجرهم الجديد بوارجلان[2]. أما الباروني فيذكر أن العبيديين استباحوا المعصومة، فأخذوا ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية، وأحرقوا الباقي، ومن ثم فقدت كتب المذهب الإباضي[3].

يبدو لي أن عملية الحرق واردة مثلما أشارت إلى ذلك المصادر الإباضية، لكنها اقتصرت على الكتب ذات العلاقة بمذهب الرستميين، نظرا للاختلاف المذهبي بين العبيديين الشيعة، والرستميين الخوارج، واستثنت كتب العلوم الأخرى. فمن غير المعقول أن يترك بنو عبيد أثرا للمذهب الإباضي بعد استيلائهم على العاصمة تيهرت. ولا يعقل أيضا أن يفر الرستميون بعد تيقنهم من اقتراب الخطر العبيدي منهم، دون أن يحملوا معهم ما تيسر لهم من كتبهم النفيسة.

**أولا: المكتبات العبيدية:**

لم يكن العبيديون أقل حرصا من الرستميين على جمع الكتب، ولا أدل على ذلك من إصرارهم على استرجاع الكتب التي سرقت من زعيمهم الروحي ومؤسس دولتهم عبيد الله المهدي أثناء رحلته من المشرق إلى المغرب، بمنطقة الطاحونة في ضواحي طرابلس[4]. ولا

---

[1] – أبو زكريا يحي بن أبي بكر، سير الأئمة...، المصدر السابق، ص113. الدرجيني، طبقات...، المصدر السابق، ج1، ص94. الشماخي، كتاب السير، المصدر السابق، ص228.

[2] – موسى لقبال، من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى "مكتبة المعصومة بتيهرت"، هل أحرقت أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان، مجلة الأصالة، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977، ص ص51 – 59.

[3] – الباروني، الأزهار الرياضية، مكتبة المنار، تونس، دت، ج2، ص293.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص454.

شك أن بني عبيد قد أنشأوا مكتبات ضخمة ببلاد المغرب قبل رحيلهم إلى المشرق، وهذا بعد استيلائهم على الكتب النادرة التي كانت تحتويها دار الحكمة الأغلبية، والمعصومة الرستمية[1]. ومما شجعهم أكثر على جمع الكتب وتخزينها، بالاقتناء أو التأليف أو النسخ، منافستهم للعباسيين في بغداد، والأمويين في الأندلس في هذا المجال. وكانت نواة خزائن الكتب بالمساجد التي كانت مكانا للمناظرة، قبل أن تنتشر بالقصور، وبيوت العلماء؛ علما أن العناية بكتب الأئمة كانت أكثر من غيرها، حيث كانت تحفظ بالقصر، ولا يقربها إلا الأئمة والدعاة، باعتبارها مصدر الدعوة العبيدية. أما العامة، فكانت في متناولهم خزائن خارج القصر، اشتملت على مجلدات في مختلف الفنون، سميت بالبرانية. ومن دلائل حب العبيديين لجمع الكتب والاحتفاظ بها، نقلهم لكتبهم أينما حلوا وحيثما ارتحلوا؛ إذ لم يتركوا من كتبهم شيئا ببلاد المغرب عند رحيلهم إلى مصر[2]. يقول الباحث عبد الغني يسري في هذا الصدد، أن الكتب والوثائق التي جاء بها الخليفة العبيدي الرابع المعز لدين الله الفاطمي (ت365هـ)، ضمن أمتعته من شمال إفريقيا إلى مصر ، شكلت النواة الأولى للمكتبة التي أنشأها بالقاهرة والمسماة بدار الحكمة[3].

تشير المصادر التاريخية إلى وجود مكتبات كثيرة بالمغرب الأوسط وباقي أقطار المغرب الإسلامي زمن العبيديين، وهي المكتبات الخاصة التي أنشأها العلماء ببيوتهم، ضمت عددا هائلا من الكتب، في مقدمتها مؤلفاتهم. ومن أمثلة هذه المكتبات، مكتبة أبي محمد عبد الله بن قاسم مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام(ت346هـ)، والتي قدرت كتبها بما بين

---

[1] – البارواني، المرجع السابق، ج2، ص293.

[2] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص408 – 410.

[3] – عبد الغني يسري، مكتبات الفاطميين "رؤية حضارية"، دورية كان التاريخية، العدد7، مارس 2011، ص62.

سبعة وتسعة قناطير، جلها بخط يده[1]؛ ومكتبة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار(ت369هـ)، التي اشتملت على ما ألفه في تخصصات شتى كالطب والصيدلة والتاريخ والجغرافيا والتراجم، وعلى كتب القدامى النادرة وكتب معاصريه؛ قدرها البعض بخمسة وعشرين قنطارا[2].

**المكتبات الحمادية:**

لقد كان للعلماء والأئمة والسلاطين أثر جلي في الحضارة التي شهدها المغرب الأوسط في العهد الحمادي. ذلك أن الفضل يعود لهؤلاء جميعا في تأسيس المدن العريقة، وإنشاء الجوامع، وإقامة دور الكتب؛ لتصبح منبعا للعلوم، ومنارا للمعارف والآداب والفنون، تهوي إليها أفئدة أعلام الفقهاء والكتاب والمؤرخين. يشير عبد الحليم عويس إلى انتشار المكتبات العامة بقلعة بني حماد زمن الحماديين، كانت إحداها بجامع المنار، فيقول عنها: "مكتبة مليئة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب، والمنقولة عن تدريس أساتذة الجامع"[3]. أما المكتبات الخاصة، فنستدل في وجودها على النص الذي أورده أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي(ت603هـ/ 1206م)، وهو يترجم لابن الرمامة(ت567هـ/1171م)، حيث يقول عن ابن المترجم له: "دخل على الفقيه ابن النحوي يوما في منزله، فوجد في البيت كتبه، وجوانب البيت من جهاته كلها ممدودة ألواحا مرتفعة بعضها فوق بعض، وعليها الكتب، وبين يديه كرسي عليه أسفار جديدة التسفير، قال: فقلت له: ما هذه الأسفار التي

---

[1] – الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص58. ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص ص423 – 424.

[2] – ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص481.

[3] – عبد الحليم عويس، دولة بني حماد...، المرجع السابق، ص254.

بين يديك؟ فقال لي: هذا كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، ولو اقتنيته قبل هذه الكتب، لم أكسب كتابا منها"[1].

هذا النص يرسم لنا صورة عامة عن المكتبات الخاصة التي كانت في بيوت علماء العهد الحمادي بمختلف حواضر الدولة كبجاية والقلعة وغيرها.

**ثالثا: خزائن الكتب زمن المرابطين والموحدين:**

على غرار من حكم المغرب الأوسط من قبل، ظلت المكتبات وخزائن الكتب منتشرة بمختلف الأمصار التي آل أمرها إلى حكم المرابطين سواء ببلاد المغرب أو الأندلس. فقد أثبت صاحب الاستقصا ذلك لما تناول الحياة الدينية في ظل الدعوة المرابطية؛ إذ أشار إلى القرار الصادر عن علي بن يوسف، القاضي بحرق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، حيث قال: "... فلما أفتوه بإحراق كتاب الإحياء، كتب إلى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار، بأن يبحث عن نسخ الإحياء بحثا أكيدا، ويحرق ما عثر عليه منها، فجمع من نسخها عدد كثير ببلاد الأندلس، ووضعت بصحن جامع قرطبة، وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها النار؛ وكذا فعل بما ألفى من نسخها بمراكش، وتوالى الإحراق عليها في سائر بلاد المغرب"[2].

يستفاد من هذا النص انتشار خزائن الكتب العامة والخاصة في سائر أنحاء دولة المرابطين، بما فيها المغرب الأوسط. كما يظهر بجلاء الصراع الذي كان قائما بين الفقهاء الموالين للسلطة، وهم الذين أفتوا بحرق كتب الإمام أبي حامد الغزالي، والفقهاء الذين أنكروا ذلك، وأفتوا بعدم لزوم الأيمان عند قسم الناس بعدم وجود كتاب الإحياء بحوزتهم أثناء حملة البحث عنه لإحراقه. ومن المعارضين لقرار الحرق، أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي: المصدر السابق، ص ص 172 – 173.

[2] – السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، المرجع السابق، ج2، ص75.

ابن النحوي(ت513هـ)، حيث كشف عن موقفه وهو يرد عن أبي الحسن علي بن حرزهم بقوله: "هذه الأسفار من كتاب الإحياء، وددت أني لم أنظر في عمري سواها"[1].

سار الموحدون على درب من حكموا المغرب الأوسط قبلهم، فاهتم خلفاؤهم بإنشاء المكتبات، في قصورهم وفي الأماكن العامة من مساجد ورباطات ومدارس، وزودوها بالكتب في شتى أنواع العلوم والفنون؛ لتصبح هذه الخزائن العلمية، ركائز قوية للحركة الفكرية في الدولة الموحدية. ويعود ازدهار المكتبات في العهد الموحدي إلى حرص عبد المؤمن بن علي ومن تولى الحكم من بعده، على جمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، وتشجيع التأليف والنسخ. فقد اقتدى الخليفة يعقوب بن يوسف بأبيه وجده، حيث كان يسأل عن جديد المؤلفات في أرجاء مملكته أو خارجها، ويأمر بنسخها وإيداعها في خزانته التي أصبحت تزخر بالدرر والنفائس. ولم يكن أمر الاهتمام بجمع الكتب مقتصرا على الخلفاء فحسب، بل تعداه إلى ولاة الأمصار، من أمثال إسماعيل بن عبد المؤمن الكومي، الذي عين نساخا لنسخ ما يريده من كتب لتودع في خزانته[2].

أما المكتبات الخاصة، فكان انتشارها على نطاق واسع؛ إذ لا يخلو منها بيت من بيوتات العلماء، ومنها نذكر: مكتبة عبد الحق الإشبيلي البجائي(ت581هـ)[3]، ومكتبة محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني الكومي، الذي قال عنه ابن عبد الملك المراكشي أنه كان: "جماعة للكتب الجليلة، مغاليا في أثمانها، احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة"[4]، ومكتبة عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عيسى الزهراني من

---

[1] – السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص ص74 – 75.

[2] – علي عشي، المرجع السابق، ص126.

[3] – ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص ص59 – 60.

[4] – ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، المصدر السابق، ص310. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، ج8، ص ص317 – 318.

أسرة ابن الملجوم، الذي كانت له خزانة دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها[1]، ومكتبة عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري[2]، ومكتبة آل فكون، التي توارث أبناؤها العلم ما يزيد عن السبعة قرون[3].

**المكتبات في مطلع العهد الزياني:**

عرفت الحياة الفكرية في العهد الزياني ازدهارا كبيرا بفضل تشجيع السلاطين لها. ومن بين مظاهر ذلك، تشجيع التأليف وفن النسخ، وإنشاء خزائن الكتب في القصور، والتنافس على تحبيس الكتب في المساجد والزوايا[4].

بدأ الاهتمام بالكتب تأليفا ونسخا وحفظا عند بني زيان منذ عهد مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان، واستمر الحال مع أسلافه، إلا أننا لا نجد ذكرا لمكتبات أنشأها الزيانيون في القرن السابع الهجري. أما القرن الثامن الهجري، فقد شهد إنشاء مكتبتين كبيرتين بالجامع الأعظم بتلمسان، ملئت بالكتب النفيسة التي يعود إليها الطلبة لتوسيع معارفهم. أول هذه المكتبات تلك التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م[5]، وثانيها كانت من إنشاء أبي زيان محمد الثاني سنة 796هـ/1394م، وحبس بها كتبا قام بنسخها بيده كالمصحف الشريف، وصحيح البخاري، والشفا للقاضي عياض[6].

---

[1] – ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس...، المصدر السابق، ص396.

[2] – ابن عماد(شهاب الدين أبو الفلاح)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، دت، ج6، ص330.

[3] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص334 – 336.

[4] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص336.

[5] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص400.

[6] – التنسي، المصدر السابق، ص211.

نخلص في الأخير أن النهوض بالتعليم يتطلب توفير جملة من الشروط، منها إيجاد المنشآت، وهو ما سعى إلى توفيره كل من حكم المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة. فقد اهتم هؤلاء بإنشاء المساجد والكتاتيب والزوايا، وتشجيع التأليف واقتناء الكتب وحفظها في خزائن، يعود إليها الطلبة عند الحاجة.

# الفصل الرابع

# الفصل الرابع

# نماذج من الحواضر العلمية والعلماء بالمغرب الأوسط

**المبحث الأول: حاضرة تلمسان.**

**المطلب الأول: تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

**المطلب الثاني: الصراعات الفكرية والمذهبية بتلمسان عبر العصور.**

**المطلب الثالث: نماذج من علماء تلمسان.**

**المبحث الثاني: حاضرة بجاية.**

**المطلب الأول: بجاية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

**المطلب الثاني: الحياة الفكرية ببجاية.**

**المطلب الثالث: نماذج من علماء بجاية.**

**المبحث الثالث: حاضرة تيهرت.**

**المطلب الأول: تيهرت من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

**المطلب الثاني: نماذج من علمام تيهرت.**

**المبحث الرابع: حاضرة المسيلة.**

**المطلب الأول: المسيلة من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

**المطلب الثاني: نماذج من علماء المسيلة.**

**المبحث الخامس: حاضرة وارجلان.**

**المطلب الأول: وارجلان من خلال المصادر.**

**المطلب الثاني: تطور النشاط الفكري بوارجلان.**

**المطلب الثالث: نماذج من علماء** وارجلان.

شهد المغرب الأوسط عبر العصور تأسيس العديد من المدن التي صارت فيما بعد حواضر كبرى ذات أهمية اقتصادية وسياسية وثقافية، فقصدها العلماء لبث علومهم بمساجدها ومدارسها، أو لمناظرة نظرائهم في مختلف التخصصات. كما توافد عليها طلبة العلم المتعطشين للمعرفة من كل حدب وصوب، حيث يجدون بغيتهم في الحلقات العلمية التي تقام بمختلف مؤسساتها التعليمية، وبذلك أصبحت هذه المنارات العلمية تضاهي حواضر المشرق والمغرب، فتخرج منها علماء أجلاء أبدعوا في مختلف التخصصات، فذاع صيتهم وتجاوز الآفاق. ومن هذه الحواضر نذكر ما يلي:

**المبحث الأول: حاضرة تلمسان.**

هي واحدة من الحواضر الإسلامية الهامة التي تأسست بالمغرب الأوسط. تقع على السفح الشمالي لجبل الصخرتين[1] الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى. يصل ارتفاعها إلى 900متر عن سطح البحر، وتحيط بها الجبال من الجنوب والغرب، وهي بذلك تحتل موقعا طبيعيا حصينا ومنيعا. وقد مكنتها خصائصها الطبيعية من تخزين مياه الأمطار، لتظهر فيما بعد في شكل عيون وينابيع، تستغل في ري السهل الفسيح الذي يمتد حولها[2].

عرفت تلمسان عبر تاريخها بأسماء كثيرة أقدمها أجادير، وهو اسم عرفت به المدينة على العهد الفنيقي، ثم تداوله البربر من بعدهم، ويعني لفظ أجادير الجرف أو الهضبة بلغة

---

[1]– جبل الصخرتين هو الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف التي تمتد من المغرب الأقصى، ويعرف أيضا بجبل بني ورنيد. ينظر الحميري (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص135. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1979، ج1، ص248. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص85.

[2]– القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، دت، ص151.

البربر، حيث ينطبق ذلك على الموقع الجغرافي للمدينة[1]. كما تعني الكلمة أيضا مخزن الحبوب الذي يلجأ إليه في حالة الحصار أو الحروب[2]. وقد فسرها سكان المنطقة تفسيرا دينيا حين ربطوها بالقصة الواردة في القرآن الكريم مع سيدنا موسى والخضر عليهما السلام والجدار، في قوله تعالى:"وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي، ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا"[3].

أيد يحي بن خلدون هذا الطرح في كتابه بغية الرواد، الذي ألفه في العهد الزياني لما كان يشغل منصبا سياسيا[4]. أما أخوه عبد الرحمن بن خلدون فقد رفض هذا الزعم، لكون موسى عليه السلام لم يثبت وصوله إلى المنطقة، وأن ذلك لا يعدو أن يكون سوى تشيعا وتفضيلا للمدينة من قبل سكانها؛ مضيفا أن إنشاءها لا يصل إلى عهد الخضر عليه السلام، وإنما هي من إنشاء بني يفرن[5].

أطلق الرومان على موقع تلمسان اسم بوماريا الذي يعني بلغة السكان المحليين مدينة الحدائق والبساتين، وهو موقع محصن بخندق طبيعي يتمثل في وادي متشكانة الذي يزيد منسوبه في فصل الشتاء[6]. وقد اتخذ الرومان بوماريا مركزا عسكريا لتأمين الطريق لقوافلهم التجارية في المنطقة؛ ثم سرعان ما تجمع السكان المحليون، وأقاموا مساكن لهم حول

---

[1]– ألفرد بال، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، 1933، ج5، ص452.

[2]– لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/الثالث عشر إلى السادس عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987، ص17.

[3]– سورة الكهف، الآية 82.

[4]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص91.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، المصدر السابق، ج7، ص12– ص76.

[6]– بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص15.

الحصن الذي اتسع ليصبح مدينة فيما بعد[1]. أما اسم تلمسان، فلم يذكر إلا في مصادر القرن الثالث للهجرة، حيث أورده ابن عبد الحكم(ت257هـ/870م)، واليعقوبي(ت284هـ/897م)[2]. وقد اختلف المؤرخون في تفسير معنى هذه التسمية، حيث يذكر يحي بن خلدون أنها كلمة بربرية مركبة من "تلم" التي تعني تجمع، و"سان" ومعناه اثنان، وفسرها بأنها تجمع بين الصحراء والتل مستندا إلى ما ذكره أبو عبد الله بن إبراهيم الآبلي. كما وردت تسميتها بلفظ"تلشان"، وهي أيضا مركبة من"تل" أي لها، و"شان" ومعناها شأن عظيم[3]. لكن عبد الرحمن بن خلدون اختلف مع الآبلي في تفسير المقصود من كلمة تلمسان، إذ يقول أنها تجمع بين البر والبحر[4]. وإن اختلف حول تفسير التسمية، فإن معظم المؤرخين والرحالة والجغرافيين قد أجمعوا على أن تلمسان كانت مشتلة للعلم والمعارف، وخزانا للعلماء والفقهاء، ومنبرا للدعوة الإسلامية، وعاصمة للزهد والتصوف، ومزارا كبيرا لطلاب العلم وأصحاب الرحلة في طلبه، ومحجا للأولياء الصالحين ومريديهم[5]. كما أشاد الكثيرون بأهمية موقعها، وحسن جمالها.

**المطلب الأول: تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

ذكرها اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري بقوله:"...ثم إلى المدينة العظمى بالمغرب التي يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر من حجارة، وبها خلق

---

[1] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص16.

[2]– ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1994، ص 96. اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 192. ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص 88.

[3]– أبو زكريا يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص9.

[4]– مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية(مدن الغرب)، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج4، ص5.

[5]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، العدد 3 – 4، دار الوعي، الجزائر، أفريل/ماي 2011، ص9.

عظيم وقصور ومنازل مشيدة..."[1]. ففي هذا القول ينوه اليعقوبي بعظمة هذه المدينة وكثرة عمرانها، ويشير فيما يبدو إلى السور القديم الذي كان يحيط بأغادير، والسور الثاني الذي أقامه المرابطون حول تكرارت.

يقول عنها ابن حوقل الذي مر بها في القرن الرابع الهجري مشيدا بكثرة مياهها ووفرة محاصيلها الزراعية: "...وهي مدينة أزلية، ولها أنهار جارية وأرحية عليها، وفواكه، ولها سور من آجر حصين منيع، وزرعها سقي، وغلاتها عظيمة، ومزارعها كثيرة[2]. أما البكري الذي زارها في القرن الخامس الهجري، فقال عنها: "هي مدينة مسورة في سفح جبل، شجرة الجوز، ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوخة. وفي الشرق باب العقبة. وفي الغرب باب أبي قرة. وفيها للأول آثار قديمة، وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا، ولهم بها كنيسة معمورة...ولها أسواق ومساجد...وهي دار ملك زناتة، ومتوسطة قبائل البربر، ومقصد لتجار الآفاق"[3].

وصفها الإدريسي لما زارها في القرن الخامس الهجري قائلا:"...وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة، وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور، ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى الصخرتين... خيراتها شاملة، ولحومها شحيمة سمينة. وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجاراتها"[4]. يتفق البكري والإدريسي على ازدهار التجارة بتلمسان حيث أشارا إلى أن أسواقها كانت تستقطب التجار، نظرا لموقعها على الطريق الرابط

---

[1]– إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص133.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

[2]– أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب(جزء من كتابه المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص76.

[4] – الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989، ج2، ص250.

بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. فقد أصبحت أهم مدن المغرب الأوسط بعد تأسيس تاجرارت، واستقرار ولاة المرابطين فيها، حيث طوروا عمرانها ببناء المساجد والدور والقصور. زارها ياقوت الحموي في القرن السادس الهجري فقال عنها:"...مدينة بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تاقرارت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية...ويكون بتلمسان الخيل الراشدية، لها فضل على سائر الخيل. وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعا من الكنابيس لا توجد في غيرها...ويزعم بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام"[1].

في القرن السابع الهجري قال عنها ابن سعيد المغربي:"...وهي قاعدة بني عبد الواد من زناتة، ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في بلاد المغرب، وتحمل منها ألجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك. والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس، لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها"[2]. ويذكرها أبو الفدا الذي عاصر ابن سعيد فيقول في شأنها:"...وتلمسان مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل ولها ثلاثة عشر بابا، ومِاؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها. وفي خارجها أنهار وأشجار، ويستدير النهر بقبليها وشرقيها، وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر، وبقعتها شريفة كثيرة المرافق،وهي قاعدة مملكة، ولها حصون كثيرة..."[3].

يستخلص مما أورده ابن سعيد وأبو الفدا أن تلمسان كانت كثيرة الصنائع من ثياب صوفية ولوازم الخيول. كما كانت بها مياه وفيرة تصل إليها فيما يبدو من منطقة لوريط وهضبة لالة ستي.

---

[1] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج2، ص44.

[2] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص136.

[3] – أبو الفدا، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص137.

رحالة القرن الثامن الهجري بدورهم تناولوا في كتاباتهم تلمسان، حيث يقتبس القلقشندي فقرة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب الدين بن يحي العمري(ت749هـ) تقول عن المدينة أنها:"في غاية المنعة مع أنها في وطاءة من الأرض، ولكنها محصنة البناء...مشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق...زكية الزرع والضرع...ويطول مكث المخزونات فيها حتى أنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنينن، ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت"[1]. ويقول فيها لسان الدين بن الخطيب الذي عاصر سلفه:"تلمسان وما أدراك ما تلمسان، قاعدة الملك، وواسطة السلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر...وأصبحت للغرب بابا، ولركاب الحج ركابا، ولسهام الآمال هدفا، ولدور العلماء والصالحين صدفا..."[2]. أما يحي بن خلدون الذي عاش أيضا في القرن الثامن الهجري، فقد أمعن في وصفها حيث قال:"مدينة عريقة في التمدن، لدنه الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل ورنيد عروسا فوق منصة، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، تطل منه على فحص أفيح معد للفلح"[3]. ويقول العبدري في وصف تلمسان: "تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية، جميلة المنظر، مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها اسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة، ولا بأس بأخلاقهم، وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد، وهو مدفن الصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة، ومن أعظمها وأشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين...وأما العلم، فقد درس رسمه في أكثر البلاد"[4].

---

[1] – أبو العباس القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص150.

[2] – لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، دت، ص67.

[3] – أبو زكريا يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص86.

[4] – العبدري، المصدر السابق، ص ص48–49.

يستنتج مما كتب عن تلمسان في القرن الثامن الهجري، أنها ذات موقع مهم تتوسط حواضر العالم الإسلامي كالقلادة على الجسم أو العروس على المنصة، وكونها محور للطرق التجارية، ومعبرا للحجيج في ذهابهم وإيابهم، ومطمعا للطامعين، ومقصدا للعلماء والصالحين.

لقد حافظت تلمسان على مكانتها في مختلف المجالات خاصة الميدان الفكري، حيث مدحها المقري الذي عاش في القرن العاشر بقوله:"وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخارا دفن ولي الله سيدي أبو مدين بها، وهو شعيب بن الحسين الأندلسي، شيخ المشايخ، وسيد العارفين، وقدوة السالكين..."[1].

المطلب الثاني: **الصراعات الفكرية والمذهبية بتلمسان عبر العصور.**

تعد تلمسان من أعرق مدن المغرب الأوسط، حيث أقام أبو قرة اليفرني[2] أول إمارة بها بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، الذي كان في عهد أبي مهاجر دينار[3]، حيث لا تزال بالقرب من المدينة عيون تعرف بعيون أبي مهاجر. ويبدو أن أهلها اعتنقوا الإسلام بفضل سياسة اللين التي انتهجها هذا الفاتح. ومن أبرز الأحداث الفكرية التي عرفتها هذه الحاضرة عبر العصور، دخول المذهب الصفري الخارجي إليها في منتصف القرن الثاني الهجري على يد أبي قرة اليفرني الزناتي، قبل أن يسود المذهب المالكي مع نهاية نفس القرن، وذلك بعد

---

[1] – أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب...،المصدر السابق، ج7، ص136.

[2] – هو أبو قرة اليفرني الزناتي، مؤسس أول دولة للخوارج الصفارية بالمغرب، بعد ثورته ضد ظلم ولاة العباسيين، وإعلان نفسه إماما للمسلمين في عام 767م. وإليه ينسب تشييد مدينة "أغادير" على أنقاض بوماريا الحصن الروماني القديم. ينظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص70.

[3] – هو أحد قادة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، ولي على إفريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الفهري بين سنتي 55 و62هـ. تم في عهده إسلام قبيلة أوربة البربرية التي كان يتزعمها كسيلة بن لمزم. وصلت الفتوحات في عهده إلى تلمسان. ينظر: ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2، ص ص 324-326.

استيلاء الأدارسة على المدينة. وبظهور الدولة العبيدية، انتشر المذهب الشيعي بهذه المدينة، وظل الأمر كذلك إلى أن قام فقهاء المالكية بزعامة محمد بن أبي زيد القيرواني[1] بحملتهم ضد المد الشيعي في المنطقة، حيث حل بتلمسان الفقيه المالكي أحمد بن نصر الداودي[2] أواخر القرن الرابع الهجري. ومع مطلع القرن السادس الهجري، شهدت هذه الحاضرة الإسلامية بعد أن استولى عليها الموحدون، تنافسا حادا بين فقهاء المالكية والموحدين أصحاب المذهب الظاهري. كما عرفت تلمسان أوائل القرن الثامن الهجري صراعا طويل الأمد بين المتصوفة والسلفيين، عمر ما يزيد عن القرنين[3]؛ تزعم التيار الأول قاضي قضاة تلمسان قاسم العقباني الأندلسي[4]، في حين كانت زعامة التيار الثاني لمحمد بن

---

[1]– هو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني النفزي، عاش في القرن الرابع الهجري معاصرا للدولة الفاطمية الشيعية. ولد بالقيروان سنة 710هـ، وهو أحد أعلام المذهب المالكي، حيث لقب بمالك الأصغر. من مؤلفاته: الرسالة الفقهية، رسالة بن أبي زيد القيرواني، الرسالة في فقه الإمام مالك. توفي سنة 886هـ. ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص ص 427–430. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، منشورات محمد بن علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص96.

[2]– هو شيخ الإسلام أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، الأسدي الأصل، المسيلي المولد، الطرابلسي النشأة، التلمساني الوفاة، المالكي المذهب. ينظر القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاوريت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2، 1983، ج7، ص ص 102–104. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، المصدر السابق، ص164. ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص ص165–166. . ابن أبي صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، دت، ج1، ص91.

[3]– المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1975، ص126.

[4]– هو أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني. أخذ عن والده الإمام عثمان، وعن تقي الدين الحسني الفاسي المكي. أجازه الحافظ ابن حجر العسقلاني بمصر. أخذ عنه كثيرون منهم: إبنه أبو سالم وحفيده محمد والمازوني والونشريسي. له أرجوزة في التصوف وتعليق على ابن الحاجب الفرعي. ينظر: ابن مريم، البستان...، المصدر السابق، ص ص 284–287. القلصادي، المصدر السابق، ص ص 106–107. التنبكتي، نيل الإبتهاج...، المصدر السابق، ص ص 365–366.

مرزوق الحفيد التلمساني[1]. ومن الشواهد التي تؤكد هذا الصراع، كتاب ألفه ابن مرزوق يحمل عنوان"النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص"، والذي رد فيه على العقباني وأنصاره؛ علما أن هذا التنافس الفكري امتد إلى نهاية القرن التاسع الهجري، حيث أيد محمد بن يوسف السنوسي[2]، العقباني وشيعته، بتأليف عنوانه"نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير". كما لقي السنوسي تأييدا من شيخيه، عبد الرحمن الثعالبي[3] والحسن أبركان الراشدي[4]. وبالإضافة إلى اشتغال علماء تلمسان بالصراع العقائدي بين السلفية والمتصوفة، ظهرت قضية أخرى كان لها أثرها البالغ بالمنطقة، وهي قضية يهود توات التي

---

[1]- هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 365-374. القلصادي، المصدر السابق، ص ص96-97. التنبكتي، المصدر السابق، ص ص499-510.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني. ولد سنة 832هـ/1427م. تعلم بتلمسان التي كانت في عهده محط رحال كثير من العلماء. توفي سنة 895هـ/1489م، بعض أن كرس حياته للتدريس والتأليف. ينظر: الملالي، المصدر السابق، الورقة9، ص19.

[3]- هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. ولد عام 786هـ وتوفي سنة 828هـ. ينظر: عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن(تفسير الثعالبي)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1997، ج1، ص ص9-39.

[4]- هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي، الشهير بأبركان، و معناه بلسان البربرية الأسود، الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير. أخذ عن الإمام سيدي إبراهيم المصمودي و الإمام الحفيد ابن مرزوق و أخذ عنه الحافظ التنسي والإمام السنوسي، و لازمه كثيرا و انتفع به و كان يقول: رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص 108. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ج1، ص ص189-190.

أثارها الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي[1]، بعد إنشاء اليهود لبيعة ضخمة بتمنطيط، وتصميم المغيلي على هدمها، حيث انقسم العلماء آنذاك بكل من تلمسان وفاس إلى قسمين، قسم أيد المغيلي ومنهم محمد بن عبد الجليل التنسي[2] والإمام السنوسي، وقسم آخر عارضه وعلى رأسه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني[3].

**المطلب الثالث: نماذج من علماء تلمسان.**

كانت تلمسان عبر التاريخ كغيرها من حواضر المغرب الأوسط محضنا لكثير من العلماء، سواء من أهلها أو الذين وفدوا إليها واستقروا بها، إما للاستزادة في العلم على مشايخها أو التدريس بمساجدها ومدارسها. وكان لمن تولوا أمر المنطقة فضل كبير في تطوير الحياة الثقافية، بتشجيعهم للعلماء على الإقامة بهذه الحاضرة. ومن الذين عاشوا بتلمسان وتركوا ما خلد ذكرهم بها ما يلي:

- **أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ):** هو الفقيه أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأزدي، أصله من المسيلة أو بسكرة، كان بطرابلس ومنها انتقل إلى تلمسان (أقادير آنذاك)، وظل يبث العلم بها إلى غاية وفاته. كان فقيها فاضلا متقنا ومؤلفا.لم يكن له شيوخ بارزين، وإنما وصل إلى ما وصل إليه بإدراكه واجتهاده. أخذ عنه كل من: أبو عبد الملك مروان بن

---

[1]- بختاوي قاسمي، النشاط الإصلاحي للشيخ المغيلي بإقليم توات والسودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي(الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقه السياسة والحوار الديني يومي 05 و06 فبراير 2012 بتلمسان)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، ص ص205-215.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني، ولد بتنس، وعاش بتلمسان. من مؤلفاته نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. ينظر: المقري، نفح الطيب...، المصدر السابق، ج1، ص574، ج6، ص195.

[3]- هو أبومحمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني، فقيه متمكن، مارس التدريس والإفتاء والقضاء بإقليم توات. عارض المغيلي في موقفه من يهود المنطقة. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص214-218.

علي البوني (ت440هـ)، وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد (ت بعد 460هـ)، وابن الصابوني هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله (ت423هـ)، وابن الحجال أحمد بن سعيد بن علي الأنصاري القناطري (ت 428هـ). لم يشغله التدريس عن التأليف، إذ خلف من بعده العديد من المؤلفات منها: النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على القدرية، وكتاب الأصول، وكتاب البيان، وكتاب الأموال. من مواقفه إنكاره على من عاصره من علماء القيروان، بقاءهم في مملكة بني عبيد. توفي بتلمسان سنة 402هـ، ودفن بباب العقبة[1].

- **حسن بن أبي زكون (484 – 553هـ):** هو أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل بن أبي زكون، من علماء المالكية، عالم بالحديث ورجاله، أصله من تلمسان، ارتحل إلى الأندلس لطلب العلم، فأخذ بقرطبة عن أبي محمد ابن عتاب، وبمرسية عن ابن علي الصدفي وأبي محمد بن أبي جعفر وأبي علي بن سكرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس واستقر بها إلى غاية وفاته. من مؤلفاته كتاب في الرأي[2].

- **محمد بن عبد الحق اليعفري (536 – 625هـ):** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري الكومي، فقيه مالكي، ولد بتلمسان سنة 536هـ/1141م. رحل إلى الأندلس لطلب العلم. ولي القضاء بتلمسان مرتين. كان حسن السيرة معظما عند العام والخاص. برع في الفقه والحديث وعلم الكلام. من مؤلفاته: المختار في الجمع بين المنتقى

---

[1] – الذهبي، تاريخ الإسلام...، المصدر السابق، ج28، ص ص 56 – 57. ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص ص165 – 166. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1982، ج7، ص ص102 – 104.

[2] – ابن القاضي، جذوة الاقتباس...، المصدر السابق، ج1، ص ص183 – 184. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص ص 208 – 209. عادل نويهض، المرجع السابق، ص159.

والاستذكار، وكتاب في غريب الموطأ، والتسلي عن الرزية والتحلي برضا باري البرية، ونظم العقود في رقم الحلل والبرود، والفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، والإقناع في كيفية الإسماع، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. توفي بتلمسان سنة 625هـ/1228م[1].

- **إبراهيم بن يخلف التنسي (ت670هـ):** هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، أخ أبي الحسن التنسي، ولد بتنس وأخذ عن أبي فارس عبد العزيز بن كحيلة البجائي وأبي علي ناصر الدين المشدالي. رحل إلى المشرق فأخذ هناك عن ثلة من العلماء من أمثال الشمس الأصبهاني والقرافي وسيف الدين الحنفي. عاد إلى المغرب، فاستقر بتلمسان، وانتصب بها للتدريس إلى أن وافاه أجله سنة 670هـ/1272م. أخذ عنه خلق كثير، منهم أبو عبد الله محمد بن الحاج صاحب "المدخل". خلف التنسي شرحا في عشرة أسفار على كتاب "التلقين" للقاضي عبد الوهاب أبي محمد بن نصر البغدادي، لكنه ضاع أثناء الحصار المريني الطويل لتلمسان بين سنتي 698هـ/1299م و706هـ/1307م[2].

- **عمران بن موسى المشدالي (ت670 – 745هـ):** هو أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي البجائي الأصل، التلمساني الدار، صهر الفقيه ناصر الدين المشدالي الفقيه، وصفه المقري بأنه حافظ تلمسان ومدرسها ومفتيها، كان كثير الاتساع في الفقه والجدل، مديد الباع فيما سواهما. نشأ المشدالي في بجاية، وفرَّ من الحصار الذي ضُرب عليها، وانتقل إلى مدينة الجزائر، ثمَّ أرسل إليه صاحب تلمسان أبو تاشفين الأول، وقرَّبه،

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 45 – 46. محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص420.

[2] – التنبكتي، نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص ص38 – 39. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص218. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص158 – 160. المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني)، أزهار الرياض...، المصدر السابق، ج2، ص322. محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص428.

وأحسن إليه فدرَّس بها الحديث والفقه والأصلين، والفرائض والمنطق والجدل، تتلمذ عليه جمٌّ غفير من العلماء منهم: أبو عبد الله السلاوي، والمقري، والشريف التلمساني، وغيرهم، توفي بتلمسان بعد عودته من مراكش أيام إمارة أبي الحسن المريني سنة 745هـ. له مقالة مفيدة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة، وفتاوى في نوازل مازونة[1].

– **محمد بن إبراهيم الآبلي (681 – 757هـ):** هو أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، المشتهر بالآبلي. قال عنه ابن مرزوق الخطيب بأنه شيخ المغرب في العلوم العقلية وإمام وقته، ووصفه المقري بنسيج وحده، ورُحْلَة وقته في القيام على الفنون العقلية وإدراكه وصحة نظره، وبعالم الدنيا، وأثنى عليه ابن خلدون كثيرًا.

نشأ الآبلي في كفالة جده القاضي محمَّد بن غلبون وأخذ عنه، فشبَّ على حُبِّ العلم ورغب فيه، فانتفع قديمًا بالإمام أبي الحسن التنسي، وأبي موسى ابن الإمام، بعد عودته إلى تلمسان.كانت رحلته إلى المشرق عند الحصار الطويل الذي فرضه المرينيون على تلمسان، حيث سافر إلى مصر والشام والحجاز وأدَّى فريضة الحج، ولقي العديد من أجلَّة العلماء كابن دقيق العيد.

لم يستطب الآبلي وظيفة ضبط الجباية التي وكَّله بها أبو حمو الأول بتلمسان، فغادرها إلى المغرب ولزم بمراكش العالم الشهير أبا العباس ابن البنَّاء، فتضلَّع عليه في المعقول والحكمة والتعاليم، ثمَّ التحق بشيخ الهساكرة: علي بن محمَّد بن ترروميت، فأقام عنده مدَّة قضاها في التدريس، وبعدما انتشر ذكره وذاع صيته، استقرَّ بفاس واختصَّه السلطان أبو الحسن المريني واجتباه بمجلسه الخاص، وحضر معه وقعة طريف بالأندلس ووقعة القيروان بتونس، وهناك أخذ عنه عدد من العلماء، كابن عرفة وابن خلدون، ومكث بتونس إلى أن طلبه أبو عنان بعد استيلائه على المغرب الأوسط سنة 735هـ، فوفد عليه بتلمسان، فجعله من شيوخه، ثمَّ سار معه إلى المغرب الأقصى، فظلَّ يقرأ عليه حتى توفي بفاس سنة 757هـ.

---

[1] – المقري(شهاب الدين أحمد)، أزهار الرياض...، المصدر السابق، ج5، ص30. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص220. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص ص 300 – 301. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان...، المرجع السابق، ص424.

أخذ عن الآبلي خلق كثير منهم: ابن الصباغ المكناسي، والشريف التلمساني، والرهوني، وابن مرزوق الجد، وأبو عثمان العقباني.

يبدو أن الآبلي لم يترك شيئا مكتوبا، حيث لم تذكر لنا كتب التراجم والتاريخ عن تآليفه شيئًا، ولعلَّ ذلك راجع إلى اقتناعه بنظرته المتمثلة في أنَّ فساد العلم ناتج عن كثرة التآليف والمختصرات، حيث كان يقول:"إنما أفسد العلم كثرةُ التواليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس"[1].

لقد أكدت هذه النماذج من التراجم على أن حاضرة تلمسان كانت بحق منارة علمية عبر العصور، حيث أنجبت عددا كبيرا من العلماء في مختلف التخصصات، خلدوا ذكرهم بعديد المؤلفات، التي انتفع بها من عاصرهم، وما زالت تميط اللثام عن كثير من المسائل والمشكلات.

**المبحث الثاني: حاضرة بجاية.**

هي إحدى المنارات الثقافية بالمغرب الأوسط، وثاني عاصمة للدولة الحمادية؛ تقع على الساحل بين إفريقية والمغرب. أسسها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في النصف الثاني من القرن الخامس هجري (457هـ). عرفت بالناصرية نسبة إلى مؤسسها، واتخذت عاصمة جديدة لملك الحماديين سنة 483هـ/1090م، على عهد الخليفة المنصور، مكان قلعة بني حماد، التي أصبحت عرضة لأخطار الهلاليين المتعاونين مع تميم بن المعز بن باديس، حاكم تونس الزيرية[2].

أطلق اسم بجاية على المدينة في تاريخ غير معلوم، قد يكون بعد تسمية صلداي الذي أطلقه الفنيقيون في القرن الثامن قبل الميلاد. استولى عليها الرومان ثم الوندال، الذين اتخذها

---

[1] – القرافي(بدر الدين محمد بن يحي بن عمر)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص231. ابن مريم المديوني، البستان، المصدر السابق، ص ص380 – 387. الونشريسي(أحمد بن يحي)، وفيات الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، دت، ص46.

[2] – عبد الحليم عويس، دولة بني حماد...، المرجع السابق، ص98.

حاكمهم جنسريق عاصمة له سنة 439م. سماها الفرنسيون "بوجي"، لشهرة أهلها بتجارة الشمع. وذكر ابن خلدون أن بجاية هو اسم لقبيلة بربرية كانت تقيم بموقع المدينة، لأن البربر تعودوا على إطلاق اسم أول قبيلة تحط رحالها بموقع ما، على ذلك الموقع[1]. أما دخولها تحت الحكم الإسلامي فيعود لسنة 708م، بعد أن فتح المسلمون بلاد المغرب[2].

يقول ياقوت الحموي عن سبب تأسيس بجاية أن تميم بن المعز بن باديس والي إفريقية، أوفد إلى ابن عمه الناصر بن علناس، محمد بن البعبع رسولا لإصلاح حال كانت فاسدة بينهما. وعند مرور بن البعبع بموضع بجاية لاحظ أهميته، فغدر بصاحبه، ودل الناصر على عورة تميم مشيرا عليه ببناء المدينة بعد أن بين له المصلحة في ذلك، بأن منها يكون امتلاكه للمهدية، فأمر الناصر رعاياه ببنائها وإعمارها مقابل إعفائهم من الضرائب. أما بن البعبع فلم ينفعه هروبه من أن ينال جزاء الغدر، حيث انكشف أمره عند محاولته الهرب فقتل[3].

أقيمت بجاية بموقع حصين في سفح جبل يقيها من غارات الهلاليين، مطل على خليج كاف لاستيعاب أسطول ضخم يمكنها من الهيمنة على البحر، حيث يشير صاحب الاستبصار إلى أهمية هذا الموقع الآمن بقوله:"هي مدينة عريقة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات...ليس لها طريق سهلة إلا من ناحية الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل"[4]. كما يبرز الإدريسي أهميتها التجارية حيث يقول:"...والسفن إليها

---

[1]– الغبريني، المصدر السابق، تحقيق رابح بونار، ص ص 4–5.

[2]– نفسه، ص 5.

[3] – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص339.

[4]– مجهول من مراكش، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ص129–130.

مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة...بها تحل الشدود وتباع البضائع"[1].

انبثقت النواة الأولى لدولة الموحدين من بجاية، ذلك أن لقاء عبد المؤمن بن علي مع الزعيم الروحي للموحدين محمد المهدي بن تومرت كان بمسجد ملالة[2] الذي لا يبعد كثيرا عن هذه الحاضرة؛ ومن هناك اتفقا على الإطاحة بالزيريين والحماديين والمرابطين. ويعزى ذلك إلى تفشي الفساد والإنحلال في هذه الربوع، مما دعا إلى ضرورة الإنطلاق في تقويم الإعوجاج، وإعادة الأمور إلى حالها، حيث لاحظا وهما في طريقهما إلى المغرب الأقصى فسادا أخلاقيا، من مظاهره اختلاط الرجال بالنساء، وشرب الخمر[3].

**المطلب الأول: بجاية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

يبرز مقام بجاية من خلال ما قيل عنها في كتب الرحالة والجغرافيين. يقول الغبريني واصفا النهضة العلمية التي كانت سائدة بها في عصره:"كان الناس بها على اجتهاد، وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"[4].

ذكرها صاحب الرحلة المغربية، ونوه بجمال جامعها وكثرة العلماء بها، حيث قال:"هي مدينة كبيرة، حصينة شهيرة، برية بحرية، سنية سرية، وثيقة البنيان، عجيبة الإتقان...موضوعة في سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر...لها جامع عجيب، منفرد في حسنه غريب، من الجوامع المشهورة، الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع بين سحرها

---

[1] – محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص276.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المرجع السابق، ص137.

[3] – عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص ص92 – 95.

[4]– الغبريني، المصدر السابق، ص 55.

ونحرها...وهذا البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل جلة من العلماء أعلام"[1]. كما أكد أبو علي المسيلي المعروف بأبي حامد الصغير، على أهمية هذه الحاضرة كمركز إشعاع فكري، ومحضن للعلماء، فقال نقلا عن الغبريني:"أدركت ببجاية تسعين مفتيا"[2].

وعن أهمية موقعها يقول الإدريسي الذي زارها في القرن السادس الهجري:"ومدينة بجاية على البحر، لكنها على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى ميسون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى، وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب...ومدينة بجاية في وقتنا هذا- عصر الإدريسي- مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة...ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد..."[3].

وصفها ابن فكون القسنطيني لما زارها في العهد الموحدي، بأنه لا نظير لها من حيث الجمال. جاء ذلك في قصيدة هذا مطلعها:

دع العراق وبغداد وشامهمـــــا فالناصرية ما إن مثلها بلـــــــد

بر وبحر وموج للعيون بـــــــــه مسارح بان عنها الهم والنكـــد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد

والنهر كالصل والجنات مشرقـــة والنهر والبحر كالمرآة وهـــو يد

فحيثما نظرت راقت وكل نـــــــوا حي الدار للفكر للأبصار تتقد

أن تنظر البر فالأزهار يانعـــــــة أو تنظر البحر فالأمواج تطـــرد

---

[1]- العبدري، المصدر السابق، ص ص 82-83.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص 36.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق...، المصدر السابق، ج1، ص ص 259-260.

يا طالبـا وصفها إن كنت ذا نصف  قل جنة الخلد فيها الأهل والولد[1].

ورد ذكر بجاية عند البكري الذي حل بها في القرن الخامس الهجري، حيث عظم شأنها، وبين أهمية مينائها، وأشار إلى سكانها من قبائل كتامة البربرية فقال: "مدينة بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس، بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة، وهو مرسى مأمون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس. ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل. وعلى هذا المرسى في تلك الجبال قبائل كتامة، وهي شيعة يكرمون من مال إلى مذهبهم، ويبرون من وافق اعتقادهم"[2].

**المطلب الثاني: الحياة الفكرية ببجاية:**

تمتعت "بجاية" في ظل الحماديين بسمعة وشهرة واسعة، استمدتها من معاهدها الثقافية المتعددة، وتجارتها الرائجة على الشاطئ الإفريقي، واستقبالها الفارين من محاكم التفتيش بالأندلس.كما اشتهرت بعد ذلك بقوتها البحرية التي دافعت بها عن شواطئ المغرب العربي كله، فساهمت من ثم في الحفاظ على القيم الحضارية والهوية العربية الإسلامية للمنطقة. وكان لعهود الازدهار الثقافي والانتعاش الفكري الذي شهدته لقرون عديدة أثر بالغ في أن تصبح قبلة العلماء وطالبي المعرفة، فخرجت العلماء، وأنجبت المفكرين والمبدعين رجالاً ونساء[3].

لقد أصبحت بجاية خاصة بعد اتخاذها عاصمة جديدة للحماديين، منارة من منارات العلم، تشع بنورها، وتستقطب الذين تتوق أنفسهم لطلب العلم، وذلك لما اشتهر به أمراء بني حماد من اهتمام بالحياة الثقافية، فقربوا العلماء والأدباء منهم، وأغدقوا عليهم، وجعلوا قصورهم

---

[1]– الغبريني، المصدر السابق، ص 3.

[2]– البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دت، ص 82.

[3]– الغبريني، المصدر السابق، ص 7.

منابر فكرية. فقد بلغت بجاية درجة عالية من الرقي في مختلف الآداب والعلوم والفنون، خاصة في عهد المنصور بن الناصر الذي نقل قاعدة ملكه إليها سنة 483هـ/1090م. كما وصفت هذه الحاضرة بأنها دار هجرة العلماء، فالهجرة الأولى إليها تمثلت في قدوم رجال الفكر والأدب من قلعة بني حماد التي كانت بدورها دار علم وأدب، والثانية تسببت فيها المحنة التي حلت بمسلمي الأندلس، والتي أرغمتهم بما فيهم العلماء على الفرار من الاضطهاد المسيحي باتجاه سواحل الشمال الإفريقي، فكانت بجاية على غرار المدن الساحلية للمغرب الأوسط، مقصدا لهؤلاء. ويضاف إلى العلماء، طلبة العلم الذين شدوا إليها الرحال من كل مكان، قاصدين علماءها ومعاهدها[1].

بنهاية العهد الحمادي وبداية عهد جديد مع الموحدين، فتحت بجاية صفحة جديدة في تاريخها الثقافي، فاستمر ازدهارها الفكري، وأصبحت معقلا للحركة العقلية التي عرفها المغرب الإسلامي آنذاك، يفد إليها أهل العلم والأدب من كل حدب وصوب، خاصة في عهد عبد المؤمن بن علي، الذي شجع العلم والعلماء، برفعه الحظر عن أصناف من الكتب التي كانت ممنوعة زمن المرابطين ككتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والسماح بقراءتها على كراسي المساجد، وتشجيعه لحركة التأليف؛ الأمر الذي جعلها مقصدا لمشاهير العلماء ورجال الفتوى والقضاء خاصة من العدوة الأندلسية، فنبغ بهذه الحاضرة عدد كبير من الشعراء والكتاب[2].

لم يخب البريق العلمي لبجاية بنهاية الحكم الموحدي للمغرب الأوسط، وإنما واصلت رسالتها الحضارية لما آل أمرها إلى الحفصيين، وحافظت على مكانتها العلمية، بل أصبحت تنافس

---

[1] – بجاية في التاريخ والحضارة (استطلاع)، مجلة الأمة القطرية، العدد 63، قطر، نوفمبر 1985.

[2] – الغبريني، المصدر السابق، ص2. مريم هاشمي، إسهام علماء بجاية في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي خلال القرنين7و8هـ/ 14و15م، دورية كان التاريخية، العدد 21، سبتمبر 2013، ص ص118 – 122.

تونس عاصمة الدولة الحفصية[1]. وظلت متألقة في ظل المد والجزر الذي شهدته نتيجة الصراع الحفصي الزياني بالمنطقة، والشاهد على ذلك العدد الهائل من العلماء الذين تخرجوا منها، ولم يتسع كتاب عنوان الدراية للغبريني من إحصائهم جميعا.

**المطلب الثالث: نماذج من علماء بجاية.**

أنجبت بجاية كغيرها من الحواضر الكبرى بالعالم الإسلامي مشرقا ومغربا، أعدادا كبيرة من رجال العلم الذين ذاع صيتهم، بما وصلوا إليه من مستوى فكري راقي، وبما أنتجوه في شتى العلوم والفنون. ومن هؤلاء نذكر:

- **أبو القاسم محمد بن أحمد (ت674هـ/1276م):** هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن اندراس، ينحدر من مرسية بالأندلس. حل ببجاية سنة 660هـ، وانتصب لإقراء الطب واللغة العربية بها. تتلمذ عليه الغبريني الذي قرأ عليه قانون أبي موسى الجزولي في الطب، وأرجوزة ابن سينا. كما حضر مجالس إقرائه كل من القاضي أبو عبد الله محمد بن يعقوب المرسي، والفقيه أبو بكر بن القلاس. تولى طب الولادة وبعض التخصصات الطبية الأخرى ببجاية، ثم انتقل إلى تونس بطلب من السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المستنصر، الذي جعله من سلك أطبائه، ومن جملة جلسائه. له رجز في نظم بعض الأدوية استكمله أثناء مقامه ببجاية. توفي بتونس سنة 674هـ[2].

- **أبو العباس أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م):** هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن علي الغبريني، ولد حوالي سنة 644هـ/1246م بأعالي وادي سيباو. حفظ القرآن وتلقى مبادئ العربية والفقه بمسقط رأسه. انتقل إلى بجاية التي كانت آنذاك حاضرة علم

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية في الجزائر: مدرسة بجاية ومكانتها في الحياة الثقافية في المغرب الأوسط 6-7هـ/ 12-13م، السجل العلمي لندوة الأندلس، القسم الثالث، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996، ص83.

[2] – الغبريني، المصدر السابق، ص ص75 – 76.

وقاعدة ملك ومستقرا لعلماء الأندلس، فقرأ هناك على كثير من المشايخ فاق عددهم السبعين منهم: عبد الحق بن ربيع، وعبد الله التميمي، وأبو العباس بن خالد، وأبو سعيد الحسن، وأبو عبد الله الكناني. اهتم الغبريني بالفقه والتاريخ والشعر. تولى القضاء ببجاية وغيرها. نال حظوة في البلاط الحفصي أيام حكم السلطان خالد بن يحي، فاغتاظ حساده، ولفقوا له تهمة تأليب الرعية على السلطان، فألقي عليه القبض، وقتل بسجنه سنة 704هـ/1304م، مخلفا وراءه كتابا مهما في تراجم أعلام بجاية سماه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، والذي ترجم فيه لأكثر من مائة وأربعين من رجال القرن السابع الهجري، عاصر أكثرهم العهدين الموحدي والحفصي[1].

- **أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت628/هـ/1230م):** هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي، ولد بسوق حمزة سنة 548هـ/1150م. تلقى تعليمه الأولي بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى بجاية للاستزادة من علمائها، فدرس على أبي مدين شعيب، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، وأبي علي المسيلي، وميمون بن جبارة. زار بعض حواضر بلاد المغرب كتلمسان وفاس، قبل أن يعبر إلى الأندلس لحضور مجالس التدريس بحواضرها. تولى القضاء بالجزيرة الخضراء، ثم عاد إلى المغرب سنة 613هـ/1216م، وتولى قضاء سلا، وانتقل بعد ذلك إلى مراكش إلى أن توفي بها سنة 628هـ.

خلف بن حماد الصنهاجي بعض المؤلفات في التاريخ واللغة والأدب منها: أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، والنبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة، وتلخيص لتاريخ الطبري، وشرح لكتاب

---

[1] - الونشريسي، وفيات الونشريسي، المصدر السابق، ص8. محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215. عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1986، ج4، ص240 - 242. الكتاني(عبد الحي بن عبد الكبير)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ص ص883 - 884. ابن القاضي المكناسي، درة الحجال...، المصدر السابق، ج1، ص ص10 - 11.

العلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، وشرح مقصورة بن دريد وعجالة المودع وعلالة المشيع في الأدب والشعر[1].

هذه النماذج من التراجم، أثبتت بما لا يدع مجالا للشك بأن بجاية كانت منارة علمية متألقة، ضاهت بمستواها الثقافي الحواضر الكبرى في العالم الإسلامي، كتلمسان وفاس والقاهرة وبغداد ودمشق.

**المبحث الثالث: حاضرة تيهرت.**

تيهرت هي واحدة من أعرق حواضر المغرب الأوسط، أسسها عبد الرحمن بن رستم بين سنتي 155 و156هـ، إثر انهزام الإباضيين في طبنة أمام القوات العباسية بقيادة يزيد بن حاتم. أقيمت هذه المدينة بموقع حصين غير بعيد عن جبل سوفجج موطن قبيلة لماية. ويعود اختيار هذا المكان لعدة أسباب، منها الحلف القائم بين بن رستم وقبيلة لماية[2]، وخصوصيات المكان المتمثلة في جودة الهواء، وكثرة الماء، وخصوبة الأراضي[3]، وموقعها الذي يتوسط التل والصحراء، ويجعلها ملتقى للطرق التجارية[4]، إضافة إلى وجود مجموعة من القبائل الإباضية في محيطها، وهو ما يشير إليه البكري بقوله: "وبقبليها لواطة وهوارة في قرارت، وبغربيها زواغة، وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة"[5]. وتيهرت كلمة بربرية، اختلف مستشرقان فرنسيان حول معناها؛ إذ يرى أحدهما أنها تعني"محطة"، في حين تعني"إقامة"

---

[1] – ابن الخطيب(لسان الدين)، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص ص94 – 95. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي...، المرجع السابق، ص ص90 – 93.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج5، ص 362.

[3]– الباروني(سليمان باشا)، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، موقع الاستقامة، دت، ج2، ص7.

[4] – محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي"حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس"(160–299هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص 97.

[5] – البكري، المصدر السابق، ص 67.

عند الثاني. ويبدو أن هذه التسمية تنطبق على موقع المدينة على الطريق التجاري الذي كان يربط بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب[1].

**المطلب الأول: تيهرت من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

ازدهرت تيهرت وبلغت شهرتها الآفاق، وشدت إليها الرحال للتجارة والسكن والعيش الرغيد الآمن، مما جعل الكتاب والرحالة يقصدونها ويشيدون بها، ومن ذلك ما قاله المقدسي واصفا إياها بقوله:"... هي بلخ المغرب، قد أحدقت بها الأنهار، والتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها العين، وجل بها الإقليم، وانتعش فيه الغريب، واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق وأخطأوا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا، هو بلد كبير، كثير الخير رحب، رفق، طيب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الوضع، محكم الرصف، عجيب الوصف، غير أنه متى يقاس المغرب بالشام، وأين مثل دمشق في الإسلام"[2]. وقال عنها ابن حوقل:"تيهرت مدينة كبيرة خصبة، كثيرة الزرع. وقد قيل أن كورة تيهرت من إفريقية، وهي غربي سطيف، وهي كانت قاعدة الغرب الأوسط. وكان بها مقام بني رستم، حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر"[3]. تطرق البكري إلى موقعها وعمرانها وثمارها وقساوة مناخها فقال:"ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب، باب الصف وباب المنازل وباب الأندلس...وهي في سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة. وهي نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينه، وهو في قبليها، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تاتش. ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها، وهو في شرقيها، وفيها جميع الثمار. وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما...وهي

---

[1]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، ط2، 1993، ص 90.

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص 128.

[3]- أبو الفدا، المصدر السابق، ص 139.

شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج"[1]. قال الشاعر التيهرتي أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل، واصفا قساوة المناخ ببلدته:

ما أخشن البرد وريعانـــــه وأطرف الشمس بتيهـــــرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كـــأنها تنشـــــر من تحت

فنحن في بحر بلا لجـــــتة تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفـــرحة الذمي بالسبت[2].

تحدث الإدريسي بدوره في نزهته عن هذه الحاضرة من حيث الموقع والتاريخ، ونشاطات أهلها، وأهم منتجاتها الزراعية والحيوانية، فقال:"وبين مدينة تاهرت والبحر مراحل...كانت فيما سلف من الزمن مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة والأخرى محدثة...بها ناس وجمل من البرابر، ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة. وبأرضها مزارع وضياع جمة. وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن. وأما البقر والغنم، فكثيرة بها جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة. وبمدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة، وبالجملة إنها بقعة حسنة"[3].

لم يتخلف ياقوت الحموي عن الرحالة الذين كتبوا عن تيهرت، فأكد على قساوة مناخها بقوله:"...وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى أن الشمس بها قل أن ترى. ودخلها أعرابي من اليمن يقال له أبو هلال، ثم خرج إلى السودان، فأتى عليه يوم له وهج وحر شديد وسموم في تلك الرمال، فنظر إلى الشمس مضحية راكدة على قمم الرؤوس وقد صهرت

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص ص 66-67.

[2]- نفسه، ص 67.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق...، المصدر السابق، ج1، ص ص 255-256.

الناس، فقال مشيرا إلى الشمس: أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتيهرت"[1].

**المطلب الثاني: نماذج من علماء تيهرت.**

لم يكن لتيهرت ذكر قبل مجيء الإباضيين إلى المنطقة في منتصف القرن الثاني للهجرة، بعد انهزامهم أمام العباسيين في طبنة. لكن بتأسيسها على يد عبد الرحمن بن رستم سنة 156هـ في موقع استراتيجي وسط مجموعة من القبائل الإباضية، وفي طريق القوافل التجارية، وبوصول المساعدات المالية الضخمة من إباضية المشرق، ازدهرت المدينة في شتى الميادين، خاصة الميدان الثقافي لما لقيه من تشجيع من طرف الأئمة الرستميين، الذين كانوا انفسهم رجال علم، وأصبحت من الحواضر العلمية الهامة في المغرب الأوسط، ومحجا للعلماء وطلبة العلم خاصة الإباضيين منهم. ومن أعلام تيهرت البارزين ما يلي:

- **ابن الصغير التيهرتي (ت بعد300هـ/912م):** ابن الصغير شخصية تيهرتية لا تتوفر معلومات كثيرة عنها، باستثناء إشارات خفيفة أوردها بنفسه في كتابه " أخبار الأئمة الرستميين ". فقد يكون مترجمنا قد ولد بتيهرت، أو قدم إليها صغيرا أيام حكم أبي اليقضان بن أفلح (241 – 281هـ)، وهو ما يستنتج من عبارة وردت في كتابه وهو يتكلم عن أبي اليقضان هذا نصها: "وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته، وحضرت مجلسه"[2].

اكتسب ابن الصغير ثقافته الدينية بحضور المناظرات التي كانت تجري بالمسجد الجامع بتيهرت، وبتردده على بعض علماء الإباضية والأخذ عنهم؛ إذ أخذ علوم اللغة والكلام

[1]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص ص 7-8.

[2] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص 44.

ومسائل الفقه عن أبي عبيدة الأعرج، وقرأ عليه كتاب إصلاح الغلط لابن قتيبة. ولعل اشتغاله كنساخ أو بائع للكتب كان له أثره في توسيع مداركه اللغوية والفقهية[1].

اشتهر مؤرخ الرستميين بكتابه الذي تضمن تاريخ الأئمة الرستميين وأهم إنجازاتهم الحضارية، والذي اعتمد في تأليفه على مشاهداته بتيهرت والأحداث التي عاصرها بها، وعلى ما رواه له بعض شيوخ الإباضية[2]. ويلاحظ من خلال كتابه أنه كان مخالفا للمذهب الإباضي السائد بتيهرت آنذاك، مما يوحي بوجود تسامح ديني وحرية في المعتقد.

- **بكر بن حماد (200هـ/815م – 296هـ/908م):** هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن ابي إسماعيل الزناتي التاهرتي، من شعراء عصره، فقيه ومحدث. ولد بتيهرت، ثم رحل إلى المشرق قاصدا البصرة سنة 217هـ، وأخذ هناك عن مسدد الأسدي، والتقى بثلة من الشعراء من أمثال أبي تمام، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم. عاد إلى القيروان فأخذ عن عون بن يوسف الخزاعي وسحنون بن سعد، وتصدر للإقراء بجامعها، فقصده كثير من أهل المغرب والأندلس. عاد إلى تيهرت سنة 295هـ، فقتل اللصوص ابنه عبد الرحمن وهو معه في طريق عودته، فعبر عن لوعته وترجم حزنه بقصيدة هذه بعض أبياتها:

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت بكوا عليـــا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخـــرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا

كفـــى حزنا بأني منك خلو وأنك ميت وبقيت حيـــــا

دعـــوتك يـــا بني ولم تجبني فكانت دعوتي يأسا عليـــا

ولم أك آيسا فيئست لمـــــا رميت الترب فوقك من يديا

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 13.

[2] – إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 371.

فليت الخلق إذا خلقوا أطالوا ولیتك لم تك يا بكر شيئـــا

تسر بأشهر تمضي سراعـــا وتطوي في لياليهن طيـــــا

فلا تفرح بدنيا ليس تبقـــى ولا تأسف عليها يا بنيـــــا

فقد قطع البقاء غروب شمس ومطلعها علي يا أخيـــــا

وليس الهم يجلوه نهـــــار تدور له الفراقد والثريـــــا[1].

على الرغم من قصر عمر تيهرت كعاصمة للرستميين، إلا أنها أنجبت من الرجال ما عظم شأنه وذاع صيته، كابن الصغير الذي كان له الفضل في حفظ وقائع حقبة مهمة من تاريخ الإباضية بهذه الحاضرة.

**المبحث الرابع: حاضرة المسيلة.**

هي مدينة من إنشاء العبيديين لما أخضعوا المغرب الأوسط لسلطانهم. اختطها أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سنة 315هـ/927م، وعهد ببنائها إلى أحد قادته يدعى أبو الحسن علي بن حمدون الأندلسي[2]. ويشير صاحب معجم البلدان أن موضع المسيلة كانت تقيم به قبيلة بني كملان البربرية الخارجية، فأمر بن عبيد الله بنقل أهلها إلى فحص القيروان، وذلك سنة 305هـ/917م[3]. أما إسماعيل العربي نقلا عن حسن الوزان، فيقول عنها أنها مدينة قديمة بناها الرومان في أطراف الصحراء النوميدية، على مسافة 140 ميل من بجاية، في حين يشير مترجم كتابه أن المسيلة أقيمت على أنقاض المدينة الرومانية

[1] – بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966، ص ص87 – 88.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص87. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص214–215.

[3] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص ص64–65.

"زابي"[1]. عرفت في البداية باسم المحمدية نسبة إلى مؤسسها، وبلغت من الحضارة والعمران ما جعلها مقصدا للعلماء وطلبة العلم. ومما شجع على التوجه إليها، تشجيع بانيها علي بن حمدون للثقافة، وتقريب أهل العلم منه، واتباع ابنه جعفر بن علي نهجه من بعده، فقرب إليه الأدباء والشعراء أمثال ابن هانئ الأندلسي، الذي أصبح ضمن مجلسه، بعد إعجابه بالقصيدة التي مدحه بها[2]. ومن الأبيات الواردة فيها ما يلي:

خلقت شهابا يضيئ الخطوب ولست شهابا يضيئ الظلم
فلو كنت حيث نجوم السماء لما كان في الأرض رزق قسم
كرمت فكنت شجى للكرام فلم تترك القطر حتى لؤم
وإنك من معشر طفلهم يتوج قبل بلوغ الحلم
وسعوا إلى المجد قبل الفطام فكيف يكون إذا ما فطم
تشيع فيكم لساني فمن تشيع في قوله لم يلم
إلى جعفر يتناهى المديح وفيه تثير القوافي الحكم[3].

**المطلب الأول: المسيلة من خلال كتب الرحالة والجغرافيين.**

ورد ذكر هذه الحاضرة الإسلامية في كتب العديد من الجغرافيين والرحالة؛ فهذا ابن حوقل يقول عنها:"وهي مدينة محدثة، استحدثها علي بن الأندلسي أحد خدام بني عبيد وعبيدهم، وعليها سور حصين من طوب، ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق، ولهم عيه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم، ولهم من

[1] – إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص163.
[2]– بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 347–348.
[3] – ابن هانئ الأندلسي، المصدر السابق، ص329 وما بعدها.

السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس، ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر، وعليها من البربر بنو برزال وبنو زنداج وهوارة مزاتة وعليهم صدقات وخراج غزير"[1].

أبدع البكري في وصفها وسرد تاريخها فقال:"هي مدينة جليلة على نهر يسمى سهر، أسسها إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة. وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بم منصور الجذامي المعروف بالأندلسي...وهي مدينة في بساط من الأرض، عليها سوران بينهما واد ماء يستدبر بالمدينة، وله منافذ تسقي منه عند الحاجة. وللمدينة أسواق وحمامات، وحولها بساتين كثيرة، ويجود عندهم القطن. وهي كثيرة اللحم، رخيصة السعر، وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسبها. وبقرب منها جبل عجيسة وهوارة وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة"[2].

كما ورد ذكر هذه الحاضرة على لسان الإدريسي، الذي لم يختلف وصفه لها عما ورد في كتابات غيره من الرحالة والجغرافيين، حيث ذكر تاريخ وصاحب البناء، وعدد منتجاتها الزراعية والحيوانية، بقوله:"...استحدثها علي بن الأندلسي في ولاية إدريس بن عبد الله...وهي عامرة في بسط من الأرض، ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه، ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار، وجنات وعيون وفواكه وبقول، ولحوم ومزارع قطن وقمح وشعير، ويسكنها من البربر بنو برزال ودنداح وهوارة وصدراتة ومزاتة...وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الأرض، وليس بالعميق، وهو عذب وفيه سمك صغير"[3].

---

[1]– ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 85.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص 59.

[3]– الإدريسي، نزهة المشتاق...، المصدر السابق، ج1، ص 254.

زارها حسن الوزان وقال عنها:"مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا داخل الأراضي، على نحو مائة وأربعين ميلا من بجاية. الأسوار المحيطة بها جميلة...والسكان كلهم صناع أو فلاحون"[1].

**المطلب الثاني: نماذج من علماء المسيلة.**

على غرار مختلف حواضر المغرب الأوسط، أنجبت المسيلة العديد من العلماء واستقطبت آخرين. من هؤلاء وألئك نذكر:

**الحسن بن رشيق المسيلي**(390 – 456هـ): هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي مولدا، القيرواني نشأة. ولد سنة 390هـ بالمسيلة التي كانت تسمى المحمدية آنذاك في جو يسوده العلم والرقي الثقافي. غادرها متوجها إلى القيروان وهو في السادسة من عمره، والتحق ببلاط الأمير الصنهاجي المعز بن باديس الذي أكرمه. اضطره الغزو الهلالي للقيروان وما خلفه من خراب إلى التوجه نحو المهدية، ومنها إلى صقلية التي توفي بها سنة 456هـ. أخذ العلم على مجموعة من المشايخ منهم: أبو عبد الكريم محمد النهشلي المسيلي(ت405هـ)، وأبو الحسن علي بن أبي الرجال (ت427هـ)، وأبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي(ت412هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الأنصاري(ت413هـ).

خلد ابن رشيق ذكره بمؤلفات كثيرة أهمها: العمدة في صناعة الشعر ونقده، وشذرات الذهب، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وطراز الأدب، وغرائب الأوصاف ولطائف التشبيهات، وأرواح الكتب، ومعالم التاريخ، وميزان العمل في تاريخ الدول، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان، والروضة الموشية في شعراء المهدية، والشذوذ في اللغة[2].

---

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.

[2] – ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص ص 85 – 89. القفطي(أبو الحسن علي بن يوسف)، انباه الرواة...، المصدر السابق، ج1، ص ص333 – 339. ياقوت الحموي، معجم الأدباء...، المصدر

**أبو علي المسيلي**(ت580هـ/1184م): هو أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي. عرف بأبي حامد الصغير، تشبيها له بأبي حامد الغزالي. جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن. له مصنفات كثيرة منها: التذكرة في أصول علم الدين، والنبراس في الرد على منكر القياس، والتفكر فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات؛ إذ سلك في هذا الأخير مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء. تولى قضاء بجاية في محيط كان يعج بالفقهاء والعلماء، حيث يذكر صاحب عنوان الدراية عنه أنه قال:"أدركت ببجاية تسعين مفتيا، ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون"[1]. كان له مجلس مع الفقيهين أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي، بحانوت عرف بمدينة العلم لاجتماع الثلاثة فيه[2].

**المبحث الخامس: حاضرة وارجلان.**

وارجلان هي واحدة من المدن الصحراوية بالمغرب الأوسط. تقع في الجنوب الشرقي منه. عرفت في المصادر الإسلامية بتسميات مختلفة أبرزها: وارجلان، وارجلا، واركلة، وركلان، ورقلة. ولم تذكر فيما أعلم بأي اسم قبل ذلك، باستثناء إشارات إلى من سكنوا المنطقة وعلاقاتهم مع المنطقة الشمالية المحاذية لها، والخاضعة للسيطرة الأجنبية. ولم يرد اسمها إلا

---

السابق، ج3، ص ص861 – 865. ابن العماد(شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1989، ج5، ص ص237 – 239. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)،بغية الوعاة...، المصدر السابق، ج1، ص504.

[1] – الغبريني، المصدر السابق، ص36.

[2] – نفسه، ص ص33 – 39. التنبكتي، نيل الإبتهاج...، المصدر السابق، ج1، ص ص 155 – 157.

في منتصف القرن الثاني للهجرة/السابع للميلاد، يوم بلغت الدولة الرستمية أوجها، واتسع سلطانها ليشمل المجال الجغرافي لهذه الحاضرة[1].

**المطلب الأول: وارجلان من خلال المصادر.**

وردت باسم "وارجلان" في المصادر التي أرخت لسقوط دولة بني رستم، ككتاب سير الأئمة وأخبارهم، لأبي زكريا يحي الذي عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لما أشار إلى الطريق الذي سلكه وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى، حيث قال:"فخرج عبيد الله متوجها إلى سجلماسة، فجاز بطريقه على وارجلان"[2]. وذكرها عبيد الله البكري الذي عاصر أبا زكريا يحي بنفس التسمية في قوله:"فإن أردت من تادمكة إلى القيروان، فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان...وبين وارجلان وقلعة أبي الطويل مسيرة ثلاثة عشر يوما"[3].

يلاحظ أن صاحبي المصدرين السابقين لم يعطيا تفسيرا لمدلول هذه التسمية، على الرغم من الوصف الدقيق الذي جاء على لسان البكري، بذكره للموقع والحصون السبعة والسكان.

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ذكرها الإدريسي باسم"وارقلان"، وأشار إلى تطورها الإقتصادي، مستدلا بشراء تجارها للذهب من السودان الغربي، وتحويله إلى عملة، حيث قال:"...واشترى أكثره (يقصد التبر) أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى، وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم، فيضربونه دنانير، ويتصرفون بها في التجارات والبضائع..."[4].

---

[1] – أحمد ذكار، مدينة ورقلة"التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 17، ديسمبر 2014، ص 160.

[2] – أبو زكريا يحي، المصدر السابق، ص 109.

[3] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 182.

[4] – الإدريسي، نزهة المشتاق...، المصدر السابق، ج1، ص ص 24 – 25.

وردت باسم "ورجلان" في معجم ياقوت الحموي الذي عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إذ عرفها بما يلي:"ورجلان بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون، كورة بين إفريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر، كثيرة النخل والخيرات، يسكنها قوم من البربر ومجانة، واسم مدينة هذه الكورة فجوهه"[1]. واستعمل الدرجيني المعاصر لياقوت الحموي التسمية نفسها عند ترجمته لعلماء المنطقة، إذ كان يقرن أسماءهم باسم مدينتهم، مثل ذكره لأبي زكرياء يحي الوارجلاني، وأبي يعقوب يوسف الورجلاني، وأبي عمار الكافي الوارجلاني، وغيرهم[2].

"واركلان" تسمية أخرى أطلقها عليها صاحب كتاب الجغرافيا الذي عاش بدوره في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، لكن دون الإشارة إلى المصدر والمعنى، بل اكتفى كسابقيه ومعاصريه بالوصف الدقيق للمدينة والإشارة إلى الحركة التجارية النشيطة. قال عنها:"...ومدينتها تسمى واركلان، حيث الطول عشرون درجة ونصف، والعرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق. وهي بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"[3].

في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، زار أبو حمو موسى الثاني(723هـ – 1321م/ 791هـ – 1389م) مدينة ورقلة بعد تعرضها لغزو خارجي، ورثاها بقصيدة جاء في أحد أبياتها: وجئت وارجلان وجزت مصابها لا مخبر غير الصلاد الأعاجم[4].

---

[1] – يا قوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 371.

[2] – الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 62.

[3] – ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970، ص 126.

[4] – عبد الرحمن الجيلالي، أبو يعقوب الوارجلاني...، المرجع السابق، ص 164.

اختلف عبد الرحمن بن خلدون في مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي مع من سبقه في تسمية المدينة، حيث سماها "واركلا" بكسر الكاف ودون نون أو تاء في آخر الكلمة. وذكر أن التسمية تعود إلى قبائل بني واركلا الزناتية، التي أسستها بعد قدومها من منطقة الزاب. يقول صاحب العبر في هذا الصدد:"بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة كما تقدم، من ولد فرني بن جانا...وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة...بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة. ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا"[1].

جاء حسن الوزان في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بطرح جديد، فأرجع تأسيس المدينة إلى العهد النوميدي مخالفا بذلك من سبقوه، لكنه لم يأت بالأدلة. وسماها "وركلة" بنصب الواو وسكون الراء وتسكين الكاف مع ثلاث نقاط فوقها ونصب اللام. وصفها وصفا دقيقا بالإشارة إلى عمرانها وثمارها وثرائها، حيث قال:"وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيء ودور جميلة، وحولها نخل كثير. ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناع فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا..."[2].

أما تسمية ورقلة، فلم تظهر إلا في المصادر المعاصرة، خاصة الفرنسية منها[3].

هكذا إذن عرفت ورجلان بتسميات مختلفة عبر تطورها التاريخي وإن كانت متقاربة في النطق، لكن ما كان محل إجماع من أرخوا للمدينة هو مكانتها الفكرية بين الحواضر الإسلامية التي عاصرتها.

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 2000، ج7، ص69.

[2] – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 136 – 137.

[3] –J . Delheure : Vivre et mourir à Ouargla . Paris . 1988. p. 11.

**المطلب الثاني: تطور النشاط الفكري بوارجلان.**

يظهر تطور النشاط الفكري لمدينة وارجلان من خلال ما أنجبته من علماء في مختلف العلوم والفنون، خلال تطورها التاريخي، إذ خلف هؤلاء تراثا غزيرا في شتى المجالات. ويعود هذا الإزدهار الثقافي إلى عوامل كثيرة أهمها:

– سقوط الدولة الرستمية نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وانتقال نشاطاتها الفكرية إلى منطقتي وارجلان ووادي ريغ.

– كون وارجلان كانت مركزا لكتب الفقه والتاريخ الإباضيين الآتية إليها من مختلف الحواضر الإباضية.

– ازدهار التجارة الخارجية مع مختلف الأمصار خاصة بلاد السودان.

– كانت محطة عبور القوافل لوقوعها ضمن شبكة الطرق التجارية الرئيسية.

– توفرها على الأمن في معظم الأحيان.

– أهمية موقعها بين التل والصحراء.

– اتساع عمرانها وثراء سكانها[1].

**المطلب الثالث: نماذج من علماء وارجلان.**

من العلماء الذين أنجبتهم أو احتضنتهم ورجلان ما يلي:

**أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي**(345 – 440هـ/956 – 1049م): هو أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي. ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة. يعد من المصلحين الدينيين والإجتماعيين، وهو مؤسس حلقة العزابة المشهورة عند الإباضية. أخذ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ثم تنقل بين عدة حواضر كالقيروان وجربة للاستزادة. انتقل

[1] – إلياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص 129.

من مرحلة التعلم إلى مرحلة التعليم، فأسس عدة حلقات لنظام العزابة وذلك بكل من: تين يسلي، وقصطيلية، وطرابلس، وجربة، ووارجلان. عرف بمحمد السائح لكثرة سفره بطلابه عبر ربوع المغرب الإسلامي من نفوسة شرقا غلى وادي ميزاب غربا، في مهمة تعليمية وفق النظام الذي وضع أسسه. من منجزاته بناء مسجد فرسطاء، وتوسيع مجال انتشار المذهب الإباضي. أما عن مؤلفاته فلم يشر من ترجموا له إلى أي عنوان، باستثناء ما جمعه تلامذته من فتاويه وحكمه في مؤلفاتهم، مثل كتاب "التحف المخزونة" لتلميذه سليمان بن يخلف، الذي ما يزال مخطوطا[1].

**سليمان بن يخلف**(ت471هـ/1079م): هو أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي الوسلاتي النفطي القابسي. تعددت نسبته لكثرة تنقلاته بين مواطن الإباضية ببلاد المغرب، إما طلبا للعلم أوسعيا لنشره. هو أحد تلامذة أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي. قرأ عليه الأصول، ثم انتقل إلى جربة لدراسة الفروع. أفنى شبابه في الدراسة، وبقية عمره في التدريس حتى صار من أكابر العزابة لاتخاذه حلقة متنقلة جاب بها عدة محطات في البلاد الإباضية، فحل بوارجلان سنة 449هـ/1057م. تتلمذ عليه طلاب كثر منهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي، وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وأبو محمد ماكسن بن الخير. خلف مترجمنا عدة مصنفات أبرزها: كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، كتاب السير الذي تناول فيه آداب طلب العلم، وكتاب في علم الكلام وأصول الفقه، وفصل في اختصار مسائل من ترتيب المعلقات[2].

**أبو زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني**(ق5هـ/11م): ولد ونشأ بوارجلان. درس التراجم والسير والآثار بمسقط رأسه على يد خاله أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم. انتقل إلى طرابلس

[1] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص 166 – 170.

[2] – نفسه، ج2، ص ص 341 – 344.

لمواصلة دراسته، ثم لازم بالجريد أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وأخذ عنه الكثير. عاد إلى وارجلان سنة 474هـ/ 1081م، وانتصب للتدريس. من تلامذته: أبو الربيع الوسياني وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي. من أهم آثاره كتاب السيرة وأخبار الأئمة الذي أرخ فيه للتاريخ الإباضي ببلاد المغرب، وترجم للعديد من أعلام المذهب في الجريد ووارجلان ووادي ريغ خلال القرنين 4 و5هـ/10 و11م. توفي بعد سنة 504هـ/1111م[1].

يستخلص مما سبق أن حاضرة وارجلان كانت خلال مسارها التاريخي واحدة من منارات العلم التي استقطبت اهتمام الكثير من الطلبة والعلماء الإباضيين، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية وما ترتب عن ذلك من مضايقات واضطهاد من طرف العبيديين الشيعة.

لم تكن حواضر المغرب الأوسط أقل شأنا من نظيراتها في العالم الإسلامي، ذلك أنها أنجبت كلها علماء أجلاء، أثبتوا تفوقهم في شتى دروب العلوم والفنون، بشهادة معاصريهم من مشايخ وطلاب علم، وباعتراف عديد الحكام والأمراء والسلاطين، حيث ضموا الكثير منهم إلى مجالسهم، وأسندوا لبعضهم وظائف هامة كالفتيا والقضاء.

[1] – أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص14. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 448 – 451.

الخاتمة

بعد محاولتي هذه لتسليط الضوء على واقع التعليم بالمغرب الأوسط بين القرنين 4 م7هـ/10 و13م، خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها ما يلي:

– لم تؤثر الأوضاع السياسية والأمنية التي ميزت المغرب الأوسط خلال الحقبة التاريخية المدروسة على الحركة الفكرية بشكل كبير. ذلك أن حكام المغرب الأوسط تميزوا بعنايتهم بالثقافة والعلوم والآداب والفنون، فقربوا إليهم العلماء، وشجعوهم على التدريس والتأليف، وأغدقوا عليهم الأموال، وبنوا لهم الكتاتيب والمساجد والزوايا. كما وفروا لطلاب العلم كل ما من شأنه أن ييسر لهم سبل التحصيل، فأصبحت بذلك حواضر المغرب الأوسط قبلة يقصدها العلماء والطلبة من كل حدب وصوب.

– برز كثير من الحكام في حقل المعرفة، إذ لم تخل فترة من فترات الحكم التي مرت بها المنطقة، إلا وبرز أحدهم في حقل من حقول العلم، وعادة ما يكون الزعيم الروحي في الدول التي قامت على أساس مذهبي، كعبد الرحمن بن رستم عند الرستميين، وعبد الله بن ياسين عند المرابطين، والمهدي بن تومرت عند الموحدين.

– كان الكثير من علماء المغرب الأوسط موسوعيين، حيث لم يقتصروا على التخصص في علم واحد، وإنما لمع الكثير منهم في علوم مختلفة، كما تشير إلى ذلك تراجمهم.

– غاب التوظيف السياسي للدين في عهد بعض الحكام أمثال يغمراسن بن زيان، الذي كان كثير الاهتمام بالعمران، خاصة المنشآت الدينية، فقام بتوسيع المساجد وتأثيثها، حيث رمم الجامع الأعظم وأثثه وبنى مئذنته ومئذنة مسجد أغادير، لكنه لم يكن يستغل المنبر، بل رفض حتى كتابة اسمه على منجزاته.

– بدا الصراع المذهبي جليا في الساحة العلمية من خلال حظر دراسة بعض الكتب، أو فرض كتب ومناهج معينة، مثل السياسة العبيدية في المنطقة والتي من مظاهرها التضييق على المخالفين للمذهب الشيعي، مقابل الاهتمام بدعاة الشيعة. وإحراق المرابطين لكتاب

الإحياء لأبي حامد الغزالي بإيعاز من علماء البلاط. ومحاولة الموحدين فرض مذهبهم الظاهري في بداية عهدهم.

– عانى العلماء كثيرا عند تغير نظام الحكم، إذ كثيرا ما كانوا يلجِؤون إلى الهجرة فرارا من جور وتسلط الحكام.

– لم تفلح محاولات استئصال المذهب المالكي من المغرب الأوسط، على الرغم من التضييق على أهله، وفسح المجال أمام أنصار المذاهب الأخرى، وذلك لتمسك أهل المنطقة به؛ إذ لم يفلح الموحدون مثلا في فرضه بالقوة، مما أرغمهم على إقراره في النهاية.

– ساهم المغرب الأوسط عبر العصور في بناء الحضارة الإنسانية، بما أنجبته مؤسساته التعليمية المختلفة من علماء، أفادوا بإقرائهم في الحياة، وبمؤلفاتهم حتى بعد المماة.

– أصبحت حواضر المغرب الأوسط قبلة للعلماء وطلبة العلم، لما وصلت إليه من شهرة بين حواضر العالم الإسلامي الأخرى، ودليلنا في ذلك كثرة الوافدين عليها كما تشير إلى ذلك كتب التراجم.

– كان للمرأة حظ في التعليم بالمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة . لكن تعليمها كان لا يتجاوز المرحلة الأولى التي تتم في الكتاتيب في غالب الأحيان، باستثناء بنات بعض العلماء والأمراء، وبالتالي لم يظهر منهن في حقل المعرفة إلا نزر قليل .

الملاحق

## الملحق رقم 01.

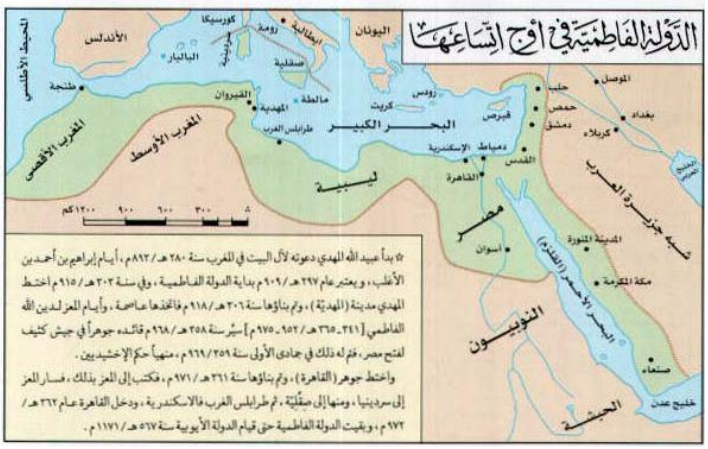


بدأ عبيد الله المهدي دعوته لآل البيت في المغرب سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣م، وأيام إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وبعتبر عام ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩م بداية الدولة الفاطمية، وفي سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥م اختط المهدي مدينة (المهدية)، وتم بناؤها سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٨م فاتخذها عاصمة، وأيام المعز لدين الله الفاطمي [٣٤١-٣٦٥ هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م] سُيّر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨م قائده جوهراً في جيش كثيف لفتح مصر، فتم له ذلك في جمادى الأولى سنة ٣٥٩/ ٩٦٩م، منهياً حكم الإخشيديين.

واختط جوهر (القاهرة)، وتم بناؤها سنة ٣٦١ هـ/ ٩٧١م، فكتب إلى المعز بذلك، فسار المعز إلى سردينيا، ومنها إلى صقلية، ثم طرابلس الغرب فالاسكندرية، ودخل القاهرة عام ٣٦٢ هـ/ ٩٧٢م، وبقيت الدولة الفاطمية حتى قيام الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م.

نبذة المرابطون عن الأندلس عام ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م، واستمر حتى عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م.

ونبذت الممالك الإسبانية كل خصوماتها واتفقت على ملوك الطوائف، فأمّت مدينة مراكش عاصمة المرابطين وفود شعبية كبيرة تطلب العون والغوث من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين.

وعبر ابن تاشفين مضيق جبل طارق إلى الأندلس، وكان نصر الزلاقة العظيم في ١٢ رجب ٤٧٩ هـ / ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٨٦م، ثم كان العبور الثاني في ربيع الأول ٤٨١ هـ / حزيران ١٠٨٨م ثم العبور الثالث، وفي العبور الرابع ضم ابن تاشفين الأندلس إلى دولة المرابطين لتمثل ملوك الطوائف في حماية الأندلس. وكان ذلك عام ٤٩٦ هـ / ١١٢٣م.

**أمراء المرابطين:** يحيى بن إبراهيم الجدالي، استقدم عبد الله بن ياسين الجزولي من القيروان حوالي سنة ٤٤٠ هـ، فبدأت دعوة المرابطين.

١- يحيى بن عمر، تولى بعدة أخومة ٤٤٦ هـ.
٢- أبو بكر بن عمر، تنازل إلى القائد الفذ:
٣- يوسف بن تاشفين عام ٤٦٣-٥٠٠ هـ.
٤- علي بن يوسف بن تاشفين، حتى رجب ٥٣٧ هـ.
٥- تاشفين بن علي، حتى رمضان ٥٣٩ هـ.
٦- إبراهيم بن تاشفين، حتى شوال ٥٤١ هـ.
٧- إسحق بن علي بن يوسف حتى عام ٥٤٢ هـ.

• معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي.

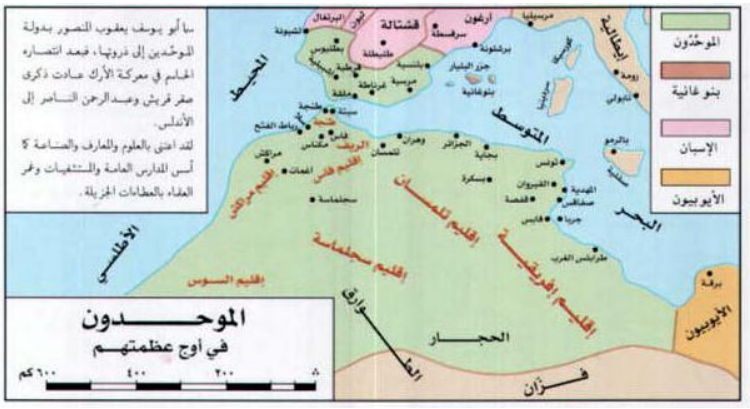


سيا أبو يوسف يعقوب المنصور بدولة الموحّدين إلى ذروتها، فبعد انتصاره الحاسم في معركة الأرك عادت ذكرى صقر قريش وعبد الرحمن الناصر إلى الأندلس.

لقد اعتنى بالعلوم والمعارف والصناعة كما أسس المدارس العامة والمستشفيات وغير العلماء بالعطايات الجزيلة.

شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط5، 2002، ص ص 55-78-79.

**الملحق رقم 02.**

## كيفية قسمة كتب العلم المشتملة على فنون

سئل سيدي قاسم العقباني عن كيفية قسمة الكتب العلمية إذا كانت فنونا، فأجاب:

الذي يظهر ويجري على ما تقرر في المسطر في القسمة، وما يضم بعضه إلى بعض، ويحسب كالنوع الواحد، أن الكتب الشرعية نوع يضم بعضها إلى بعض، وذلك بعد تقويم كل بما يليق به في بلد التقويم. وإن وجد متسع لكثرة الممتلكات من كل فن حتى يتسع الفن للقسم، كان ذلك أوضح في مبيح القسم[1].

[1] – الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981، ص130.

**الملحق رقم 03.**

**نص العهد الذي يأخذه الداعي "المعلم" من المستجيب "المتعلم" (الدعوة الشيعية).**

"وهو أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه، جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه، وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله، وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق، أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمري وأمر للقيم بهذا البلد، لصاحب الحق الإمام الذي عرفت إقراري له، ونصحي لمن عقد ذمته وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين، ومخالصته له من الذكور والإناث والصغار والكبار، فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا، ولا شيئا يدل عليه إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد، فتعمل بذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه. وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك، أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وتقيم الصلاة لوقتها، وتؤتي الزكاة لحقها، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على أمر الله ورسوله، وتوالي أولياء الله وتعادي أعداء الله، وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين، ظاهرا وباطنا وعلانية سرا وجهرا. فإن ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه، ويثبته ولا يزيله، ويقربه ولا يباعده، ويشده ولا يضعفه، ويوجب ذلك ولا يبطله، ويوضحه ولا يعميه. كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم، صلوات الله عليهم أجمعين. على الشرائط المبينة في هذا العهد، جعلت على نفسك الوفاء بذلك، قل نعم؛ فيقول المدعو: نعم، ثم يقول الداعي له: والصيانة له بذلك وأداء الأمانة، على أن لا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا، لا في غضب ولا على حال رضى، ولا على رغبة ولا في حال رهبة، ولا عند شدة ولا في حال رخاء، ولا على طمع ولا على حرمان، تلقى الله على الستر

لذلك، والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد، وجعلت على نفسك عهدا لله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن تمنعني وجميع من أسميت لك وأثبته عندك، مما تمنع منه نفسك، وتنصح لنا ولوليك ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا. فلا تخن الله ووليه ولا أحدا من إخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا، بسبب في أهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله. فإن فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه، فأنت بريء من الله خالق السموات والأرض، الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك، وتبرا من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبين والروحانيين، والكامات التامات، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة، ومن كل عبد رضي الله عنه، وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه، وخذلك الله خذلانا بينا، يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة، والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة، وأنت بريء من حول الله وقونه عليها، إلى حول نفسك وقوتك، وعليك لعنة الله التي لعن بها إبليس، وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار. إن خالفت شيئا من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان. ولله عليك أن تحج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك، وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم، لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة، وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في ملكك، أو تستفيد إلى وقت وفاتك، إن خالفت شيئا من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل. وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك، إن خالفت شيئا من ذلك فهن طوالق ثلاثا بنية طلاق الحرج، لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة. وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام. وكل ظهار فهو لازم لك. وأنا المستحلف لك لإمامك وحجتك، وأنت الحالف لهما وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه

وأحلفك به. فهذه اليمين من أولها إلى آخرها فهي مجددة عليك، لازمة لك، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك. قل نعم. فيقول نعم"[1].

[1] – المقريزي، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ط2، ص ص 396 – 397.

**الملحق 04.**

**وثيقة استئجار معلم قرآن:**

استأجر فلان بن فلان فلان بن فلان، المعلم ليعلم ابنه فلانا أو ابنته فلانة أو بنيه فلان وفلان وفلان القرآن نظرا أو ظاهرا، والكتب والخط والهجاء عاما، أوله شهر كذا من سنة كذا بكذا وكذا دينار، صفة كذا يؤدى إليه كل شهر ما ينوبه منها وذلك كذا وكذا، ويدفع إليه في كل شهر في أوله من دقيق القمح الطيب الريون الجيد الطحن، ربعين أو ثلاثة بوزن كذا، ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا، ويشرع المعلم في التعليم المذكور، وعليه الاجتهاد ثم تكمل الوثيقة.

فإن اشترط عليه في الأعياد شيئا، ذكرت ذلك وقلت: ويدفع إليه في عيد الفطر كذا، وفي عيد الأضحى كذا، ويعطيه عند حدقة الصبي فلان القرآن كله كذا شهد.

ويعقد في ذلك أيضا على ما عقده موسى بن أحمد في تعليم القرآن كله:

استأجر فلان بن فلان، فلانا المؤدب بكذا وكذا دينارا، من صفة كذا، قبضها فلان المعلم، ليعلم ابن فلان هذا المسمى كذا جميع القرآن، وقد عرف فلان المستأجر هذا الصبي، ووقف على مقدار نباهته شهد.

**وثيقة استئجار مؤدب:**

غريبة لمحمد بن عبد الله:

استأجر فلان بن فلان فلان بن فلان المؤدب، لتعليم ابنه فلان سنة أولها شهر كذا من سنة كذا، النحو ويملي عليه الرسائل ومخاطبات البلغاء وتوقيعات الأمراء، ويرويه من الشعر الجاهلي والإسلامي، الشعر الحسن السالم من وصف الخمر والخنا وقبيح الهجاء، بكذا وكذا.

دفع فلان شطر هذه العدة إلى المؤدب فلان، وقبضها منه وأبرأه منها. فإذا انقضت السنة المذكورة، دفع فلان بن فلان إلى فلان بن فلان باقي أجرته بلا كدر ولا مطل إن شاء الله. شهد عليهما بذلك من عرفهما وذلك في تاريخ كذا.

**وثيقة شركة المعلمين**

أشهد فلان بن فلان وفلان بن فلان أنهما اشتركا في تعليم القرآن والكتب، على أن يقعدا لذلك في مقعد واحد ولا يفترقان، فما قسم الله لهما في ذلك من رزق وساقه إليهما من فضل فهو بينهما بالسواء، كما الكلفة عليهما فيما يتوليانه من التعليم سواء شهد.

قال محمد بن عبد الله: ويجوز على الشريكين للتعليم أن يتراضيا على أن يجلس أحدهما على الصبيان شهرا، ويجلس الآخر شهرا آخر، إذا كانا إنما تراضيا على ذلك بعد عقد الشركة. وإن كانا عقدا شركتهما على هذا فلا خير فيه ولا يشبهان الصانعين في مثل هذا. الصانعان لا يجوز ذلك بينهما على حال، من قبل أن الصانعين إذا كان أحدهما شهرا والآخر شهرا، ربما كسب أحدهما في شهر أكثر مما كسبه صاحبه، وإنما يعملان في كسب مستقبل، والمعلمان ليسا كذلك إنما يجلسان على صبيان خراجهم واحد في كل شهر، قد عرفوا ذلك وعرفوا كم هو وما هو، فإنما يجلسان لتقاضي ما يعرفان بعد، وهما بمثابة الرجلين يكون لهما غنم، فيتراضيا على أن يرعاها كل واحد منهما شهرا فلا بأس به، وكذلك رواه ابن حبيب عن مطرف وابن الماجشون[1].

[1] – عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1997، ص ص 594 – 597.

**الملحق رقم 05.**

## التأثير المذهبي في الشعر زمن الموحدين[1].

| الأغراض | الموضوعات | القصائد | النسبة | المهدي | عبد المؤمن | يوسف | المنصور | الناصر | متفرقات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| المدح | وصف الحروب والفتوحات تهاني تحريض على الحروب متفرقات | 64<br>21<br>02<br>07 | /94 | | 18<br>03 | 16<br>10<br>02 | 21<br>05 | 06<br>03 | 03<br>07 |
| الاستعطاف<br>الهجاء<br>الفخر<br>الرثاء | | 02<br>01<br>01<br>02 | /02<br>/01<br>/01<br>02 | 01<br>01 | | 01 | 02 | | 01 |
| المجموع | | 100 | /100 | 02 | 21 | 29 | 28 | 09 | 11 |

[1] – حسن جلاب، الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط3، 1995، ص63.

**الملحق رقم 06.**

**الصومعة التي أضافها يغمراسن بن زيان لمسجد أغادير**

**صورة لأطلال مسجد أغادير**

**تصوير الطالب الباحث بتاريخ 2016/02/20.**

**الملحق رقم 07.**

**منظر خارجي للجامع الأعظم بتلمسان(إنجاز مرابطي).**

**القبة والصومعة اللتان أضافهما يغمراسن بن زيان للجامع الأعظم بتلمسان .**

**الثريا العملاقة التي أضافها يغمراسن للجامع الأعظم بتلمسان.**

**تصوير الطالب الباحث خلال زيارة ميدانية بتاريخ 2016/02/20.**

**الملحق رقم 08.**

**مسجد سيدي أبي الحسن التنسي.**

**تصوير الطالب الباحث بتاريخ 2016/02/20.**

**الملحق رقم 09.**

**مسجد أولاد الإمام**

**تصوير الطالب الباحث بتاريخ 2016/02/20.**

المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية ورش.**

**الحديث النبوي الشريف.**

**المصادر:**

**01 – ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي، (ت658هـ)، **الحلة السيراء**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2.

**02 – ـــــــــ، التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج1.

**03 – ابن الأحمر**، أبو الوليد إسماعيل الأندلسي، (ت807هـ)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق وتقديم وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001.

**04 – ـــــــــ، روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 2003.

**05 – ابن الأثير**، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الموصلي الشيباني، (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج6.

**06 – الأصمعي**، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، (ت216هـ)، كتاب الإبل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دت.

**07 – ابن أبي أصيبعة،** موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، (ت668هـ)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء،** نشر امرؤ القيس بن الطحان، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995، ج2.

**08 – الإدريسي،** أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف، (ت560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** عالم الكتب، بيروت، ط1، 1979، ج1.

**09 – ـــــــ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،** مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1863.

**10 – الإيلاني،** أبو علي صالح بن عبد الحكيم، (ت712هـ)، **مفاخر البربر،** دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط2، الرباط، 2008.

**11 – البسكري،** أبو القاسم يوسف بن علي، (ت465هـ)، **الكامل في علم القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها،** تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.

**12 – ابن بشكوال،** أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، (ت578هـ)، **صلة الصلة،** تحقيق شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، ج3.

**13 – البطليوسي** ، عبد الله بن محمد بن السيد،(ت521هـ)، **الفرق بين الحروف الخمسة،** تحقيق علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، 2009.

**14 – ابن بطوطة،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت779هـ)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،** تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ج1.

**15 – بكر بن حماد**، أبو عبد الرحمن الزناتي التاهرتي، (ت296هـ)، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966.

**16 – البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت487هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، دت.

**17 – ـــــ**، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

**18 – البوني**، أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطان البوني، (ت440هـ)، **تفسير الموطأ للبوني**، تحقيق أبو عمر عبد العزيز الصغير رخان المسيلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2011، ج1.

**19 – البيدق**، أبو بكر بن علي الصنهاجي، (ت560هـ)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

**20 – البيضاوي**، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، (ت685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** المعروف بتفسير البيضاوي، إعداد وتقديم عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دت، ج1.

**21 – تميم بن المعز لدين الله الفاطمي**، (ت374هـ)، **ديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي**، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ومحمد كامل حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1957.

**22 – التميمي**، أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين الفاسي، (ت505هـ)، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، تحقيق: محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2002.

**23** – **التنبكتي**، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، (ت1036هـ)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ج1.

**24** – ـــــــــ، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشوررات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.

**25** – **التنسي**، أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله، (ت899هـ)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، الجزائر، 2011.

**26** – **ابن الجزري**، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري الدمشقي الشافعي، (ت833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ج2.

**27** – **الجيلاني**، عبد القادر، (ت561هـ)، **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2007.

**28** – **ابن حجر العسقلاني**، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت852هـ)، **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، ج1.

**29** – **ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت456هـ)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ج4.

**30** – ـــــــــــــ، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1997، ج2.

**31 – ابن حماد،** أبو عبد الله محمد بن علي، (ت628هـ)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،** تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، دت.

**32 – الحميري،** محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ق7هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار،** تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

**33 – ابن حوشب،** جعفر بن منصور اليمن، (ت380هـ)، **العالم والغلام" في أربع كتب حقانية"،** تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1987.

**34 – ابن حوقل،** أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، (ت367هـ)، **صورة الأرض،** منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992.

**35 – ابن الخطيب،** لسان الدين، (ت683هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة،** تقديم مراجعة وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1 – ج2.

**36 – ـــــــــ، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)،** تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3.

**37 – ـــــــــ، رقم الحلل في نظم الدول،** المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

**38 – ـــــــــ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان،** تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، دت.

**39 – ابن خلدون**، أبو زكريا يحي بن محمد، (ت750هـ)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1903.

**40 – ـــــــــ**، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

**41 – ابن خلدون**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1999، ج13.

**42 – ـــــــــ**، **المقدمة**، تحقيق وتعليق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، 2005.

**43 – ـــــــــ**، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق أحمد جار، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007.

**44 – ابن خلكان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج3.

**45 – الداودي**، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، (ت945هـ)، **طبقات المفسرين**، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج1.

**46 – الدباغ**، أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت696هـ) و**التنوخي**، أبوالفضل قاسم بن عيسى بن ناجي (ت737هـ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق محمد ماضور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ج3.

**47 – الدرجيني**، أبو العباس أحمد بن سعيد، (ت670هـ)، **طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، 1975، ج2.

**48** – **ابن أبي دينار**، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (ت1105هـ)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1286هـ.

**49** – **الذهبي**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، تصحيح عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1374هـ، ج4.

**50** – ـــــــ، **سير أعلام النبلاء**، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ج01.

**51** – ـــــــ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق وإخراج شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996، ج20.

**52** – **ابن رشيق القيرواني**، أبو علي الحسن، (ت456هـ)، **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

**53** – ـــــــــــــــ، **قراضة الذهب في نقد أشعار العرب**، تحقيق الشاذلي بويحي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972.

**54** – **الرعيني**، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، (ت666هـ)، **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962.

**55** – **الزبيدي**، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت379هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.

**56 – ابن أبي زرع**، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، (ت726هـ)، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، عناية وتصحيح وطبع وترجمة كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة، 1853.

**57 – ــــــــــــ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، .1972

**58 – ــــــــــــ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

**59 – الزركشي**، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (ت794هـ)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، دت.

**60 – أبو زكرياء**، يحي بن أبي بكر، (ت)، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.

**61 – الزمخشري**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، (ت538هـ)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، اعتناء وإخراج وتعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009.

**62 – ابن الزيات التادلي**، أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن، (ت627هـ)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2، 1997.

**63 – السبتي**، محمد بن أبي القاسم الأنصاري، (ت825هـ)، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1983.

**64 – ابن سحنون،** أبو عبد الله محمد التنوخي القيرواني، (ت256هـ)، **آداب المعلمين،** مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ط2، 1972.

**65 – ابن سعيد المغربي،** نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي، (ت685هـ)، **كتاب الجغرافيا،** تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1. 1970.

**66 – ابن السماك العاملي،** محمد بن أبي العلاء بن محمد، (ت750هـ)، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية،** دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

**67 – السيوطي،** جلال الدين عبد الرحمن، (ت911هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط1، 1965، ج2.

**68 – الشامي،** محمد بن يوسف الصالحي، (ت942هـ)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،** تحقيق إبراهيم الترزي وعبد الكريم العزبادي، مطابع الأهرام بكورنيش النيل، القاهرة، 1997، ج4.

**69 – ابن صاحب الصلاة،** أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، (ت594هـ)، **المن بالإمامة " تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين"**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.

**70 – ابن صعد التلمساني،** محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد، (ت901هـ)، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب،** مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، دت، ج1.

**71 – ابن الصغير**، (ق3هـ)، **تاريخ الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

**72 – الصفدي**، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك، (ت764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000، ج3.

**73 – الضبي**، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، (ت599هـ)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ج2.

**74 – ابن عبد الحكم**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت257هـ)، **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1994.

**75 – العبدري**، أبو عبد الله محمد بن محمد الحاحي، (ت700هـ)، **رحلة العبدري**، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة للنشر والتوزيع، ط2، 2005.

**76 – ابن عبدون**، أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الإشبيلي، (ت526هـ)، **رسالة في القضاء والحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

**77 – ابن عذاري**، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، (ت695هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط3، 1983، ج1.

**78 – ابن عربي**، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، (ت543هـ)، **كتاب أحكام القرآن**، مطبعة السعادة، القاهرة، ج2.

**79 – ابن عماد،** شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، (ت1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1989، ج5 – ج6.

**80 – الغبريني،** أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، (ت714هـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،** تحقيق وتعليق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1979.

**81 – الغزالي،** أبو حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، **إحياء علوم الدين،** دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

**82 – أبو الفدا،** إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر(ت732هـ)، **تقويم البلدان،** دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

**83 – ـــــــ، المختصر في أخبار البشر،** المطبعة الحسينية، القاهرة، 1325هـ، ج2.

**84 – الفرسطائي،** أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي، (ت504هـ)، **القسمة وأصول الأرضين،** تحقيق وتعليق وتقديم بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط2، 1997.

**85 – ابن فرحون،** إبراهيم علي بن محمد، (ت799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،** تحقيق وتعليق أحمد المحمدي أبو النور، دار التراث والنشر، القاهرة، 1976، ج1.

**86 – القابسي،** أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، (ت403هـ)، **الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين،** دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986.

**87 – ابن القاضي،** أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، (ت1025هـ)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،** دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

**88 – ـــــــــــ، درة الحجال في أسماء الرجال،** تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ج1.

**89 – القاضي عياض،** أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، (ت544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** تحقيق أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1982، ج7.

**90 – ـــــــــــ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** تحقيق محمد بن تاوريت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2، 1983.

**91 – القاضي النعمان،** أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، (ت363هـ)، **كتاب افتتاح الدعوة،** تحقيق فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، .1986

**92 – ـــــــــــ، المجالس والمسايرات،** تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوي، دار المنتظر، بيروت، دت.

**93 – ابن قتيبة،** أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت276هـ)، **كتاب المعارف،** تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت.

**94 – القرافي،** بدر الدين محمد بن يحي بن عمر، (ت1008هـ)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج،** تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

**95** – **القشيري**، أبو القاسم النيسبوري الشافعي، (ت465هـ)، **الرسالة القشيرية**، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1979.

**96** – **القفطي**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت646هـ)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.

**97** – ـــــــ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986، ج2.

**98** – **القلصادي**، أبو الحسن علي الأندلسي، (ت891هـ)، **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

**99** – **القلقشندي**، أبو العباس أحمد، (ت821هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، دت، ج5.

**100** – ـــــــــ، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980.

**101** – **ابن قنفذ القسنطينيّ**، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون، (ت810هـ)، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق أبو سهل و نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، ط1، 2002.

**102** – ـــــــــــــ، **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983.

**103** – **الكندي**، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت350هـ)، **الولاة وكتاب القضاة**، تهذيب وتصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

**104** – **اللخمي**، أبو الحسن اللخمي القيرواني، (ت478هـ)، **فتاوى أبي الحسن اللخمي القيرواني**، تحقيق حميد بن محمد لحمر، دار المعرفة، الدار البيضاء، دت.

**105** – **المحاسبي**، أبو عبد الله الحارث بن أسد، (ت243هـ)، **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، دت.

**106** – **المراكشي**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، (ت703هـ)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، ج8.

**107** – **المراكشي**، أبو محمد عبد الواحد بن علي، (ت647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

**108** – ـــــــ، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1997.

**109** – **ابن مرزوق الخطيب**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، (ت781هـ)، **المجموع**، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط.

**110** – ـــــــــــــــ، (ت781هـ)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

**111** – ـــــــــــــــ، **المناقب المرزوقية**، تحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2008.

**112** – **ابن مريم**، محمد بن محمد بن أحمد المليتي المديوني التلمساني، (ت1020هـ)، **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014.

**113** – **المغراوي**، أحمد بن أبي جمعة، (ت920هـ)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

**114** – **المقري**، أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت1041هـ)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق وتعليق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، الرباط، 1978، ج2.

**115** – ـــــــ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1980، ج5.

**116** – **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي، (ت845هـ)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996، ج1.

**117** – ـــــــ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987، ج1.

**118** – **الملالي**، محمد بن محمد بن إبراهيم بن علي، (ت898هـ)، **المذاهب القدسية في المناقب السنوسية**، مخطوط، دار الكتب الوطنية، تونس، رقم 6253.

**119** – **ابن الملقن**، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، (ت804هـ)، **طبقات الأولياء**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2006.

**120** – **مؤلف مجهول، سير أبي عبد الله الكافي**، تحقيق مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1996.

**121** – **مؤلف مجهول من مراكش، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

**122** – **النباهي**، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، (ت792هـ)، **تاريخ قضاة الأندلس** المسمى **كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983.

**123** – **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج28.

**124** – **ابن هاني الأندلسي**، أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي، (ت362هـ)، **ديوان ابن هاني الأندلسي**، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

**125** – **الوزان**، الحسن بن محمد الوزان الزياتي، (ت959هـ)، **وصف إفريقية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، دت، ج2.

**126** – **الوسياني**،أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله، (ق6هـ)، **سيرة أبي الربيع بن عبد السلام الوسياني**، طبعة حجرية، دت.

**127** – **الونشريسي**، أبو العباس أحمد بن يحي، (ت914هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إخراج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981، ج8.

**128** – ـــــــــــ، **وفيات الونشريسي**، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، دت.

**129** – **ياقوت الحموي**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت626هـ)، **معجم الأدباء**، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1993.

**130** – ـــــــــــ، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، ج2.

**131** – **اليافعي**، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت768)، **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع الحواشي خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج3.

**132** – **اليعقوبي**، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت284هـ)، **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

**المراجع:**

**133** – الأعظمي محمد حسن، عبقرية الفاطميين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960.

**134** – الأعظمي وليد، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم، بغداد، 2001.

**135** – الأهواني أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، دت.

**136** – الباروني سليمان باشا النفوسي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، موقع الاستقامة، ج2.

**137** – ـــــــــ، الأزهار الرياضية، مكتبة المنار، تونس، دت، ج2.

- باقر أمين الورد، معجم العلماء العرب، مراجعة كوركيس عواد، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986، ج1.

**138** – بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية(160–296هـ/777–909م)، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، ط2، 1993.

**139** – ـــــــــ، القيم القرآنية في المجتمع المزابي (العزابة أنموذجا)، الأسبوع الوطني الخامس عشر للقرآن الكريم، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الإمام بالمحمدية، الجزائر، 24 – 25 يناير 2014.

**140** – البستاني بطرس، دائرة المعارف، ج1، طبعة حجرية، بيروت، 1816.

**141** – البستاني بطرس بن سليمان حسن، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

**142** – البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج1.

**143** – بال ألفرد، دائرة المعارف الإسلامية، ج5، القاهرة، 1933.

**144** – ـــــــــ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1987.

**145** – بلعربي خالد، تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد يغمراسن بن زيان (633–681هـ/ 1235–1282م)، مجلة الحوار الفكري، السنة5، العدد7، الجزائر، 2005.

**146** - ـــــــــــ، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55-633هـ/675-1235م)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011.

**147** - ـــــــــــ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية، المكتبة الوطنية، 2005.

**148** - بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، .1997

**149** - بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين(7-9هـ/13-15م )، دراسة في تاريخ السوسيو- ثقافي، دار الغرب، الجزائر، 2003.

**150** - بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، دت، ج3.

**151** - بوشامة كمال، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007.

**152** - بوعزيز يحي، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

**153** - التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، (ت1231هـ)، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

**154** - تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1987، ط2.

**155** - التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، ط 2003/4.

**156** – التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري–العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.

**157** – الثعالبي عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن(تفسير الثعالبي)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، ج1، 1997.

**158** – جلاب حسن ، الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط3، 1995.

**159** – الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965.

**160** – ـــــــــــــــــ، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار منشورات الحياة، بيروت، ط2، دت.

**161** – حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

**162** – ـــــــــــــــ، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

**163** – حجازي عبد الرحمن عثمان، التربية الإسلامية في القيروان، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1977.

**164** – حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964.

**165** – حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.

**166** – الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي"حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس"(160–299هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

**167** – حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية(مدن الغرب)، ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

**168** – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996، ط14.

**169** – حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947.

**170** – حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980.

**171** – الحفناوي أحمد، الزاوية، الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، القاهرة، 2003.

**172** – الحفناوي محمد أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1906.

**173** – خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، مطبعة جسور للطبع والتوزيع، الجزائر، 2011.

**174** – ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 – 7هـ / 12 – 13م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

**175** – ذنون طه عبد الواحد، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، طرابلس، 2004.

**176** – الرشيد ناصر بن سعد، قراءات في التربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية ، تونس، 1985.

**177** – روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية(تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م)، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط1.

**178** – ريبيرا خوليا، التربية الإسلامية في الأندلس، دار الغرب للنشر، بيروت، 1981، ط2.

**179** – زادة طاش كبرى أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.

**180** – الزركلي خير الدين، الأعلام "معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

**181** – زيدان جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ج3.

**182** – السباعي مصطفى، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999.

**183** – سعد اللّه أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998ج3.

**184** – سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة، بيروت، 1985.

**185** – سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999.

**186** – ـــــــــــــ، التجربة الأندلسية في الجزائر: مدرسة بجاية ومكانتها في الحياة الثقافية في المغرب الأوسط 6-7هـ/ 12-13م، السجل العلمي لندوة الأندلس، القسم الثالث، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996، ط1.

**187** – السملالي العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، الكتبة الملكية، الرباط، ط2، 2002، ج8.

**188** – السيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس(ابن حزم – الخزرجي)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

**189** – الصلابي علي محمد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009.

**190** – ـــــــــــــــــ، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 2003.

**191** – ـــــــــــــــــ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2006.

**192** – طقوس محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

**193** – الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

**194** – ـــــــــــــــــ، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

**195** – عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1956.

**196** – عبد الرزاق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

**197** – عبد الغني قاسم عبد الحكيم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ط2.

**198** – بن عبد الله عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، ج1، دار الكتب العربية، الرباط، ط3، 1963.

**199** – عبد المنعم محمد حسين حمدي، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.

**200** – العبدوس محمد حسن، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

**201** – العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

**202**– عطا الله خضر أحمد، بيت الحكمة في عصر العباسيين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، دت.

**203** – أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، مطبعة دحلب، الجزائر، 2007.

**204** – عنان محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1970.

**205** – عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائرين، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، .1991

**206** – الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج4، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، .1994

**207** – فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي "الأدب في المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975، ج5.

**208** – الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ط8.

**209** – فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2002.

**210** – ــــــــــــــ، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012.

**211** – قاسمي بختاوي، النشاط الإصلاحي للشيخ المغيلي بإقليم توات والسودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقه السياسة والحوار الديني" يومي 05 و06 فبراير 2012 بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان.

**212** – القبلي محمد، النهضة والتراكم " قضية المدارس المرينية ملاحظات وتأملات "، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986.

**213** – بن قربة صالح، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

**214** – قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

**215** – الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، مؤسسة النشر والتوزيع، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004.

**216** – الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، (ت1382هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج2.

**217** – الكيلاني عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، دار القلم، دمشق، ط1، 1994.

**218** – لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ( نشأتها وتطورها )، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

**219** – المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971.

**220** – مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، 1989.

**221** – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ط4.

**222** – مجموعة من العلماء، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج17، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ط1.

**223** – ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، منشورات محمد بن علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1.

**224** – ـــــــــ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ.

**225** – مرسي محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، مصر، 1987.

**226** – مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1983

**227** – ابن منصور عبد الوهاب، أعلام المغرب العربي، ج4، المطبعة الملكية، الرباط، 1986.

**228** – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، دت، ج10.

**229** – المنوني محمد، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989.

**230** – ـــــــــــ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977.

**231** – الميلي محمد بن مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.

**232** – الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2.

**233** – النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

**234** – النسيب محمد، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، دت.

**235** – نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980.

**المجلات:**

**236** – بوبة مجاني، المدارس الحفصية – نظامها ومواردها –، مجلة العلوم الإنسانية، العدد12، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

**237** – بورويبة رشيد، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد4، الجزائر، 1975.

**238** – البوعبدلي المهدي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1975.

**239** – ــــــــــــــ، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، السنة 3، العدد 13، الجزائر، 1973.

**240** – بونار رابح، علي بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني، مجلة الأصالة، العدد 6، يناير 1972.

**241** – حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1975.

**242** – حماني أحمد، عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية، مجلة الأصالة، العدد19، 1974.

**243** – بن حميسي مولاي، في تاريخ جامع مستغانم العتيق، مجلة الأصالة، السنة 3، العدد 12، الجزائر، 1973.

**244** – جاسم زياد طارق، أثر العمى في شعر التطيلي دراسة نفسية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد101، 2012.

**245** – الجيلالي عبد الرحمن، أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان، مجلة الأصالة، العدد 41، يناير 1977.

**246** – ـــــــــــــــــ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، السنة2، العدد8، 1972.

**247** – ذكار أحمد، مدينة ورقلة "التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 17، ديسمبر 2014.

**248** – زايد مصطفى، من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة الثقافة، العدد93، الجزائر، 1986.

**249** – عبد الغني يسري، مكتبات الفاطميين "رؤية حضارية"، دورية كان التاريخية، العدد7، مارس 2011.

**250** – فيلالي عبد العزيز، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، العدد 3 – 4، دار الوعي، الجزائر، أفريل/ماي 2011.

**251** – لعرج عبد العزيز، مدرسة العباد "نموذج للمدارس الإسلامية بالمغرب"، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد 02، 2002.

**252** – لقبال موسى، من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى "مكتبة المعصومة بتيهرت"، هل أحرقت أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان، مجلة الأصالة، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977.

**253** – نايت بلقاسم مولود قاسم، بجاية لقنت أوربا الرياضيات بلغة العروبة، مجلة الثقافة، العدد89، 1985.

**254** – هاشمي مريم، إسهام علماء بجاية في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي خلال القرنين7و8هـ/ 14و15م، دورية كان التاريخية، العدد 21، سبتمبر 2013.

**255** – بجاية في التاريخ والحضارة (استطلاع)، مجلة الأمة القطرية، العدد 63، قطر، نوفمبر 1985.

**الرسائل الجامعية:**

**256** – بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/الثالث عشر إلى السادس عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987.

**257** – بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى بين القرنين(7-9هـ/13-15م )، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005.

**258** – بلغيث محمد الأمين، الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987.

**259** – بوشقيف محمد، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ / 15م، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003 – 2004.

**260** – حاج عيسى إلياس بن عمر، مدينة وارجلان من ق4هـ/10م إلى ق10هـ/16م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008 – 2009.

**261** – شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني(633-962/1235-1554)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002.

**262** – عبدلي الأخضر، مملكة تلمسان في عهد بني زيان، أطروحة شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، تونس، 1986.

**263** – عشي علي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين-دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.

**المراجع الأجنبية:**

**264** - Bourouiba Rachid, L'art religieux musulman en Algérie, 2eme édition, S.N. E.D, Alger, 1983.

**265** - Brosselard ( Ch ), "Inscriptions de Tlemcen III, Mosquée L'Hacen au Belahcen", Revue Africaine, N°21, 1860.

**266** - Delheure( J ) , Vivre et mourir à Ouargla . Paris . 1988.

**267** - Marçais ( G ) et William, Les monuments arabes de Tlemcen, Fontemoing Paris, 1905.

**268** - Marçais (G) , L'architecture musulmane d'occident , Pari 1955 , p 197.

**269** - Marçais ( G ), Les villes d'art célèbres, Tlemcen, édition du tell, Alger, 2003.

**270** - Richarg ( l ) Lawless, Tlemcen capitale de Maghreb central, analyse des fonctions d'une ville Islamique médiévale, Revue de l'occident Musulman et de la méditerranée, N° 20, 2ème semestre, Aix en Provençal, 1975.

الفهارس

- الآبلي: .....47-60-61-179-189-190.

- الإباضية: 35-36-37-48-79-81-82-89-90-91-93-95-167-168-201-202.

- الإباضيون: .....91-201-211-213.

- إبراهيم المصمودي: .....48-147-148.

- الأثبج: .....22.

- الأحباس: .....154.

- أحمد العاقل: .....149-162.

- أحمد بن عبد الجليل التدميري: .....116.

- أحمد بن الحسن الغماري: .....145.

- أحمد بن زكري: .....150.

- أحمد بن عتيق: .....46.

- أحمد بن نصر الداودي: .....184-186.

- بنو الأحمر: .....28-155.

- الأدارسة: .....14-143-184.

- أراغون: .....24.

- أبو إسحاق الجبنياني: .....134.

- أبو إسحاق الطيار: .....120.
- الأشاعرة: .....19.
- إشبيلية: .....56.
- الأعمى التطيلي: .....41-71.
- الأغالبة: .....11-13-14-35.
- ابنا الإمام: .....47-147-155.
- الأمويون: .....53-168.
- ابن اندراس: .....196.
- الأوقاف: .....83-155-160.
- ابن بذوخ القلعي: .....104.
- البربر: .....11-14-36-39-92-177-178-205-209.
- بنو برزال: .....205.
- ابن بسام: .....43-106.
- ابن بشكوال: .....43-107.
- البكاي: .....120.
- بكر بن حماد: .....199-202.
- أبو بكر بن خلف: .....46.

- أبو بكر بن عربي: .....42-72-135.
- أبو بكر بن مرزوق التلمساني: .....118-119.
- البكري: .....102-180-194-199-205-208.
- بلكين بن زيري: .....14-15-98.
- ابن البناء: .....122-149-163.
- البيدق: .....22.
- بيت الحكمة: .....166.
- أبو تاشفين عبد الرحمن: .....155-188.
- التصوف: .....52-79-102-113-119-122-158-159-160-161-162.
- التعليم: .....79-91-92-95-98-132-134-135-136-157-164.
- تميم بن المعز: .....37-38-190.
- التنسي: .....46-74-117-118-145-147-150-161-186-188.
- بنو توجين: .....18-28-29.
- ابن تومرت: .....19-20-108-192.
- جدالة: .....16.
- ابن الجزار: .....169.
- جزولة: .....20.

- ابن أبي جنون: .....64.
- الجوهري: .....130.
- الجويني: .....114.
- أبو حامد الغزالي: .....19-54-55-70-72-113-170-171-195.
- ابن الحجال: .....187.
- ابن الحجام: .....54-109-114-169.
- ابن حزم: .....108.
- الحسبة: .....155.
- الحسن القابسي: .....54-134-140.
- أبو الحسن المريني: .....148-150-155-162-189.
- حسن الوزان: .....155-203-206-210.
- الحسن بن مخلوف أبركان: .....144-149-162.
- بنو حفص: .....23-26-28-59-122-123-155.
- الحلقة: .....83-84-85-86.
- الحماديون: 18-19-39-49-62-70-101-102-104-105-132-151-170-190-192-194.
- ابن حمدون: .....94-203-204-205.

- ابن حمديس الصقلي: .....40.
- أبو حمو موسى الأول: .....47-146-147-155.
- أبو حمو موسى الثاني: .....47-148-156-162-209.
- ابن حوشب: .....92.
- ابن حوقل: .....180-199-204.
- ابن الخراط: .....109.
- الخشني: .....101.
- ابن خطاب الأندلسي: .....121.
- ابن خفاجة: .....71.
- ابن خميس التلمساني: .....74-121-122.
- الخوارج: .....48-168.
- دار الحكمة: .....168-169.
- دار الكرامة: .....158.
- ابن دحية الكلبي: .....111-112-115.
- الدرجيني: .....35-81-82-87-90-209.
- الدعوة الإسماعيلية: .....99.
- ابن دفرير: .....103.

# فهرس الأعلام


- ابن راشد الفهري: .....121.
- الرباطات: .....171-50.
- أبو الربيع سليمان بن يخلف: .....213-212.
- أبو الربيع الوسياني: .....213.
- ابن أبي الرجال التاهرتي: .....206-105.
- الرستميون: .....203-202-201-168-167-48-37-35-15-13.
- ابن رشد: .....72-56-42.
- ابن رشيق القيرواني: .....206-71.
- الرعيني: .....132.
- ابن الرمامة: .....170-111-102-63-54.
- رياح: .....23.
- ابن أبي زرع: .....108.
- الزركشي: .....44.
- زغبة: .....23.
- ابن الزقاق: .....71-41.
- أبو زكريا الزواوي: .....163-151.
- ابن أبي زكون:.....187-112.

- زناتة: .....14-15-18-20-26-198-210.
- بنو زنداج: .....205.
- زواوة: .....14.
- الزوايا: .....49-51-156-157-158-159-161-164-173.
- بنو زيان: 23-29-47-58-59-68-70-73-117-119-122-123-133-146-147-173.
- ابن أبي زيد القيرواني: .....90-184.
- الزيريون: .....99-100-192.
- ابن سحنون: .....102-118.
- ابن سعيد المغربي: .....181.
- سعيد بن زنغيل: .....89.
- سكتان: .....12.
- السلاوي: .....55.
- سلمان بن حريز: .....87.
- سليمان بن يوسف المزاتي: .....70.
- سيدي الحلوي: .....149-156-162.
- ابن سينا: .....104-196.

- ابن السيد البطليوسي: .....105.
- الشريف الإدريسي: .....43-107-180-193-199-205-208.
- الشريف التلمساني: .....143-150-162-189-190.
- الشيعة: .....12-13-19-38-39-79-91-92-95-99-167-168-213.
- ابن الصابوني: .....187.
- ابن صاحب الصلاة: .....46.
- أبو صالح جنون بن يمريان: .....89.
- الصدفي: .....42-106-187.
- ابن صعد الأنصاري: .....162.
- ابن الصغير: .....201.
- الصفرية: .....36-48.
- صنهاجة: .....14-16-39-197.
- الصنهاجيون: .....99-101.
- ابن الصيرفي: .....43-106.
- العباد: .....155.
- العباسيون: .....13-15-53-101-168-201.
- ابن عبد البر: .....118.
- عبد الحق الإشبيلي البجائي: .....110-112-172.

- بن عبد الحق اليفرني: .....172.
- ابن عبد الحكم: .....179.
- عبد الرحمن الثعالبي: .....51-185.
- عبد الرحمن الجيلاني: .....113-119.
- عبد الرحمن بن خلدون: .....47-48-60-179-210.
- عبد الرحمن بن رستم: .....34-48-198-201.
- عبد الكافي الوارجلاني: .....112-209.
- أبو عبد الله الشريف: .....47.
- أبو عبد الله الشيعي: .....10-92.
- عبد الله الكاتب: .....99.
- عبد الله بن ياسين: .....17-49-132.
- عبد الملك الأصمعي: .....165.
- أبو عبد الملك البوني: .....40.
- عبد الملك بن زهر: .....43-107.
- عبد المؤمن بن علي: 16-19-20-21-22-23-24-44-45-55-64-108-132-171-192.
- عبد الوهاب البغدادي: .....102.
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن: .....52.

- بنو عبد الواد: 10-23-24-26-27-46-51-58-59-68-121-133-145-147-155-181.

- العبدري: .....151-182.

- عبيد الله المهدي: .....13-93-168.

- العبيديون: 53-54-60-61-62-68-69-71-79-81-82-91-92-93-94-95-97-98-99-100-131-167-168-169-203-213.

- عثمان بن يغمراسن: .....28-46-121-146.

- العريف: .....83-84-85-86.

- العزابة: .....79-80-81-82-86-88-89-90-91-212.

- أبو علي المسيلي: .....193-197-207.

- علي بن أبي طالب: .....92-95.

- علي بن خلف الأنصاري: .....106.

- علي بن محمد المسيلي: .....112-197.

- علي بن يوسف: .....49-105-144-146-171.

- عمران المشدالي: .....47-188.

- عمر بن الخطاب: .....13.

- عمر بن قلقول: .....103-110.

- أبو عمرو بن العلاء: .....165.

- أبو عنان فارس: .....156-162.
- بن أبي العيش الخزرجي: .....113.
- بنو غانية: .....24.
- الغبريني: .....54-163-192-193-197.
- ابن غزوان الفهري: .....106.
- الفتح بن خاقان: .....106.
- أبو الفدا: .....181.
- ابن فرحون: .....57.
- ابن فكون: .....115-193.
- الفيروز أبادي: .....130.
- أبو القاسم السهيلي: .....45.
- قاسم العقباني: .....60-184.
- القاضي النعمان: .....38-49-68-92-94.
- القاضي عياض: .....42-72-173.
- أبو قرة اليفرني: .....182-184.

- قشتالة: .....24.
- القشيري: .....71.

- القلقشندي: .....182.

- الكتاتيب: 36-37-49-51-81-86-130-131-132-133-135-140-141-154-164-173.

- كتامة: .....11-12-13-15-36-92.

- ابن اللجام: .....119.

- اللخمي: .....45-63.

- لسان الدين بن الخطيب: .....182.

- لماية: .....198.

- لمتونة: .....16-20.

- لواتة: .....198.

- ليوناردو دافنتشي: .....40.

- مالك بن أنس: .....134-136-137.

- مجالس الحكمة: .....93.

- المجالس السرية: .....82.

- ابن محمد العصنوني: .....186.

- محمد بن الحسين الأنصاري: .....40.

- محمد بن بكر الفرسطائي: .....79-210-212.

- محمد بن ترومیت: .....189.

- محمد بن جعفر التميمي: .....206.

- محمد بن حماد الصنهاجي: .....197-116.

- محمد بن عبد الحق اليعفري: .....187.

- محمد بن عبد الحق اليفرني: .....116.

- محمد بن عبد الكريم المغيلي: .....186.

- محمد بن عبدون الوراق: .....100.

- محمد بن غلبون: .....189.

- محمد بن مخلوف: .....102.

- محمد بن موسى الخوارزمي: .....166.

- محمد بن يوسف السنوسي: .....185-162-139.

- محي الدين بن عربي: .....113.

- المدارس: .....171-164-159-154-153-91-52.

- مدارس الدعوة: .....98-94-93.

- أبو مدين شعيب: 40-111-113-116-119-148-149-151-161-162-197-182.

- المذهب الإباضي: .....212-202-168-167-111-99-82-81-80-68.

- المذهب الإسماعيلي: .....49-93-94.

- المذهب الشافعي: .....111.

- المذهب الشيعي: .....94-184.

- المذهب الصفري: .....182.

- المذهب الظاهري: .....108-110-111-184.

- المذهب المالكي: .....99-102-103-110-111-154-184.

- المرابطون: 16-17-18-20-21-41-55-63-64-105-108-132-144-170-180-181-192-195.

- ابن المرأة: .....114-145.

- ابن مرزوق الجد: .....144-189-190.

- ابن مرزوق الحفيد: .....184.

- مروان بن علي البوني: .....103.

- مزاتة: .....205.

- بنو مرين: 21-23-26-27-28-59-119-121-122-123-147-148-155-189.

- المساجد: 37-49-53-82-91-92-101-117-131-133-141-142-143-147-151-154-155-158-164-169-171-173-195.

- مسوفة: .....16-20.

- المشور: .....144-146.
- مصمودة: .....19.
- مطماطة: .....198.
- المعتزلة: .....19.
- المعز بن باديس: .....100-191-206.
- المعز لدين الله: .....14-38-95-96-98-169.
- المعصومة: .....53-167-168.
- مغراوة: .....14-18-21-28.
- المغراوي: .....139.
- المقري: .....59-182-189.
- المكتبات: 52-53-54-55-57-59-95-164-165-166-167-169-170-171-172-173.
- مكناسة: .....198.
- الملالي: .....162.
- ابن ملجوم الزهراني: .....57.
- ابن أبي مليح: .....104.
- المنصور بن الناصر: .....39.
- المنصور بن بلكين: .....15.

- أبو مهاجر دينار: .....182.

- الموحدون: 20-21-22-24-25-27-44-58-64-73-109-111-119-158-184-195.

- موسى بن حماد الصنهاجي: .....102.

- ميمون بن حمدون: .....16-22.

- الناصر بن علناس: .....39-190-191.

- ابن النباش: .....104.

- ابن النحوي: .....43-63-102-170-171.

- نظام الملك: .....153.

- نفزاوة: .....87.

- النقيب: .....85.

- النهشلي: .....100-206.

- النويري: .....98.

- نيسابور: .....153.

- هارون الرشيد: .....166.

- ابن هانئ الأندلسي: .....38-94-96-97-204.

- ابن هدية القرشي: .....118.

- هرغة: .....19.

- بنو هلال: .....15-18.
- هوارة: .....198-205.
- الونشريسي: .....60.
- ياقوت الحموي: .....181-191-199-209.
- يحي أبو زكريا: .....208-209-212.
- يحي بن خلدون: .....48-178-179-182.
- بنو يزناسن: .....17.
- أبو يعزى: .....113.
- يعقوب بن عبد الحق: .....28-119.
- يعقوب بن يوسف: .....72-111-154-171-209.
- اليعقوبي: .....179-180.
- يغمراسن بن زيان: 25-26-27-46-51-58-117-119-133-145-161-173.
- اليقضان بن أبي اليقضان: .....13-144.
- اليقضان بن أفلح: .....201.
- يوسف بن تاشفين: .....17-18-41-144-145-152.
- يوسف بن عبد المؤمن: .....44-46-56-58-150.
- يوسف بن يعقوب: .....28-29.

# فهرس الأماكن

- إشبيلية: .....44.
- أشير: .....14.
- إفريقية: .....21-26-62-190-191.
- أقادير: .....21-51-143-177-180-181-186.
- الأندلس: 14-15-16-17-18-19-20-23-24-28-40-44-53-56-64-70-102-122-132-166-167-168-170-171-181-187-189-194-195-196-197-199-202.
- إيكجان: .....10-12-14.
- باغاية: .....14.
- بجاية: 15-19-20-21-22-39-40-41-49-50-51-54-65-102-104-105-151-170-188-190-191-192-193-194-195-196-197-207.
- بسكرة:
.....186.
- البصرة: .....34-36.
- بغداد: .....39-68-166-168-198.
- بوماريا: .....178.
- بونة: .....40.
- تاجرا: .....50.
- تاجرارت: .....17-21-144-181.

- تلمسان: 17-18-20-21-27-29-45-46-49-50-51-55-58-59-65-
116-119-121-122-133-143-145-146-147-148-149-150-151-
156-161-162-173-177-179-180-181-182-183-186-187-188-
189-197-198.

- تمنطيط: .....186.

- تنس: .....17.

- تيهرت: .....14-34-53-62-69-91-167-198-199-200-201-202.

- جبل نفوسة: .....34-210-212.

- جبل سوفجج: .....198.

- جربة: .....79.

- الجريد: .....213.

- الحجاز: .....14.

- حصن العقاب: .....24.

- الحضنة: .....14.

- دمشق: .....198-199.

- الدولة الحفصية: .....196.

- الدولة الحمادية: .....10-15-16-39-101.

- الدولة الرستمية: .....13-34-38-69-79-80-81-82-93-208-213.

- الدولة الزيانية: .....10-23-25.
- الدولة الزيرية: .....10-16-39-99.
- الدولة الصنهاجية: .....80-99.
- الدولة العباسية: .....166.
- الدولة العبيدية: .....10-13-14-15-38-80-98-184.
- الدولة المرابطية: .....10-19-44-50-106-132.
- الدولة الموحدية: ....10-19-23-27-50-55-68-73-108-111-171-192.
- الرباط: .....21-59.
- الزاب: .....18-163-210.
- الزلاقة: .....18.
- سبتة: .....121.
- سجلماسة: .....20-21-48.
- سطيف: .....14-15.
- سكتان: .....12-93.
- الشام: .....14.
- الشلف: .....17-20.
- صقلية: .....39.

- طبنة: .....198-201.
- طرابلس: .....35-168-212.
- العالم الإسلامي: .....19-39-62-70-93-165-183-198- 213.
- غرناطة: .....58-121-167.
- فاس: .....15-21-39-186-187-189-198.
- فج الأخيار: .....12-14.
- قالمة: .....14.
- القاهرة: .....14-39-169-198.
- قرطبة: .....166-171-199.
- قسنطينة: .....22-50-54-152.
- قلعة بني حماد: .....22-63-70-101-132-170-195-197.
- القيروان: .....15-16-40-62-63-99-187-189-206-208-212.
- الكوفة: .....36
- مازونة: .....14.
- المدية: .....21.
- مراكش: .....17-21-23-26-28-64-158-171-189-197.
- مستغانم: .....152.

- المسيلة: .....14-96-186-203-205-206.

- المشرق الإسلامي: .....10-80.

- المغرب الأدنى: .....13-23-108-154.

- المغرب الإسلامي: 10-21-34-36-40-53-62-80-92-152-158-169-212.

- المغرب الأقصى: 16-18-19-20-23-26-27-148-154-177-189-192.

- المغرب الأوسط: 10-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-34-35-36-38-39-40-41-44-46-47-48-49-51-52-53-54-55-58-60-62-63-64-65-68-69-73-74-80-81-82-90-91-93-95-97-98-101-102-108-109-110-111-113-117-119-131-133-135-137-140-142-143-144-145-147-149-150-152-153-154-156-158-159-161-163-164-167-169-170-171-173-177-181-183-186-189-190-195-198-201-203-206-207-209-213.

- مكة: .....11.

- ملالة: .....19-192.

- مليانة: .....14-20-21.

- المنصورة: .....29-150.

- المنصورية: .....69.

- المهدية: .....191-39.

- ميزاب: .....212-91-79.

- ميلة: .....15.

- ندرومة: .....145-50-29-20.

- نفوسة: .....79.

- وادي ريغ: .....213-69.

- وارجلان: 69-79-82-87-88-90-91-152-168-207-208-209-210-212-213.

- وجدة: .....20-17.

- وهران: .....152-21-20-17.

# فهرس العام

# فهرس العام

شكر وعرفان

الإهداء

المقدمة

الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط من العهد العبيدي إلى بداية العهد الزياني 8.

المبحث الأول: المغرب الأوسط أيام العبيديين(296-362هـ/909-973م) 10.

المبحث الثاني: المغرب الأوسط في ظل حكم صنهاجة(361-405هـ/972-1014م) 14.

المبحث الثالث: المغرب الأوسط في العهد المرابطي(472-539هـ/1079-1145م) 16.

المبحث الرابع: المغرب الأوسط في العهد الموحدي(539-633هـ/1145-1235م) 19.

المبحث الخامس: المغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1235-1555م) 23.

الفصل الأول: عوامل تطور حركة التعليم في المغرب الأوسط من العهد العبيدي إلى العهد الزياني 30.

المبحث الأول: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط قبيل العهد العبيدي 34.

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تطوير التعليم بالمغرب الأوسط بين ق4 و7هـ 37.

المطلب الأول: استقطاب العلماء. 37.

المطلب الثاني: إقامة مراكز التعليم. 48.

المطلب الثالث: إنشاء المكتبات. 52.

المطلب الرابع: الرحلة في طلب العلم. 60.

أولا: نماذج من رحالة العلم من المغرب الأوسط خلال الحكم الموحدي 65.

ثانيا: نماذج من رحالة العلم الوافدين على المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي 67.

المطلب الخامس: تشجيع حركة التأليف. 68.

الفصل الثاني: أنظمة التعليم والعلوم السائدة بالمغرب الأوسط 76.

المبحث الأول: نظام التعليم عند إباضية المغرب الأوسط (نظام العزابة). 79.

المطلب الأول: تعريف نظام العزابة. 79.

المطلب الثاني: أهداف نظام العزابة. 80.

المطلب الثالث: طرق التعليم بنظام العزابة ومؤسساته. 81.

أولا: دور القرآن. 81.

ثانيا: المجالس السرية. 82.

المطلب الرابع: أعضاء الحلقة في نظام العزابة ومهامهم. 82.

أولا: شيخ الحلقة واختصاصاته. 82.

ثانيا: العرفاء ومهامهم. 83.

ثالثا: الطلبة وأصنافهم. 83.

المطلب الخامس: الحياة اليومية في حلقة العزابة. 88.

المطلب السادس: الموارد المالية لحلقات العزابة. 89.

المطلب السابع: التأديب في نظام العزابة. 90.

المبحث الثاني: التعليم بالمغرب الأوسط زمن حكم الشيعة العبيديين. 91.

المطلب الأول: مدارس الدعوة الشيعية الإسماعيلية. 92.

المطلب الثاني: الجهود العلمية للعبيديين. 94.

المبحث الثالث: التعليم في المغرب الأوسط من نهاية الحكم العبيدي إلى بداية الحكم الزياني. 98.

المطلب الأول: التصدي للثقافة العبيدية في العهد الزيري. 99.

المطلب الثاني: الحياة الأدبية أيام الزيريين. 100.

المطلب الثالث: الحياة الفكرية في العهد الحمادي. 101.

المطلب الرابع: العلوم السائدة عند بني حماد. 102.

المطلب الخامس: المرابطون والعلوم السائدة في عهدهم. 105.

المطلب السادس: العلوم السائدة عند الموحدين. 108.

المطلب السابع: الحياة العلمية في الدولة الزيانية. 116.

الفصل الثالث: المراكز والمؤسسات العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط. 125.

المبحث الأول: الكتاب. 129.

المطلب الأول: تعريف الكتاب. 130.

المطلب الثاني: ظهور الكتاتيب وانتشارها 131.

المطلب الثالث: وسائل الكتاب ومستلزماته. 133.

المطلب الرابع: معلمو الكتاب. 134.

المطلب الخامس: تلاميذ الكتاب. 135.

المطلب السادس: طريقة التدريس بالكتاب. 136.

المطلب السابع: العقاب. 138.

المطلب الثامن: تعليم المرأة بالكتاب. 140.

المبحث الثاني: المسجد. 141.
المطلب الأول: تعريف المسجد. 141.
المطلب الثاني: وظائف المسجد. 141.
المطلب الثالث: ظهور المساجد وانتشارها. 142.
المطلب الرابع: الدور التعليمي لمساجد المغرب الأوسط. 142.
أولا: مساجد حاضرة تلمسان. 143.
ثانيا: مساجد حاضرة بجاية. 151.
ثالثا: مساجد مدينة الجزائر. 152.
رابعا: مساجد قسنطينة. 152.
خامسا: مساجد وهران. 152.
سادسا: مساجد مستغانم. 152.
المبحث الثالث: المدرسة. 153.
المطلب الأول: تعريف المدرسة. 153.
المطلب الثاني: نشأة المدرسة. 153.
المطلب الثالث: ظهور المدارس وانتشارها. 153.
المطلب الرابع: تأسيس المدارس بالمغرب الأوسط. 155.
المبحث الرابع: الزاوية. 156.
المطلب الأول: التعريف اللغوي. 156.
المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي. 157.
المطلب الثالث: نشأة الزوايا وانتشارها. 158.

المطلب الرابع: هندسة الزوايا. 159.
المطلب الخامس: نظام الزوايا. 159.
المطلب السادس: أنواع الزوايا. 159.
المطلب السابع: موارد الزوايا. 160.
المطلب الثامن: زوايا المغرب الأوسط. 161.
أولا: زوايا تلمسان. 161.
ثانيا: زوايا بجاية. 163.
المطلب التاسع: الدور التعليمي للزوايا. 164.
المبحث الخامس: المكتبة. 164.
المطلب الأول: مفهوم المكتبة. 165.
المطلب الثاني: المكتبات الإسلامية. 165.
المطلب الثالث: مكتبات المغرب الأوسط. 167.
أولا: المكتبات العبيدية. 168.
ثانيا: المكتبات الحمادية. 170.
ثالثا: خزائن الكتب زمن المرابطين والموحدين. 170.
رابعا: المكتبات في مطلع العهد الزياني. 173.
الفصل الرابع: نماذج من الحواضر العلمية والعلماء في المغرب الأوسط. 174.
المبحث الأول: حاضرة تلمسان. 177.
المطلب الأول: تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين. 179.
المطلب الثاني: الصراعات الفكرية والمذهبية بتلمسان عبر العصور. 183.

المطلب الثالث: نماذج من علماء تلمسان. 186.
المبحث الثاني: حاضرة بجاية. 190.
المطلب الأول: بجاية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين. 192.
المطلب الثاني: الحياة الفكرية ببجاية. 194.
المطلب الثالث: نماذج من علماء بجاية. 196.
المبحث الثالث: حاضرة تيهرت. 198.
المطلب الأول: تيهرت من خلال كتب الرحالة والجغرافيين. 199.
المطلب الثاني: نماذج من علماء تيهرت. 201.
المبحث الرابع: حاضرة المسيلة. 203.
المطلب الأول: المسيلة من خلال كتب الرحالة والجغرافيين. 204.
المطلب الثاني: نماذج من علماء المسيلة. 206.
المبحث الخامس: حاضرة وارجلان. 207.
المطلب الأول: حاضرة وارجلان من خلال المصادر. 208.
المطلب الثاني: تطور النشاط الفكري بوارجلان. 211.
المطلب الثالث: نماذج من علماء وارجلان. 211.
الخاتمة. 213.
الملاحق. 216.
المصادر والمراجع. 229.
فهرس الأعلام. 263.
فهرس الأماكن. 292.
الفهرس العام. 298.